الجزء الأول | المجلد السابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

كانون الثاني «يناير» سنة ١٩٦٢ م

رجب سنة ١٣٨١ هـ

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري

يضاف الى قيمة الاشتراك أجرة البريد الجوي في حال إرسالها جواً

تدفع مقدماً

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

ملاحظات لغوية واصطلاحية (١)

يصادف العاملون في وضع المصطلحات العلمية وتحقيقها عقبات كثيراً ما يجدون صعوبة في اجتيازها من دون أن تزل أقدامهم . ومن المعروف أن هذا المجمع الموقر (مجمع القاهرة) كان أصدر قرارات مفيدة جداً مهدت الطريق أمام هؤلاء العاملين ، ولم تخرج عن قواعد اللغة : مثل القرارات المختصة بمدى التعريب والنحت واستعمال الكلمات المولدة ، ومثل الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وصوغ مَفْعَلَة للمكان الذي تكثر فيه الأعيان ، وقياسية صيغة فُعال وفَعَل للمرض واشتقاقهما من الأعيان لضرورة علمية ، وقياسية صيغة فَعَلان للتقلب والاضطراب ، وصيغة فِعالة للحرفة ، وفعّال للمحترف ، وقياسية اشتقاق المصادر الصناعية من الكلمات بزيادة ياء النسب والتاء عليها ، واشتقاق أسماء الآلات على وزن مِفْعَل ومِفْعَلة ومِفْعال واسم الفاعل ومبالغته ، وقياسية جمع الكلمات التي لم تُسمع جموعها ، وإجازة النسب إلى جمع التكسير ، وكتابة الأعلام الأعجمية بحروف عربية ، وصوغ مَفْعَلة من الأسماء الثلاثية المعتلة العين من حيث الإعلال أو التصحيح ، ورد الكلمات العربية الأصل إلى أصولها عند نقلها إلى العربية ، ومدى التعريب والنحت في ألفاظ تصنيف المواليد الثلاثة ، إلى آخر تلك القرارات التي لا كفاء لها في فوائدها . وهنالك أمور أخرى لا شك في أن المجمع قد تناولها بالبحث ، ولكنه لم يتخذ فيها قرارات ، على ما أعلم . وهنالك أيضاً أمور مضمرة يستسهلها بعض

---

(١) بحث كُتب ليتلى في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الدورة الثامنة والعشرين (١٩٦١ ــ ١٩٦٢) .

الكتاب والصحفيين . وقد عنّ على بالي أن أعرض هذه وتلك على مؤتمر المجمع الموقر ، لأن له الرأي الصائب فيها وفي أمثالها .

(١) النسبة إلى فَعِيلة . ـ إتخذ بعض الصرفيين والنحويين قاعدة عامة في النسب إلى (فَعِيلة) الصحيحة العين والخالية من التضعيف ، وهي حذف الياء . فصرنا نجد مثلاً بعض الكتاب يقولون بَدَهِيّ من بديهة ، وطَبَعِي من طبيعة وغَرَزِي من غريزة وهلم جراً ، وذلك عملاً بهذه القاعدة التي قيل لهم إنها مطلقة : على حين أن ابن قُتَيبة في « أدب الكاتب » قد خص الأعلام المشهورة وحدها بحذف الياء فقال : « ... وكذلك إذا نسبتَ إلى فَعِيل أو فَعِيلة من أسماء القبائل والبلدان ، وكان مشهوراً ، ألقيتَ منه الياء مثل ربيعة وبجيلة تقول رَبَعي وبَجَلي ، وحنيفة حنفي ، وثقيف ثقفي ، وعتيك عتكي ، وإن لم يكن الاسم مشهوراً لم تحذف الياء في الأول ولا الثاني » .

ومن الواضح أن ابن قتيبة ، وهو من هو ، قد اشترط في الحذف أن يكون الاسم علماً مشهوراً ، ولم يجعل الحذف قاعدة عامة لجميع الأسماء التي هي على وزن فعيل وفعيلة .

لقد خطر على بالي هذا الموضوع منذ زمن طويل عندما نسبتُ إلى اسمين نباتيين صحيحين أحدهما القَطَف ويسمى السَّرْمَق والإسفاناخ الرومي Atriplex hortensis ، والثاني القَطِيفة Amarantus (من أنواعها زهر مشهور يسمى عرف الديك وسالف العروس) ؛ فعلماء النبات اشتقوا من كلمة أمارنتوس أي قطيفة اسماً لفصيلة نباتية هي Amarantacées . وهذه الفصيلة يجب أن نسميها الفصيلة القَطِيفية بإثبات الياء ، لأننا إذا حذفنا ياء قطيفة ، في النسبة إليها ، قلنا الفصيلة القَطَفية ، وعندئذ يضيع القارىء بين القَطَف والقَطِيفة ، وشتان بين هاذين النباتين .

لقد بحث غيري في النسب إلى فعيلة كالأب أنستاس ماري الكرملي رحمه الله ، وكاللغوي المشهور مصطفى جواد في العراق . ولا شك أنه استوقف نظر الزملاء أعضاء المجمع . لهذا قد يكون من المفيد اتخاذ قرار يجيز إثبات الياء في غير الأعلام المشهورة ، فلا تكون كلمات قطيفي وطبيعي وسليقي وغريزي وبديهي وأشباهها معدودة من الكلمات الشاذة بل تعد من الكلمات الجائزة أو الواجبة على حسب ما يستقر رأي لجنة الأصول الموقرة عليه بعد دراسة الموضوع دراسة عميقة لا تتيسر لمثلي .

(٢) كتابة الأرقام وتلاوتها[1] . ـ من المعروف أننا بيننا نكتب الأرقام من الشمال إلى اليمين فالقاعدة المتبعة تقتضينا قراءتها من اليمين إلى الشمال . فسنة ١٩٦٢ مثلاً نكتب أرقامها بدءاً من الرقم (١) الدال على الألف . ولكننا عندما نقرؤها وجب أن نبدأ بالرقم (٢) فنقول سنة اثنتين وستين بعد تسع مائة وألف . وكلنا نعرف أن تلاوة الأرقام من اليمين إلى الشمال شيء قلما يتبعه الناس في زمننا هذا . فمعظمهم يقرأون أرقامنا العربية كما يقرأ الأوربيون أرقامهم أي من الشمال إلى اليمين ، فيقولون سنة ألف وتسعمائة وستين واثنتين ، أو ألف وتسعمائة واثنتين وستين ، بتقديم الأعداد البسيطة على العقود .

وبناء على ذلك ينصبون على التمييز معدود العقود ، وإن جاء بعد العقود عدد مائة أو ألف ، وذلك في مثل (١٢٠ كتاباً) ، فهم يقرأون المائة قبل العشرين ، وينصبون (الكتاب) على التمييز . وتكاد هذه القراءة تكون مطّردة في كتبنا وصحفنا .

---

(١) أشرت إلى هذا الموضوع في الجزء الثالث من المجلد ٣٦ (ص ٣٦١) .

وكان هذا الموضوع قد بحث عفواً في مجلس المجمع في القاهرة ، على ما أذكر ، فلم يتخذ فيه قراراً . وأعتقد أنه من المفيد احالته على لجنة الأصول ، فلعلها تقرر بعد البحث أنه يجوز قراءة التواريخ والأرقام كافة إما من الشمال إلى اليمين أو بالعكس .

(٣) كتابة الحرف C أو K اللاتيني والحرف كَبّا اليوناني المقابل له .

كان المجمع الموقر اتخذ قرارات في كتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية . ومن هذه القرارات قرار يختص بالحرف C أو K اللاتيني والحرف اليوناني الذي يقابله وهو كَبّا . فقد جاء فيه : (يكتب هذا الحرف ، سواء أورد في اسم يوناني أم لاطيني ، قافاً في التعريب) . (الجزء الرابع من مجلة المجمع ص ٣٤ وص ١٢٨) . فالرومان كانوا يعبرون عن الحرف كَبّا اليوناني بالحرف C ، ويلفظونه كما نلفظ الكاف العربية . ولكن العرب القدماء كانوا يعبرون عنه بالقاف في معظم أسماء الأعلام أو الأسماء العلمية التي نقلوها من اليونانية إلى العربية . ولذلك يكون قرار المجمع في هذا الباب صحيحاً . ولذلك أيضاً استعملت في معجمي حرف القاف في تعريب معظم أسماء الأجناس النباتية التي هي من أصل يوناني فقلت مثلاً : قَلِّيقَرْبة Callicarpa وقَلِّسْطَمُون Callistemon وقافالنثوس Cephalanthus ، مثلما قال القدماء قراصيا وقرانيا وقاقاليا وقستوس . ولكني وجدت أساتيذ الجامعات وغيرهم لا يكادون يرسمون الحرف C والحرف كَبّا الا كافاً في الأعلام وفي الأسماء العلمية على السواء . فيقولون مثلاً كربينوس لا قربينوس Carpinus ، وكوتونستر لا قوطونسطر Cotoneaster وهكذا .

وفي الحقيقة من الصعب أن نحمل الأساتيذ الذين لم يعالجوا شؤون المصطلحات العلمية الحديثة وأصولها اليونانية على أن يرسموا الحرف C ومقابله كبا الا كا

يُنطق باللاتينية أو الانكليزية أو الفرنسية أي كافاً عربية . ومعظم الأسماء العلمية الحديثة التي هي من أصول يونانية لا تختلف عن الأسماء العلمية اللاتينية الأصول ، فيُلفظ حرف C فيها كافاً سواء في الكتب العلمية التي أُلفت باللاتينية في القرنين الماضيين وأوائل القرن الحاضر ، أو في الكتب العلمية الحديثة التي أُلفت باللغات الأوربية الكبيرة . ونحن اليوم ننقل مصطلحات العلوم من هذه الكتب لا من كتب يونانية كالتي كان أجدادنا ينقلون مصطلحاتها المعربة إلى لساننا . ولذلك لا أرى ضرراً في اتخاذ قرار يجيز كتابة الحروف C ، K وكيا قافاً أو كافاً في الأعلام وفي الألفاظ العلمية الحديثة التي هي من أصول لاتينية أو يونانية .

وحكم الحرف Q اللاتيني الذي يلحقه الحرف U كحكم الأحرف المذكورة في جواز رسمه قافاً أو كافاً ، لا قافاً فحسب . والأساتيذ في زمننا لا يكتبونه إلا كافاً في مثل كينين Quinine وكُوتْشِية Quetschier وأشباهها .

(٤) كتابة الحرف Y ويقابله الحرف أُبسِلون اليوناني

من قرارات المجمع نقل هذا الحرف إلى العربية واواً (مجلة المجمع ج ٤ ص ٣٨ و ١٤٠) كما في لوبيا Lybia ، وقورينا Cyrene وغيرهما من أسماء الأعلام . وكان القدماء يعبرون عنه بالواو أو بالضمة غالباً سواء في أسماء الأعلام أو في أسماء الأعيان كبعض النباتات والمعادن مثل بُوليغالن Polygala وبوريطس Pyrites ، ولكنهم كتبوه بالياء أحياناً في مثل كيموس Chymus وسيسنبر وفيثاغورس .

ولم أعثر على مؤلف أو استاذ في جامعة كتب الحرف المذكور واواً في كتبنا العلمية الحديثة . وجميعهم يكتبونه ياء أي كما يُلفظ في اللغات الأوربية الكبيرة ، وإن يكن الاسم العلمي الذي ورد فيه هذا الحرف من أصل يوناني .

وقد سرتُ على ذلك فقلت مثلاً قوريفة Corypha لا قوروفة، وديوسبيروس Diospyros وهِدْرنجية Hydrangea بكسر الهاء لا بضمها، وهكذا في معظم الأسماء العلمية اليونانية الأصول.

وقد فعل سليمان البستاني مترجم الإلياذة مثل ذلك فأكثر من نقل هذا الحرف ياء أو كسرة إلى لساننا. ولا حاجة إلى أن نشذ عن النطق المألوف في اللغات الحية ما دام القدماء قد نقلوا الحرف اليوناني المذكور تارةً بالواو أو الضمة، وتارة بالياء أو الكسرة، وإن تكن الطريقة الأولى هي الغالبة عندهم.

وعلى هذا لعله من المفيد اتخاذ قرار يجيز نقل الحرف Y والحرف أبسلون في الأسماء العلمية الحديثة التي هي من أصول لاتينية أو يونانية واواً أو ضمة، وياء أو كسرة.

ومن الواضح أن الضمة أو الكسرة تستعملان على الأخص لمنع التقاء ساكنين في مثل Hydrate فيقال هِدْرات لا هِيْدْرات.

(٥) الكهربا والكهرباء. —

في الجزء الخامس من مجلة المجمع (ص ١١) اقتراحات عُرضت على المجمع وأقرها، منها: كهربا (بدون همز):

« وافق المجمع على أن كهربا بالقصر تطلق على الجسم، وأن تسمى القوة المتولدة أو القوة الكامنة بالكهربية، وأن تكون النسبة إلى الكهربية كهربيًا كما يقال بالنسبة إلى الشافعي شافعي، مع مراجعة ما قُرر في الدورة السابقة وإصلاح ذلك ».

ولم أجد في أجزاء مجلة المجمع ذكراً لإجازة الكهرباء بالمد على حين أنها هي الشائعة في الكتب والصحف والمعجمات الحديثة. وإليها ينسب المؤلفون في

مثل قولهم مصابيح كهربائية وأسلاك كهربائية ، وتيارات كهربائية . وكثيراً ما استعمل المجمع الممدودة والنسب إليها . ففي المجلد الثاني من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية (ص ٥٤) مثلاً :

محطة توليد الكهرباء Electric power station

وفي المجلد الأول من تلك المجموعة (ص ١٣٩) :

القوس الكهربائي (الكهربي) Electric arc

الفرن الكهربائي (الكهربي) Electric furnace

ومثل ذلك كثير سواء في المصطلحات أو في تعريفها . ولهذا ربما كان من المفيد تعديل ما أقره المجمع ونشره في الجزء الخامس من مجلته ، بإصدار نص يجيز استعمال كهرباء الممدودة للقوة ما دام يستعملها هي والكهربية ، وما دام معظم المؤلفين لا يستعملون غيرها ، ولا ينسبون إلا إليها . فبقاء القرار الوارد في الجزء الخامس على حاله يوهم بأن المجمع لم يجز استعمال الكهرباء الممدودة ، وهو مخالف للواقع .

* * *

هذه الملاحظات الخمس تحتاج في اعتقادي إلى دراسة من قبل لجنة الأصول لاتخاذ قرارات فيها .

أما الملاحظات الأخرى التي عنّت على البال ، ولا أدري ما هو سبيل معالجتها فمنها :

(١) تفشي التقاء الساكنين في المعرّبات . –

كاد التقاء الساكنين يكون ، في أيامنا هذه ، هو القاعدة عند بعض الكتاب ، فترون في كتبهم ومقالاتهم مثل فوسفور وكالسيوم وبلاستولة

(Blastula) بدلاً من فُسفور وكَلْسِيوم وبَلَسْتولة ، وهكذا . ويذهب هؤلاء الكتاب إلى أن رسم المرَّبات كما تنطق باللغة الأعجمية هو ما يدعوهم إلى اثبات الحرفين الساكنين ، وفاتهم أن تشكيل الحرف الأول منهما يقيهم سوء الخروج على القاعدة المعروفة ، ويجعل الكلمات المعربة مسكوبة في قالب عربي لا تبدو عليه العجمة .

(٢) تفشي العجمة في النطق بالأعلام الأجنبية والمعرَّبات العلمية . —

ما أصغيتُ مرةً إلى المذيعين في محطات الإذاعة العربية إلا سمعتهم يقولون مثلاً : بْرْزيل بدلاً من بَرازيل ، وسِنْغال بدلاً سِنِغال وهكذا . وترى معظم الأساتيذ لا ينطقون بالأسماء العلمية المعربة الا كما يُنطق بها في اللغات الأوربية . فمن ذا الذي يجبرهم على ذلك أي على التعاجم ؟ ولماذا لا ينطقون بالحرف o واواً وبالحرف é ياء في مثل مِكْروب Microbe وأكسيجين Oxygène ، فالمعرَّب حكمه حكم العربي . وعندما يقتبس الأوربيون من العربية كلمات فيها أحرف خلت منها لغاتهم لا يضيفون إلى تلك اللغات أحرفاً جديدة ، فالفرنسيون مثلاً عندما فرنسوا كلمة قبة قالوا كبة Koubba بالكاف ، ولم يضيفوا حرف القاف إلى لسانهم .

أما إذا أردنا أن نعرف كيف تكتب أسماء الأعلام الأجنبية بأحرف لاتينية فما علينا إلا إضافة تلك الأسماء إلى جانب الأسماء المعربة ، وهو شيء كان المجمع الموقر قد أقره .

(٣) النطق بالثاء والذال والظاء والقاف [1] :

طالما شكونا تساهل بعض علمائنا وأساتيذنا في نطقهم بالثاء سيناً ، والذال زاياً ، والظاء زاياً مفخمة ، والقاف همزة . فقد أصبحت مغبة ذلك الاهمال

(١) كنت أشرت إلى هذا الموضوع في الجزء الثالث من المجلد ٣٦ (ص ١٦١) .

أن صارت بعض الحروف ُينطق بها وتُكتب على غير حقيقتها مثل آذار ، أي شهر مارس ، فقد وجدتها مكتوبة بالزاي أي آزار ؛ وعلى العكس من ذلك سمعت إحدى المذيعات بدمشق تقول آذره بدلاً من آزره ، ظناً منها أن زاي هذا الفعل ذالٌ ، وأنه من واجبها اصلاح ذلك الخطأ !

وقرأت لأحد الأدباء الجامعيين جملة « لم يعطه من الطعام الا النذر اليسير » . فلما راجعته في « النذر » قال : ظننتُ أنها بالذال ، وأن العامة هي التي تلفظها بالزاي !

والناشئة تتأثر بسقم النطق أكثر من غيرها . ويبرز هذا التأثر في مكاتيبها . فهذا يكتب كلمة « ذلك » بالزاي لكثرة ما يسمعها بهذا الحرف الأخير ، وآخر يكتب « تأثرتُ » بالسين بدلاً من الثاء ، ويكتب « الذخر » بالزاي . ومثل ذلك كثير لدى التلاميذ في المدارس الابتدائية . ولا علاج لهذه الحال إلا بالحرص على صحة النطق بالأحرف المذكورة .

وبعد أرجو الموافقة على إحالة هذه الملاحظات على لجنة الأصول ، ولا زال الزملاء الأفاضل خير العاملين على تقدم لغتنا ، وخير الحرصاء على سلامتها .

مصطفى الشهابي

رسالة الشعر والشعراء

لما طاف « غاغارين » حول الأرض وانحدر من الأفق الأعلى إلى الأفق الأدنى ، وملأت أنباؤه أرجاء العالم ، وشغلت رحلته عقول البشر كثرت في بعض المجالس والأحاديث هذه السؤآلات : ما هي قيمة الشعر إلى جنب قيمة العلم ، ماذا يستطيع الشعراء أن يعملوا إلى جنب ما يعمله العلماء من أعمال تفوق كل تصور !

لا شك في أن الانسان يصيبه لأول وهلة ما يشبه الذهول بعد سؤآلات من هذا الشكل حتى يكاد يفقد كل ايمان بالشعر وكل ثقة بالشعراء ، الا أن هذا الذهول لا يلبث أن يذهب أثره بعد قليل من صحو العقل واستفاقة الذهن ، لا يلبث الرجل بعد سؤآلات من هذا النوع أن يرجع الى تمييزه فيعرف للشعر قيمته دون أن ينكر ما للعلم من قيمة .

من أقوال « بستور » : « في كل واحد منا رجلان ، الرجل العالم الذي طرح ناحية ما ورثه من الأفكار ولجأ إلى العيان والتجربة والتفكير حتى يرتفع إلى معرفة الطبيعة ، والرجل الحساس ، رجل التقليد ، رجل الايمان والشك رجل العاطفة ، الرجل الذي يبكي من فقده من ولده وهو لا يستطيع ، ويا للأسف ، أن يقيم البرهان على انه سيراهم مرة ثانية ، ولكنه يعتقد هذه الرؤية أو يأملها ، الرجل الذي لا يريد أن يموت كما تموت الجرثومة » .

هذان عالمان مختلفان ، ويا بؤس للذي يريد منهما أن يعتدي على الآخر » .

إذا جاز لنا أن نتصرف في عبارة « بستور » قلنا إن العالم لا يستغني عن

هذين الرجلين : رجل العقل ، وهو العالم ، ورجل العاطفة ، وهو الشاعر ، فالعالم يدأب بياض الصبح وسواد الليل في الاهتداء إلى الحقيقة المجهولة ، والشاعر ينظر إلى ما يحيط بالبشر من عالم ملآن من الشدائد فيخفف من شدائدهم ، ويحوّل جهنمهم إلى جنّات عدن .

لا ريب في أن البشرية لا تستغني عن العلماء الذين نقدّسهم تقديساً لا غاية بعده ؛ إنّ لهم أهدافاً سامية يسعون إليها ، فهم يخلصون المحبّة لعلمهم ، فيعملون في مخابرهم ؛ وقد تسوء صحّتهم من عملهم ، ومع ذلك إن عقولهم لا تنفكّ تمتدّ إلى المعجزات ؛ إنهم يبحثون عمّا يضيء أذهان البشر وعما يشفي آلام الناس دون الالتفات إلى الآلام التي تأكل أجسامهم ببطء ، فكم من عالم قضى في سبيل بحثه وتنقيبه ، إما بسبب اشعاعات تعمي ، وإما بسبب جراثيم تقتل ، وإما بأسباب ثانية تتصل بالكشف عن أسرار الطبيعة ، وإذا كانت صناعتهم قاسية في حين ، وقتّالة في حين آخر ، فإنها على كل حال صناعة جذّابة .

فاذا كنا نحني الرؤوس إجلالاً للعلماء الذين يخدمون البشر بعقولهم الراجحة أفما ينبغي لنا أن نملأ القلوب من محبة الشعراء الذين يزينون الحياة الدنيا بخيالاتهم اللطيفة ؟

إنا نعتقد أن الناس يحتاجون إلى العواطف احتياج الأجسام إلى الحرارة ؛ فالرجل الذي لا تغمر العواطف قلبه ولا تدفئه حرارتها يعيش عيشة يزدحم عليها الحزن والكآبة ، فهو عاجز عن أن يقوم بأيّ عمل عظيم أو بأيّ عمل صالح ، فمن الواجب علينا أن نحتفظ بهذه النار المتأجّجة ، نار العواطف ، وأن نتعهدها فانها محور حياتنا الأدبية ؛ وكل الأدب على ما نظن قائم على تصوير قلب الرجل أي على دراسة عواطفه وأهوائه ، وعلى ما تفضي إليه هذه الدراسة من العواقب ؛ ونعتقد أن الشعراء أقدر الناس على مثل هذه الدراسة .

ماذا فعل « شكسبير » في شعره ؟ إنه اجتاز في رأي « موروا » أزمة تقرب بعض الشيء من أزمتنا ، فصرخ صرخات فيها الغضب والاشمئزاز ، وهي أرعب صرخات نجدها في تاريخ الأدب ، فلا يستطيع أحد أن يعرف مظاهر الحياة ومظاهر الأهواء على نحو ما عرفها « شكسبير » ؛ لأنه عاش وأحس بالألم ؛ لقد ذاق أمر العذاب والألم ؛ ثم نجا من عذابه وألمه في آخر حياته بمنزله في الأرياف ، بين الحقول والطيور والفلاحين ، حيث وجد وحدة الحياة السعيدة بين ظهراني أهله ، وهنا جاءته الرؤيا الإلهية ، فكانت هذه الرؤيا حلاً لكل مشكلاته ، ولم يك حلاً مجرداً ، ولم يك فلسفة ذات شكل معين ، ولكنه كان رؤيا ؛ لأن الشعر وحده هو الذي يحل مشكلات العقل .

لا ندري كيف تكون الحياة لولا الشعر ، أفلا تملأ الكآبة حينئذٍ كل جانب من جوانبها ، إذا جردت الحياة من سلطان الشعر ؟ أفلا يتعطل جزء كبير من نفوسنا ؟ أفلا تنام ملكة الحس في أعماق قلب قاسٍ ، مقفر ؟ أفلا تحرم نفوسنا نصيبها من لذة الألوان والأصوات ؟ فلو لم يكشف لنا الشاعر عما يستر الطبيعة من مختلف الحجب لما نعمت أعيننا بصور هذه الطبيعة ولما أخذت آذاننا حظها من ألحانها وأصواتها .

لا ندري كيف تكون لغتنا وأفكارنا لو لم يزين الشعراء هذه اللغة وهذه الأفكار بسحر صورهم وفتنة خيالاتهم . إن لغة العاطفة لا تبتل إلا بأنفاسهم ، ولا تندى إلا بابتساماتهم ، فنحن لا نحب إلا ازدحمت على عواطفنا ألحان الشعراء وتصاويرهم ، فقدست هذه العواطف وعظمتها ؛ فلو كانت الحياة متوقفة على العقل وحده في هذا العالم ، ولو كانت الحياة مجردة من العواطف ولغتها لانتهت آجالها من زمن بعيد ؛ فالشعراء على نحو ما قال « اناتول فرنس » هم الذين يلقون الضياء في الوقت الذي يلقون فيه الكلام على أفراحنا المبهمة وعلى

آلامنا الغامضة ؛ انهم الذين يقولون لنا ما نشعر به شعوراً ملتبساً ؛ إنهم أصوات نفوسنا ، بهم ندرك الإدراك كله مسرّاتنا ومضاجرنا .

لا ندري كيف نشعر بمحاسن الطبيعة لو لم يحملنا الشعراء على إدراك هذه المحاسن ؟ بعد ثلاثة أيام سيتولى في مهرجان الشعر فريق من الاساتذة الكلام على البحتري ، ما أعظم الفرق بين نظرة العالم إلى الطبيعة ونظرة الشاعر إليها ؛ يحبس عالم من علماء النبات نفسه على دراسة نوع من هذا النبات ، فيبحث عن غذائه وتنفّسه ونموّه وما شابه ذلك بحثاً علمياً مجرّداً من الصور والألوان والألحان ، أما الشاعر فانه يرى في النبات ما لا يراه العالم . لقد نظر رجل العلم إلى كل ما نظر إليه البحتري أو غيره من الشعراء ، الا أنّ العالم لم يهتمّ في الطبيعة في مجامع مظاهرها الا بالقوانين التي يهتدي بها إلى معرفة خصائصها وأسرارها ، أما الشاعر فانه يرى من وراء هذه المعرفة عالماً ملآن من الجمال ؛ يرى من ورائها ما يسرّ به حسّه وذوقه وشعوره . فالبحتري نظر إلى الأقحوان كما نظر إليه عالم النبات ، ولكنه لا يرى ضحك الأقاحي في الصباح الا رأى وراء هذا الضحك رضاباً بروداً ، والبحتري نظر إلى الشمس كما نظر إليها عالم الفلك ، ولكنه لا يرى جنوح الشمس للأصيل الا رأى في أضعافه جنوح حبيبته لو شك بعدٍ أو فراق ، وهكذا إن الشاعر ينظر إلى الطبيعة من زاويةٍ تختلف عن زاوية العالم ، فالطبيعة تشتمل في نظر العالم على صورٍ ترضي عقله ، اما الشاعر فان الطبيعة تشتمل في نظره على صورٍ ترضي حسّه وشعوره ، فلا يجد معنىً لتنفّس الروض في جنح باردٍ من الليل الا اذا ذكّره هذا التنفس أنفاس أحبّته ، ولا يجد معنى لترقرق الندى فوق الشقائق الا اذا ذكّره هذا الندى دموع التصابي في خدود الأحباب ، ولا يجد معنىً للمعان البرق إلا اذا ذكّره هذا اللمعان ابتسامةً من الابتسامات .

العالم يبحث في الطبيعة عن الحقيقة والشاعر يبحث فيها عن الجمال ؛ والبشرية محتاجة في حياتها إلى هذين النوعين من البحث ، فإنها لا غنى لها عن الحقيقة كما لا غنى لها عن الجمال .

على أنّ العالم الذي ينقب عن الحقيقة لا مندوحة له في تنقيبه عن بعض ما يحتاج اليه الشاعر ، لقد قال أحد الكتّاب في « بستور » إنه رُزق من صفة المبتدع النصيب الأوفى وهو الخيال ، فلم يقف به هذا الخيال عند منتهى استقصائه واستقرائه ، ولكنه رمى به إلى أبعد من ذلك ، حتى كشف آفاقاً جديدة ، وتنبأ بالمستقبل ، وشعر بحقائق هذا المستقبل قبل غيره ، فكان فكره شبه شعاع المنارة الذي يضيء الطريق لمن يجيء بعده .

هذا الرجل ، رجل المخابر ، رجل التجارب إنه متنبيء ، انه شاعر !

ولسنا نعتقد أن الذين انصرفوا إلى البحث عن غوامض الفضاء في الشهور الأخيرة يقنعون بما ظفروا به من المعرفة ؛ إن خيالهم المبتدع يشبه خيال الشعراء ، فهو سيدفعهم بعد اليوم إلى هذا السؤال : ماذا بعد هذا الفضاء ! واذا بلغوا القمر في زمنٍ قريب أو بعيد فانهم سيقولون : ماذا بعد القمر ؟ ماذا بعد النجوم كلها ؟ فإن عقل البشر الذي يخضع لقوة لا سبيل إلى التغلب عليها لا ينفكّ يسأل هذا السؤال : ماذا وراء هذا كله ؟ فالخيال يدفعه إلى الكشف والابتداع ؛ إن العقل لا يريد أن يقف عند حدّ من حدود الفضاء والزمن ، لأن هذا الوقوف لا يشفي غليل العالم ، فلا شيء يستطيع أن يخنق صوت تطلع العلماء !

نظن بعد هذا كله أن الشعر لا يحتاج إلى اقامة الدليل على قيمته في الحياة . ومهما نقل في الشعر فلا نستطيع أن نوفيه حقه أكثر مما وفاه بعض أدباء الإنكليز في قوله : «حقاً ان الشعر إنما هو شيء إلهي ! إنه في وقت واحدٍ دائرة معارفنا

ومركزها ، إنه الشيء الذي يشمل العلوم كلها والذي ينبغي لكل علم أن يرجع اليه ، إنه في وقت واحد ينبوع كل مقاييس الفكر وزهرة هذه المقاييس كلها ، إنه مصدر كل شيء ، وزينة كل شيء .

كيف تكون الفضيلة والحب والوطنية والصداقة ، كيف تكون زينة هذا العالم الجميل الذي نسكنه ، كيف يكون عزاؤنا على جوانب القبور ، كيف تكون آمالنا وراء هذه القبور ، كيف يكون هذا كله لو لم يأت الشعر فيجلب لنا الضياء واللهيب من تلك العوالم الخالدة التي لا تجرؤ قوانا على أن تطير إلى آفاقها بأجنحتها ! »

من أقوال أحد الشعراء الفرنسيين : الناس يفتقرون إلى الشعر افتقارهم إلى الخبز !

فاذا كان الشعر لا يحتاج بعد هذا النمط من القول إلى إقامة البرهان على منزلته في الحياة ، فان الشعراء لا يفتقرون بعد القول الآتي الى اقامة الحجة على منزلتهم في البشر . يقول « اناتول فرنس » في هذا المعنى :

« الشاعر ملاك ! الشاعر أكثر من ذلك ! انه فوق أفق البشر ، ينزل عليه إله الشعر هدوء الفكر ومسرات العقل ، انه يكشف عوالم حديثة على نحو « كولمبس » دون أن يزايل مركزه ، ويفتتح البلاد على نحو « شرلمان » من غير أن يتحرك من مكانه .

انه يجمع هوائج النفوس ، فيبعث حياة كل واحد من البشر ، يشعر بفرح من يفرح ويحس بألم من تألم في هذا العالم .

أي سلطان في يديه ! انه يجمع الألفاظ ، تلك الألفاظ الباطلة التي تقلب وجه العالم ، الشاعر يحكم على الأحياء وعلى الأموات .

انظروا الى الملك « مكبث » ؛ دلَّ استقصاء المؤرخين على انه لم يقتل أحداً وعلى أن زوجته كانت امرأة صالحة ، فلم يكن على يدي « مكبث » لطخة دم ، ولكن من الذي يؤمن بعد اليوم بصلاح الزوجين الفاجعين ! أراد « شكسبير » ان يصوّر الملك « مكبث » في صورة مجرم فظيع لطخ يد زوجته لطخة حمراء ؛ فنظر الناس بعد تصوير « شكسبير » الى الملك « مكبث » والى زوجته ، فلم يروا في « مكبث » الاّ رجلاً قاتلاً ، غاصباً ، ولم يروا في زوجته الا أنثى مغموسة في الجحيم ، فلا يستطيع أحد ان ينصفها بعد كلام « شكسبير » وان ينظر في مظلمتها مرّة ثانية ، فقد نطق الشاعر ، واذا الشاعر نطق فلا تسمع المصور غير صوته ! »

ولكن ما هو الصوت الذي تسمعه العصور ، هل هو صوت الشاعر الذي يفصح عن أغراض المجتمع ، أم هو صوت الشاعر الذي يفصح عن أغراضه ، هل من واجب الشاعر أن يكون صدى المجتمع أم من واجبه أن يكون صدى نفسه ، أن يحتفظ بشخصيته قبل كل شيء ؟

لقد حدّد أحد رجال المجمع الفرنسي في باريز مهمة الكاتب في المجتمع ؛ وما عليّ أن أستعير بعض أقواله في الكاتب فأنقلها في الشاعر ، على تباين الصناعتين ؛ اذا لم يكن الشاعر الا صدى المجتمع كان مصوراً أميناً أو مؤرخاً صادقاً ؛ ولا ريب في أن هذه المنزلة انما هي منزلة رفيعة ؛ الا أن الشاعر بعمله هذا لا يخرج عن إرادة المجتمع ؛ وقد تكون هذه الإرادة فوق إرادته ؛ انه ينقل صورة المجتمع كما هي ، فلا يساوي شعره الا ما تساويه هذه الصورة ، ولا بدّ له حينئذٍ من أن يفقد شخصيته ، فلا يضيف الى شعور المجتمع شيئاً .

قد يكون هذا الشاعر من الطراز الأول ، ولكن فوق هذا الطراز الشاعر الذي رُزق شخصية كبيرة يستطيع بفضلها أن يملي على المجتمع عواطفه وشعوره ؛

فهو يحمل هذا المجتمع على أن يرى الأشياء كما يراها هو نفسه ، لا شك في أنه قد يصادف في هذه السبيل بعض المعارضة لأن طبيعة البشر تقاوم كل تجديد أو تبديل ، ولكن عناد الشاعر سيحمل المجتمع في خاتمة الأمر على أن يعبد ما يعبده ؛ إن الشخصيات في العالم قليلة جداً ، فالعالم لا آراء له ، وإنما ينقاد إلى آراء من يقوده ، فالشاعر يلزمه قبل كل شيء أن يحترم شخصيته ، فهو ليس برجل كالرجال وهو ليس في مستوى كل الناس ، انه فوق البشر ، فلا يجوز له أن ينتظر أمر الناس ، وإنما عليه أن يأمر !

لولا أوامر « هوميروس » في القديم لما استطاع اليونانيون من بعده أن يغلبوا الفرس .

ولولا أوامر « غوتي » لما نهضت ألمانية ؛ لقد كان « غوتي » بنفسه وحدها نهضة لم تعرفها بلاده لا في القرن السادس عشر ولا في القرن السابع عشر !

اما نحن ، معاشر العرب ، فان شعراءنا الذين لم ينتظروا أوامر المجتمع وانما انتظر المجتمع أوامرهم كثير عددهم ، واذا تخطينا شيخهم أبا العلاء المعري ورجعنا الى سلفه أبي الطيب المتنبي وختمنا هذه الكلمة الوجيزة ببعض شعره فاننا نجده في هذا الشعر يملي على المجتمع ارادته وشعوره . لقد وقع في ذلك المجتمع ما يشوه عزة العرب فانفردت طائفة من عبيد الخلفاء بأمور الملك وغلبوا أولئك الخلفاء على ملكهم ، وشاركوهم في سلطانهم ، فصور المتنبي هذه الحالة الأليمة في بيتين من الشعر فقال :

بكل أرض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه وكان يبري بظفره القلم

ولم يكتف بتدوين ما وقعت عليه عينه في ذلك المجتمع من ضروب الظلم والاستبداد وانما أنب الناس على خنوعهم وذلهم فهدر هدرات لا تزال تدوي في سمع التاريخ :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام !

وأتبع دوي صوته بالحض على التخلص من الظلم والاستبداد فقال :

غير ان الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا
واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تكون جبانا

فاذا كان هذا الشعر يحملنا من جهة على التأفف من بعض عصور في تاريخنا غلب فيها الأذى واشتد الهوان فانه من جهة ثانية يكفكف دموعنا ويبرد جراحنا لأن أدبنا لم يخل من شعراء ثاروا على مجتمعهم فأملوا على هذا المجتمع شعورهم وارادتهم .

هذا هو سلطان الشعر !
هذه هي مهمة الشعراء !

شفيق جبري

شخصية البحتري

الاحتفال بشاعر الشام الأكبر، ونابغة العروبة الخالد تكريم لذكراه، وتحية لفنه، والتكريم والتحية يقتضيان الاقتصار على ما يجمل ذكره من أخلاق الشاعر وصفاته. وذلك يتسنّى لمن يتحدّث مختاراً عن جانب من سلوكه، أو مزية من مزايا فنه، أما من اقترح عليه أن يتحدث عن شخصيته فالأمر معه جدّ مختلف. ذلك لأنّ شخصيّة الرجل هي صورته المعنوية تركّبت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة والطبيعة ونمط العيش ونوع الثقافة ولون الحضارة، ولأولئك كله خطوطٌ وألوان وظلالٌ، منها المستقيم والمعوجّ والسويّ والشاذّ والبارز والمستتر، وبدونها كلها لا تكمل الصورة ولا تتمّ المعرفة. فإذا صورتُ البحتريّ على الطريقة الواقعية التي تعتمد على اعترافاته وشهادة مواطنيه، لا على الطريقة الخيالية التي صوّر بها هو ممدوحيه، كنت أقرب إلى إرضاء الحقّ وإنصاف التاريخ. وعذر البحتريّ في انطباع شخصيته على هـذه الصورة حال المجتمع في عصره، فقد كان العصر الثاني من عصور الدولة العباسية عصر نزاع على الخلافة، وصراع بين الأجناس، وصدام بين المذاهب، وخصام بين الأسر، وتنافس في الثروة والجاه، وتدفق في الترف واللهو، وتورّط في الشهوة واللذة. والشاعر الذي يعيش على صلات الخلفاء والرؤساء مقضيّ عليه أن يساير ويشارك ويداري ويحتال، ليخرج من الرأي إلى نقيضه، وينقلب من الرجل إلى عدوه.

شخصية الوليد أبي عبادة البحتري شخصية الإنسان المطبوع ، والفنان الموهوب . كانت إنسانيته لا يختلف معناها عن معنى الحيوانية في اكتساب القوت لتحيا ، واجتناب الأذى لتنجو . وكانت فنيته لا يبعد مداها عن أن تكون وسيلة لهذه الحياة ، تهيء لها عدة القوة ، وتمد لها أسباب العزة كما يقول :

لي من الشعر نجدةٌ واعتزازٌ وهجومٌ على الأمور الشداد

كان الشعر في عصر البحتري للشاعر بمثابة الناب والظفر للسبع : يبتغي الرزق بالمدح ، ويتقي الأذى بالهجاء . والذي جعل للشعر هذه الوظيفة تلك الحماسية المرضية التي توارثها العرب للمدح استجابة لدواعي العصبية وطمعاً في خلود الذكر .

وكان البحتري وهو صبي يرتع بين أشجار التوت في « منبج » ، أو يتنقل وهو يافعٌ بين مضارب « طيء » على الفرات ، يرد على سمعه ما تتناقله الأفواه في القرية والبادية عما ينال الشعراء في قصور الخلفاء والأغنياء من الجاه والثراء ، وبخاصة مواطنه أبو تمام فيطمح إلى ذلك ، وينظر في نفسه فيجد خاطره يسمح بالشعر على البديهة دون علمٍ بالعروض إلا ما اكتسب بالسليقة ، ولا بصر باللغة إلا ما أخذ عن الأعراب ، فيعلم أنه أوتي الملكة وأعطي الوسيلة فيقرض الشعر في كل شيء ، وينشده في كل مكان .

قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي : « رأيت البحتري هنا قبل أن يخرج إلى العراق يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في مجيئه وذهابه » ومعنى ذلك أن البحتري بدأ يتكسب بالشعر في قريته على هذه الصورة المبتذلة لأنه قرر في نفسه أن يتصيد رزقه في بحور الشعر تارةً من السمك ، وتارةً من اللؤلؤ . وما كان لفتى منبج الطامع الطامح أن يقنع بالبصل والباذنجان دون الذهب والمرجان وهو الذي تجرد منذ صباه على الفقر ، وقضى العمر كله في جهاده . جاهد بسلاح الشعر وحده لا بالعلم ولا بالعمل . وسلاح الشعر

يدركه الفلول في بعض الأوقات لإعراضِ خليفةٍ ، أو صدودِ وزيرٍ فلا يعمل ، فيضطرّ إلى التنقل من قصر إلى قصر ، أو التحول من بلد إلى بلد . فكانت حياته حياة الطائر الفَرِد ، قوام عيشه حنجرةٌ رخيمةٌ ، وجناحٌ خفاقٌ ، ومنقار لاقط . يغني حيث يكون الروض ، ويقع حيث ينتثر الحَبّ . فإذا حلّ الشتاء وطمر الثلج روضه ، وَحطّمَ السيلُ عُشّه ، قطع أجواز الفضاء ، وأثباج الماء إلى جوّ آخر يتوفر فيه الحَبّ والأمن والدفء !

شخصية البحتريّ ككل شخصية إنسانية لها قوامان : قوام ماديّ مفتاحه حُبّ المال ، وقوام معنويّ مفتاحه حب الجمال . وبهذين المفتاحين نستطيع أن نفتح ما استغلق من طباعه ، ونفسر ما استبهم من سلوكه .

كان حديث أحلامه ومنتجع أمانيه أن يقتنيَ ضيعة في منبج فمدح من مدح من السادة والقادة حتى بلغ في عهد المتوكل فوق ما تمنى . ثم صار همه بعد ذلك أن يمدح الولاة والعمال ليعفوا ضياعه من الخراج . قال أحمد بن اسماعيل « كان البحتري يلزمُ إبراهيم بن المدّبر في كلّ سنة أن يسقط أكثر خراجه أو يؤديه عنه ، فأراد يوماً أن يشتريَ ضيعةً جديدة واستباح إبراهيم أن يؤدي عنه بعض ثمنها فلامه على طمعه وقال له : يكفيك ما تملك من الضياع فقد كثرت وعظمت . فأنشده قصيدة كان قد أعدّها يقول في مطلعها :

« سقاها تمادى لومها وَلَجَاجُها »

حتى بلغ قوله فيها :

وما زالتِ العيسُ المراسيلُ تنبري ... فيُقضَى لدى آلِ المدّبر حاجُها

فأمر له بإتمام ماله !

كان البحتري في سبيل حبّ المال يبخل به ويحرص عليه . وهل للبخل معنىً غير حبّ المال ؟ فما رواه أبو الغوث ابنهُ ، وحكم بن يحيى ، وأبو مسلم محمد

ابن الأصفهاني من حديث شحّه على نفسه ، وتقتيره على خادمه وأخيه ليس بدعًا من أخلاق الشعراء في ذلك العصر ، فقد كان البخل طبعًا مكتسبًا فيهم لم يخل منه إلا أفراد قلائل غيّبتهم نشوة الخمر عن الفكر في المستقبل فعاشوا في الحاضر يومًا بيوم، كمسلم بن الوليد وأبي نواس .

والشعراء البخلاء منطقيون مع الحياة ، يصنعون ما تصنع النَّحْل والنمل ، يدّخرون بعض ما يجدون ليوم لا يجدون ، لأنّ موارد أرزاقهم لم تكن مضمونة ولا مأمونة . كانوا يعيشون على صلات الخلفاء وأولي النعمة ، ينادمونهم على الشراب ، ويفاكهونهم في السمر ، ويتألفونهم بالمدح ، ويدورون من وراء رضاهم في السياسة والحكم ، فهم في خير ما دامت أسبابهم موصولة بالقصر ، فإذا انقطعت انقطع رجاؤهم في العيش . فكانوا بين مجدود كالجاحظ ، أو مكدود كالأخفش أما الجاحظ فقد سئل يومًا عن ثروته ، فتبسم ضاحكًا وأجاب : إنما أنا وجارية ، وجارية تخدمها وخادم وحمار . وقد أهديت « كتاب الحيوان » إلى « محمد بن عبد الملك الزيات » فأعطاني خمسة آلاف دينار . وأهديت « كتاب البيان والتبيين » إلى « أحمد بن أبي دُوّاد » فأعطاني خمسة آلاف دينار . وأهديت « كتاب الزرع والنخل » إلى « ابراهيم بن العباس الصولي » فأعطاني خمسة آلاف دينار . فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد .

وأما علي بن سليمان الأخفش النحوي الأديب فقد ضاقت به الحال في أواخر أيامه فسأل « أبا عليّ بن مقلة » أن يكلم له الوزير « عليّ بن عيسى » عسى أن يجري عليه رزقًا في جملة الفقراء . فلما كلمه انتهره الوزير انتهارًا شديدًا وأجابه جوابًا غليظًا ، وكان ذلك في مجلس حافل ، فبلغ ذلك الأخفش فاغتمّ وانتهت به الحال إلى أن عاش على الشلجم النيء ، ويقال إنه قبض على قلبه من اليأس فمات فجأة .

وفي سبيل المال كان البحتري يحتال ويتدنى ، وينقل شعره من مقام إلى مقام ، ومن ممدوح إلى ممدوح بعد تغيير تقتضيه الحال . قال يتحدث عن نفسه : « دخلت على المتوكل يوماً وفي يديه درتان لم أرَ أنقى منهما بياضاً ولا أكبر حجماً . فأدمت النظر إليهما ولم أصرف طرفي عنهما . ورآني المتوكل على هذه الحال فرمى إليّ بالتي كانت في يمناه . فقبّلت الأرض وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعاً في الأخرى فعنّ لي أن قلت : (١)

بسُرَّ مرّا لنا إمامٌ　　تغرف من كفّيه البحار
خليفة يُرتجى ويُخشى　　كأنه جنةٌ ونار
الملك فيه وفي بنيه　　ما اختلف الليل والنهار
يداهُ في الجود ضرتان　　هذي على هذه تغار
وليس تأتي اليمين شيئاً　　إلاّ أتت مثله اليسار

فرمى بالدرة التي كانت في يساره ، وقال : خذها يا عيّار . والعيّار : المحتال .

وقال أيضاً يتحدث عن نفسه : كنا في مجلس المتوكل ومعنا الفتح بن خاقان ، فاعترت المتوكل للفتح هزّة من السرور والرضا فقام يقبله ، ووثب الفتح فقام فقبل رجليه . والتفت الخليفة إليّ وقال : « قل في الفتح وفيّ شعراً ، فإني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ، ولا يفقدني ، فيذلّ بعدي . فقلْ في هذا المعنى . » فقلتُ قصيدة منها :

---

(١) اللاحنة : وتروى هذه القصة لعلي بن الجهم ذكر ذلك صاحب العقد في ٢٥٠/١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٩ ؛ على أن هذه الابيات الخمسة موجودة في ديوان البحتري ص ٧٥٠ باختلاف يسير في بعض الالفاظ ، وهي كذلك موجودة في ديوان علي بن الجهم ص ١٣٦ (طبعة المجمع العلمي العربي)

لا أرتني الأيام فقدك يا فتـ ـــح ولا عرّفتك ما عشت فقدي
أعظمُ الرزء أن تقدّم قبلي ومن الرزء أن تؤخر بعدي
حسداً أن تكون إلفاً لغيري إذ تفردت بالهوى قبلُ وحدي

فقال المتوكل : « أحسنتَ واللهِ يا أبا عبادة ، وجئت بما في نفسي ، وأمر لي بألف دينار . » ، وكنت قد عملت هذه الأبيات في غلام كنت أكلف به ، فلما أمرني المتوكل بما أمر ، نحيت فقلت الأبيات وأوهمته أني عملتها في وقتي وما غيرت فيها إلاّ لفظة واحدة ، فإنني كنت قلت :

ما أرتني الأيام فقدك ما عشـــتُ ، بجملته : يا فتحُ ، وقد قتلا معاً وكنت حاضراً ، فرجحت هذه الضربة (وأومأ إلى ضربةٍ في ظهره) .

وقد قال الصولي إنه نقل نحواً من عشرين قصيدة من مدائحه ممن قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غيّر أسماءهم مع سعة ذرعه في قول الشعر ، وجدوى هذا أن تُجاز القصيدة مرتين من غير جهدٍ ولا كلفة .

ويدخل في هــذا الباب أمره مع غلامه نسيم ، فقد قال أحمد بن جعفر جحظة : « وكان نسيمٌ غلام البحتري رومياً ليس بحسن الوجه فجعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه من بعض ذوي المروءة ممن ينفق عنده الأدب ، فإذا صار في ملكه مدحه وتشوّق الغلام وشبّب به وتحسّر عليه بمثل قوله :

دعا عبرتي تجري على الجَوْرِ والقصدِ أظنّ نسيماً قارف الهمّ من بعدي
خلا ناظري من طيفه بعد شخصه فيا عجبا للدهر . فقدٌ على فقدِ

فلا يسع من اشتراه إلاّ أن يهبه له . ولم تزل تلك حاله حتى مات نسيمٌ فكفى الناس أمره .

وفي سبيل المال تخلّق البحتري بأخلاق التجار فسالم الناس ودعا إلى السلم ،

وعايش الأضداد ، وبرئ من التحيز ، ولابس العقائد والمذاهب والطوائف والعشائر ، وخلا من التعصب .

وُلِدَ في خلافة المأمون ، ثم تنفس به العمر حتى جاوز الثمانين ، فاستغرقت حياته حياة عشرة من الخلفاء تداولوا العرش العباسي ، وهو يميد من الفتن والخطوب ، من تفارُس الخصوم ، وتنافس المناصر ، وتنازع الرؤساء ، وهو مضطر إلى مصانعة هؤلاء وهؤلاء ليسلم منهم جميعاً ، ويغنم منهم جميعاً ، فمدح العلويّ والعباسيّ والتركيّ والسنيّ والشيعيّ دون أن يجد غضاضة في نفسه ، ولا مشقة على ضميره ، لأنه يمثل المادح ولا يكونه ، ويتخيل الممدوح ولا يعيّنه ، ويقول في المدح ما يقول ولا يعتقده ، ومن هنا لم يجد صعوبة ولا حرجاً في أن ينقل القصيدة من ممدوح إلى آخر ، ولعله لم يقل الصدق إلا في المتوكل لحبّه إياه ، وإخلاصه له ، وبلوغه الحظوة والثروة في أيامه ، حتى قال فيها :

أو ما ترى حسن الزمان وما بدا   وأعاد في أيامه المتوكلُ

أشرقن حتى كاد يقتبسُ الدجى   ورطُبن حتى كاد يجري الجندل

ومن معاني مسايرته ومهاواته أنه لم يتبع سياسةً معينة ، ولم يعتقد نحلة خاصة ، وإنما كان يستنُّ سنة الدولة ويذهب مذهب الحاكم . حدث إبراهيم بن عبد الله الكجي قال : قلت للبحتريّ ويحك ! أتقول في قصيدتك التي رثيت بها أبا سعيد :

أأفاق صَبٌّ من هوىً فأُفيقا :

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم   ويحرّفون كلامه المخلوقا

أصرت قدرياً معتزلياً ؟ فقال لي : كان هـذا ديني في أيام الواثق يعني (أيام كانوا يقولون بخلق القرآن) ثم نزعت عنه في أيام المتوكل (حين نزعوا عن هذا القول) فقلت له يا أبا عبادة : هذا دين سوء يدور مع الدول .

وقد اتهمته العامة بالثنوية في أيام المعتمد لقوله :

ولم أرَ كالدنيا حليلة صاحب ... محبّ متى تحسن لعينيه تطلق
تراها عياناً وهي صنعة واحدٍ ... فتحسبها صُنْعَيْ لطيفٍ وأخرقِ

(والثنوية يقولون بإلهين : إلهٍ للخير وإلهٍ للشر كما تعلمون) فخاف على نفسه وقال لابنه أبي الغوث وكان مقيماً معه : قم يا بنيّ نطفىء هذه النائرة بخرجة نلمّ بها شمشاط ثم نعود ، وهي الخرجة التي زار فيها إيوان كسرى وقال فيه قصيدته المعروفة . والحقّ أن البحتري كان لنشأته القروية البدوية بعيداً عن مذاهب المضربين في الدين والفلسفة ، فلم يستمد شعره إلا من إلهام الخاطر ووحي الطبيعة . ومن قوله يردّ على المناطقة :

كلفتمونا حدود منطقكم ... والشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنـ ... ـطق ما نوعُهُ وما سببُهْ

وفي سبيل المال ركب البحتري الأسفار وهو في طور الحداثة . يشهد على ذلك قوله :

وقائلةٍ والدمع يصبغ خدّها ... رويدك يا ابن الستّ عشرة كم تسري
فقلت أحقّ الناس بالعزم والسرى ... طلاب المعالي صاحب الستّ والعشر

وقوله :

تَقَاذَفُني بلادٌ عن بلادٍ ... كأني بينها خبرٌ شرود

فطوّف بالشام ، وجوّل في العراق ، وأوغل في الجزيرة ، وبين جنبيه الأمل الحافز ، وفي يديه الوصايا التي زوّده بها أستاذه أبو تمّام إلى الممدّحين من ذوي المروءات والرياسات في تلك البلاد . ولكنه كان دائب الحنين إلى الشام يستوقد شوقه إليها وافد النسيم من الغرب ، فيقول لنفسه :

حبذا العيش في دمشـ ... ـق إذا ليلها بَرَدْ
حيث يُستقبل الزما ... نُ ويُستحسن البلدْ

أو يقول للمعتز :

هل أطلعنْ على الشآم مبجّلاً ... في ظلّ دولتك الجديد المونق
شهران إن يسّرت إذني فيهما ... كفلا بألفة شمليَ المتفرّق
قد زاد في شوقي الغمام وهاجني ... زَجَل الرواعد تحت ليلٍ مطبق

أو يقول لأبي الصقر :

تُراك تخلّفني في غير أرضي ... وإنهاضي إلى بلدي يسيرُ
وأعتقتَ الزمانَ قسرُ بعتقي ... إلى بلدي وأنت بهِ جديرُ

* * *

ذلك بعض ما يفتحه علينا حبّ المال من شخصية البحتريّ ، أما ما يفتحه حبّ الجمال منها وهو مفتاحها الآخر فكلّ ما ينبثق عن روحه ونفسه وقلبه وذوقه من الأعمال والخلال . ولكن هذا المفتاح المعنوي لا يمكن أن يفضي بنا للباب الذي يفتحه إلى جانب مستقلّ من حياة الشاعر له مميزاته وخصائصه ، فإن العناصر المادية والمعنوية تتقارب وتتضارب وتتفاعل فيؤثر بعضها في بعض ، ويتأثر بعضها ببعض فلا يكون هناك حس محض ولا معنى خالص . فالأناقة التي اشتهر بها البحتريّ في تنضيد ألفاظه ، وتنسيق جمله ، وهي أثر من آثار حبّ الجمال ، تفارقه في اختيار هندامه وتأثيث بيته ، فقد كان كما رووا من أوسخ خلق الله ثوباً وأداةً . ووساخة الثوب وقذارة الأداة أثر من آثار حبّ المال . وحبّ الجمال مقتضٍ ، وحبّ المال مانع ، وهذا أقوى من ذاك وأولى .

على أن صفة القذارة في الملبس والأثاث تعلل في أيام الفقر والبداوة والتجوال ولكنها لا تكاد تصدق أيام النعمة السابغة ، والحياة المترفة أيام المتوكل والفتح إلا إذا كانا يحتملان منه ما كان الوزير المهلبيّ وزير معزّ الدولة بن بويه

يحتمل من أبي الفرج الاصبهاني ، فقد كان المهلبي مترفاً متنطعاً يأنف أن يأكل بالملعقة مرتين ، فكان له عن يمينه خادم يناوله في كل لقمة ملعقة ، وعن يساره خادم يأخذها . وكان صاحب الأغاني يجالسه ويؤاكله ، وكان قذر الهيئة رث الثوب لا يغسله ولا يبدّله ، فيحتمل الوزير ذلك منه لعلمه وحسن حديثه . وحدث يوماً أن المهلبي كان يأكل معه لوناً من ألوان الحلوى صنع له ونسب إليه وهو المهلبية ، فسعل أبو الفرج سعلة شديدة خرجت معها نخامة غليظة نزلت في الصحفة فلم يزد الوزير على أن أمر برفع الصحفة ووضع أخرى واستأنف الأكل .

ومن أثر حب البحتري للجمال حبه للطبيعة ، فقد فتن بها منذ الحداثة في الغيم والصحو والجبال والأمواه والحقول والرياض ، كما فتن بروائع الصنعة في القصور الفخمة والأبنية العجيبة كإيوان كسرى وبركة المتوكل وقصر المعتز بالله وقصائده في وصف هذه البنى أمثلة فريدة في الشعر العالمي .

وهل تجدون أبدع وأرق من قوله في وصف ليلة صافية ساجية تلألأت نجومها وتطلّق دجاها :

كاد دجى الليل من طلاقته يقمر والأفق ساقط قمره

ومن أثر حبه للجمال كلفه بالجواري والغلمان ، فقد أحب وهو يافع علوة الحلبية ، وهي من قيان الشام ، وكان حبه إياها صبوة من صبوات المراهقة ، فانتهى بالجفاء منها والهجاء منه . ثم رحل إلى العراق فشارك شعراءه في حياة اللهو والمتاع وتتبع الجمال في مظهريه : المؤنث والمذكر ، ووصف الحب في حاليه : الخيالي والواقع .

ولكن حب البحتري كان حب الشهوان العابث لا حب الولهان المتيم . أحب المرأة بحسه لا بنفسه : وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه . فمذهبه في الغزل

كمذهبه في المدح ، يصور أحوال المحبوب كما يحلل أخلاق الممدوح من ذاكرته وخياله ، لا من وجدانه وواقعه . والفضل في إخفاء هذا الزيف عن القارىء إنما هو لبراعة ذهنه ، وعبقرية فنه . وواقعية خياله ، وقدرته على تصوير النفس الإنسانية تصويراً مجرداً يصدق جوهره على كل نفس . اسمعوا مثلاً قوله يتغزل :

أصبا الأصائل إنّ برقة ثهمد   تشكو اختلافك بالهبوب السرمد
لا تتعبي عرصاتها إنّ الهوى   ملقًى على تلك الرسوم الهمّد
دِمَنٌ مواثل كالنجوم فإن عفت   فبأيّ نجمٍ في الصبابة نهتدي

فهل تجدون فيما قرأتم أبدع من هذا التصوير ، وأرقّ من هذا الوصف ، وأصدق من هذا الشعور ؟ ولكنّ الذي يكشفه هو أن تسألوه : مالك ولبرقة ثهمد وليس لك فيها خولته ؟

إن زيف الغزل البحتري جاء من زيف حبه ، وبعيد أن يحبّ المرأة الحبّ الصادق من لا يحترم جنسها ولا يثق به . أليس هو القائل في النساء :

وعلى غيرهن أحزنَ يعقو   ب وقد جاءه بنوه عِشاءَ
وشعيب من أجلهنّ رأي الوحـ   ـدة ضعفاً فاستأجر الأنبياءَ
واستزلّ الشيطان آدم في الجنـ   ـة لما أغرى به حوّاءَ
وتلفّت إلى القبائل وانظر   أمهاتٍ يُنْسَبْنَ أم آباءَ
ولعمري ما العجز عندي إلا   أن تبيت الرجال تبكي النساءَ

ومن أثر حبه للجمال النفسيّ حبه للصداقة والصديق . فقد كان لطبيعته المسالمة ، ونفسيته الشاعرة ، وحاجته إلى المعونة ، يطلب الصديق ويحرص عليه ويتعهده . وكثرة أشعاره في العتاب والإعتاب تدلّ على استبقاء الأصدقاء ومعاودتهم ، وقصائده في رثاء من ذهبوا منهم تنبىء عن الحزن عليهم والوفاء لهم ، ولقد صادق أبا تمام ودعبلاً والفتح بن خاقان وأبا العيناء والمبرّد ومحمد بن

بسام وابراهيم الصولي والفضل اليزيدي وغيرهم من نوابغ العصر فما ذمّوا عهده ، ولا أنكروا ودّه ، على الرغم مما يكون بين الأنداد من التنافس والتحاسد . ولكنه كان يقول أحياناً لمثل المبرد « أحبك ولكنّ الفن أحبّ إليّ منك ! »

حدث البحتري نفسه قال : خرجت من منزل أبي الصقر (أحد وزراء المعتمد) نصف النهار في تموز ، فقلت ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرد . وكان منزلي بعيداً بباب الشام ، فجئته ، فأدخلني إلى حويشة له وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين ، وسقاني ماء بارداً ، وقال لي أحدثك إلى أن تنام . فجعل يحدّثني أحسن حديث ، فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان ، فسألته أن أنشدهما ، فقال ذلك إليك ، وهو يظنّ أني مدحته بهما ، فقلت :

ويوم كحرّ الشوق في صدر عاشق   على أنه منه أحرّ وأومد
ظللت به عند المبرد قائلاً   فما زلت في ألفاظه أتبرّدُ

فقال لي : قد كان يسعك إذا لم تحمد ألاّ تذمّ ، ومالك عندي جزاء إلاّ أن أخرجك . والنكتة التي اصطادها من الحرّ ومن معنى المبرد هي التي ورطته هذه الورطة .

كذلك كان من أثر حبه للجمال النفسيّ حبه للعباقرة من كل جنس ، يشهد بذلك قوله في سينيته التي وصف بها إيوان كسرى :

وأراني من بعد أكلف بالأشـــــراف طرّاً من كل أسّ وجنس

وكذلك اعترافه بالجميل لأهله . وذلك واضح في قوله من هذه القصيدة نفسها :

عمرت للسرور دهراً فصارت   للتعزي رباعهم والتأسي
فلها أن أعينها بدموعٍ   موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري   باقتراب منها ولا الجنس جنسي
غير نعمى لأهلها عند أهلي   غرسوا من زكائها خير غرسِ
أيّدوا ملكنا وشدوا قواه   بكماة تحت السنوّر حُمْسِ

وأمره مع أبي تمام شاهد آخر على أصالة هذا الخلق فيه . فقد رووا أن بعض الناس سمع شعره فقال : « والله ما ينفعني هذا القول ولا يقصرّ أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلاّ به ، ولوددت أن الأمر كما قلت ، ولكني والله تابعٌ له ، آخذٌ منه ، لائذٌ به ، نسيمي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سمائه . » والاعتراف بالجميل والحقّ دليل الاعتداد بالنفس والثقة والمقدرة .

* * *

أما ما نُسب إليه مما يُنافي حب الجمال ، ويُجافي سلامة الذوق ففيه نظر وله تأويل . قالوا : إنه كان بغيض الإنشاد ، يتشادق ويتزاور في مشيته جانباً أو القهقرى ، ويهزّ رأسه مرةً ، ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين قائلاً : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله . وهذه الحادثة إن صحت لم تقع إلا مرة واحدة كانت في مجلس المتوكل ، ولم يروها إلاّ رجل واحد كان « أبا العنبس الصيمري » ، وهو رجل ماجن مزّاح كان ينادم رُضّاع الكأس فيخترع لهم الأضاحيك ، ويروي الأفاكيه . قال يروي هذا الخبر لجحظة : « كنت عند المتوكل والبحتريّ ينشده :

عن أي ثغرٍ تبتسمْ وبأيّ طرفٍ تحتكمْ

فكان يتشادق ويتزاور إلى آخر ما وصف . فضجر المتوكل من ذلك وقال لي : بحياتي اهجه على هذا الرويّ الذي أنشدنيه فقلت :

أدخلتَ رأسك في الحُرَمْ وعلمت أنك تنهزمْ

الى آخر ما أنشد من ركة وقحة . فالحادثة اذا قبلنا في إثباتها خبر الواحد وهو مجروح بمجونه ، منزلة في مجلس شراب زالت فيه الكلفة ، وذابت التفرقة وانطلق المكبوت من الوعي الباطن . فما كان من البحتري كان سورة كأس ، ونشوة طرب ، وما كان من الصيمري كان فرصة تهريج ، ونزوة

دعابة ، وما كان من المتوكل كان عبثاً بالشاعر ولهواً بالنديم . على أن المرة الواحدة وإن وقعت في الصحو لا تكسب خلقاً ، ولا تثبت نقيصة .

* * *

هذه أيها السادة صورة تقريبية لشخصية الشاعر الأكبر ، رسمتها في إطار الزمن المقدر لعرضها عليكم . فإذا أضفت إليها بعض الصفات الخَلْقية التي تجمعت كل صفة منها من طريق ، كقول أبي الفرج : « إنّ لحيته كانت شمراء طويلة » ، وقول ابن الرومي : « إنّ وجهه كان مسنوناً ذنوباً » ، وقول أبي العلاء : إن قدميه كانتا كقدمي الديك » ، وقول الصولي : « إن بدنه كان قصداً بين الطول والقصر ، وبين السمن والهزال ، وأنه كان معافىً طول عمره فلم يشك علةً في جسده ، ولا عقدة في نفسه » استطعنا أن نتبين من خلالها ، على اختلاطها واجماعها معارف هذا الفنان العظيم الذي حمل قيثارة الشعر بعد أبي تمام فزاد في أوتارها وَتَرَ الوصف الدقيق المُصَوِّر ، وفي ألحانها لَحْنَ الغَزَل الرقيق المُعَبِّر ، فكان خليقاً بقول صاحب « المثل السائر » فيه : « أما البحتري فأراد أن يشعر فَغَنَّى . »

والفضل في فضله إنما كان لأمه الشام : مثابة الأدب الخالص ، والعروبة النقية ، والاسلام الصحيح ، فإنها بفضل ما حباها به الله من زكاوة التربة ، وأصالة الفطرة ، وفتون الطبيعة ، قدّمت إلى الشعر في حبيب والوليد وأحمد عُزّاهُ وَلاتَهُ وَمَناتَهُ كما قال « ضياء الدين بن الأثير » وأعادت إلى العرب الخُلَّص سَبْقَ الشعر ممن غلبهم عليه من الشعراء الموالي بإنجابها العباقرة الخمسة : أبا تمام ، وأبا عبادة ، وأبا الطيب ، وأبا فراس ، وأبا العلاء . فالاحتفال بالبحتريّ احتفال بها ، وتكريم البحتريّ تكريمٌ لها .

والله سبحانه وتعالى يُخلِّدُ في رحمته وجنته روح الابن ، ويكلأ بعينه وعونه حياة الأمّ .

احمد حسن الزيات

مقدمات الترجمة الصحيحة

العلوم والمعارف جميعاً لا تعرف وطناً تستقرّ فيه ، ولا تؤمن بالقيود الاقليمية التي يفرضها علم الاجتماع الحديث على الحياة . فهي تتخطى التخوم التي أبدع الساسة والجغرافيون رسمها على الخارطة الجغرافية ، وتتحدّى الاقليميات الضيقة التي تقتضيها مطالب السياسة ، وتنتقل من ذهن إلى ذهن غير عابئة بعقبة اللغة ، وتتداعى لها العقول أيّاً كانت المذاهب والعقائد التي يدين بها أهل العلم والمعرفة . فالعلم إنسانيّ عام ، والمعرفة بشريّة شاملة ، فتنتقل العلوم والمعارف من مكان إلى آخر كانتقال الهواء من موضع إلى غيره بالانتشار والانسلال ، ساخراً من كلّ حدودٍ عيّنها البشر ، وكانتقال هاطلات الغيث من مشرقٍ إلى مغرب ومن شمالٍ إلى جنوب ، لا ترى أتنزل على قومٍ من هذا القبيل أم من ذاك .

وهذا الطابع الإنساني البشري الشامل الذي يُميز العلوم والمعارف قد اقتضى أن يكون بين اللسان واللسان تفاهم وتجاوب ، وأن يفهم العالِمُ العربيّ مثلاً ما يقوله العالِمُ الغربيّ ، وأن يستوعب علماء الألمان ما سبقهم إليه العلماء الروس ، وهذا حمّل المترجمين عبئاً ثقيلاً لأنه طالبهم بأن ينقلوا إلى لغى العالم الحية كل خطوةٍ من خطى العلم مهما ضؤل شأنها ، وكل كشف يهتدي إليه عالم ولو كانت لسانه لهجةً دارجةً من مئات اللهجات الصينية ، وكلّ ظاهرةٍ طبيعيةٍ يرصدها راصد ولو كان أبكم معقود اللسان .

ويطيب للبعض أن يهوّن من شأن الترجمة والمترجمين فيزعم أن في عملهم آليةً ، وأن عجزهم عن الابداع في التأليف وجّههم شطر الترجمة لسهولة مأتاها

وانصياعها انصياعاً تلقائياً للمشتغل بها . ولئن كان الاشتغال بالترجمة زمناً مديداً يورث المترجم مرعة ويُدنيه من الاتقان ، فإن ذلك ينبغي ألاّ يلقي في الوهم أن الترجمة عملٌ هين ُيلِمّ به مَن ضعفت أداته الأدبية ، ومَنْ استغلقت آفاق تفكيره دون الانتاج الأدبي المبدع . وفي هذا الصدد ُيفتينا الدكتور يعقوب صرّوف برأيه الصائب فيقول : « وليست الترجمة بالأمر الهين بل هي صعبة ، وأصعب من التأليف ، لأن المؤلف طليق بين معانيه ، والمترجم أسير معاني غيره مقيد بها ، مضطر إلى إيرادها كما هي وعلى علاّتها ، إذا تَوَخَّى الأمانة في الترجمة كما هو الواجب ، وإلاّ فليس مترجماً بل هو مصنف »[1] .

وقد تكون الترجمة السوقيّة السريعة عندنا عملاً ميسوراً لكل مجتهد أو قليل الدُربة . أما الترجمة الفنية التي ُيقام لكل لفظةٍ منها وزنٌ ومثقال ، والتي تتناول العلوم والمعارف على اتساع ميادينها ورحابة آفاقها ، فإنها تستعصي إلا على القلّة المتخصصة المجوّدة البصيرة التي يتعين عليها باديء ذي بدء أن تفهم الموضوع الذي تتصدى لترجمته ، وأن تعرف مصطلحاته وألفاظه العلمية بلغتها الأصلية ، وأن تتقن إلى جانب ذلك قواعد اللغة العربية من نحوٍ وصرفٍ وبديع وبيان ، وأن تلمّ كذلك إلماماً دقيقاً بعبقرية اللغة العربية من حيث هي أداة للتعبير ، وبأساليب الاشتقاق والتعريب فيها حتى يتسنى لتلك القلة إيجاد ألفاظٍ عربية ، وتعريب ألفاظ أعجمية ، وسك تعبيرات تتداولها دوائر العلم في كل مقول ومكتوب ، مفصلةّ اللفظ على قدر المعنى ، غير منفّرة الناس من تبني تلك المصطلحات .

وإتقان الترجمة عموماً يتأتّى إذا استقامت له أركانه القويمة . وأول تلك

(١) « يعقوب صروف العالم والإنسان » تأليف الدكتور فؤاد صرّوف ــ دار العلم للملايين ــ ص ٦٥ ــ ٦٦

الأركان التمكن التام من اللغات التي يشتغل بها المترجم . فالفهم يسبق النقل ؛ ولا بدّ لفهم المتن المراد نقله من إجادة اللغة التي كُتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذها وشواردها ، ولا بدّ قبل النقل من إجادة اللغة التي ينقل إليها النص . فإذا قعدت أداة اللغة بالناقل ، عزّ عليه أن يترجم ترجمةً صحيحةً يعوّل عليها ، وجاء كلامه مهلهلاً لا يضبط معنى ولا يؤدي رسالةً محددة الأهداف . وإذا جاءت المعاني فضفاضةً تحمل على أمشاج من الاحتمالات فقد يسوغ هذا في أدب الانشاء والوصف حيث يصح للكاتب أن يحجب جزءاً من المعنى ليتيح للقارىء أن يتوسل بخياله إلى بلوغ ذلك المعنى الخفيّ أو المرموز إليه ، أما في الكتابة العلمية ، فلا مناص للألفاظ من أن تحدد دلالاتها وتتسدد اتجاهاتها حتى لا ينصرف المعنى إلا إلى ما جال في خاطر واضع النص بحرفه وروحه . فالمترجم الضليع هو قبل كل شيء عالم لغوي مكين أمين . وان تختلف هذه المعادلة في أي ظرف ، لأنه لا ترجمة مكتملة الخصائص إلا إذا أدتها لغةٌ صحيحة المقاييس وتلك قاعدة أولى بل عظمى في كل ترجمةٍ يصحّ في عرف العلم الأخذ بها والاستئناس بمدلولاتها .

والركن الثاني من أركان إتقان الترجمة هو المرانة على أيدي أساتذة خبراء أعلام . فالترجمة لا تنال من معهد ولا تدرس في الكتب ، بل تقتنى أدواتها من تجارب الحياة بإشراف أساتذة حذقوا هذا الفن وصاروا من أقطابه المشهود لهم بالكفاية المطلقة . فبفضل هذه المرانة يتنبّه المترجم إلى ما قد يلتبس عليه من المعاني ، ويعرف نواحي القصور في ترجمته ، ويزداد بصراً بأساليب الترجمة القويمة ، ويعمق فهمه للفلسفة العامة التي تهيمن على صناعة الترجمة . والذي لا مرية فيه أن التلمذ على الاساتذة المجلّين في الترجمة يعين المبتدئ لا على تصويب أغاليطه وحسب ، بل كذلك على الاشرئباب إلى مستويات عليا يحدوه

إليها ما يأنسه في أساتذته من دقةٍ وتمكنٍ واستشرافٍ للغايات البعيدة في مجالات الفكر . فالعبرة الرئيسية في الترجمة هي « بالكيف » لا « بالكمّ » ولا « بالسرعة » . فإن اجتمع الكمّ والسرعة إلى عنصر الكيف صار المترجمُ من أعلام عصره الشوامخ . أما السرعة وحدها فهي مجلبةٌ للعثرات ، والكمّ وحده عرضة للثغرات والفجوات ، ولكن الكيف هو في حدّ ذاته القيمة الخالدة لكل ترجمةٍ حريصةٍ على اللفظ والمعنى والأسلوب ، مُرادها محاكاة الأصل بحرفه وروحه ومغزاه ، بل التميز عليه إن أمكن ، ونقل النص إلى القارئين بلسانٍ آخر ، ومنهم كثيرون على غير درايةٍ بلغة النص . وخيرُ ضابطٍ لبلوغ هذا الهدف البعيد القريب في آن هو الأستاذ ، الذي أفنى في الترجمة حياته ، فَبَلَاها وخبرها وتخصص في أساليبها وامتاح من مَعينٍ لا ينضب من تجارب هي المعلم الأكبر في الحياة .

وفضلُ الأستاذ الموجه على المترجم المبتدئ فضلٌ لا يُحد ولا يُقدَّر ببدر المال . وإذا جدّ التلميذ في سيره محتذياً أستاذه ، فقد يصبح امتداداً له ويغدو عمله إتماماً لرسالته .

بيد أن الترجمة ليست كالحرفة اليدوية يأخذها التلميذ عن أستاذه أخذ محاكاة ، ولكنها علم وفن معا ، يأخذُ التلميذ أصول ذلك العلم ومبادئه المثلى عن أستاذه ، أما في باب الفن فالمجال فسيح لكل مجتهدٍ مجدّدٍ دؤوب . ولعل خيرَ ما يرثه التلميذ من أستاذه التفطن إلى فلسفة الترجمة حتى تتربى فيه ملكة التمييز والمفاضلة وحاسة الفهم للمعاني وظلال المعاني . فالمترجم ليس آلةً ، ومهما ابتُدِعت الآلات الالكترونية التي تقوم مقام العقل في بعض أعماله ، فلن تستطيع أن تُلغي عمل المترجم ولا سيما مترجم العلوم والمعارف والنظريات . وستبقى الترجمة منحصرةً في وظائف العقل البشري يؤديها متى اكتملت له

المدّة ومتى فطن إلى حقيقة رسالة الترجمة من الملازمة المستمرة لأئمة المترجمين ، ثم من خبرة الأيام .

والركن الثالث لإتقان الترجمة هو ركن الخبرة الطويلة التي يؤتاها المرء في سنوات قد تلتهم العمر كله . وللخبرة شقّان : خبرة من واقع تجارب المترجم نفسه يكتسبها من التجربة والخطأ ، وخبرة من مراجعة أعمال غيره من المترجمين ودرسها درساً مقارناً ، والانتفاع بما فيها من فضائل ، واجتناب ما يشوبها من معايب . والترجمة تقتضي معايشةً للعمل الذي يتصدّى له المترجم ، فيعيش ولو بذهنه مع مؤلفه ، ويعيش مع العصر الذي كُتب فيه النصّ ، ويعيش مع النص نفسه حتى يرهقه المترجم درساً واستيعاباً وتمحيصاً . والقارىء العادي يختلف في القراءة عن القارىء المترجم . فالأول يقرأ قراءة سريعةً ولو تأنى أما الثاني فيقرأ على مهل وفي بطء لأنه سينشغل بعد ذلك بترجمة هذا الأثر ، وقد لا يقنع بقراءة واحدة فيعيد التلاوة مُنعماً النظر في كل كلمة وفي كل حرف ، متشرباً روحَ المؤلف متفهماً غاياته مشاركاً إياه في اهتماماته . ومتى تشبّع المترجمُ تشبعاً تاماً بالبحث الذي يعكف على ترجمته ، هانت عليه مهمته لأنه يكون اذ ذاك مشتغلاً لا بطلاسم ومعميات ، بل بمدركات مفهومة لم يغب من أطرافها شيء عن المترجم الناقل .

وهناك خبرةٌ طولية وخبرة عرضية ، فالطولية لا تتميز بالعمق إلا بعد زمان مديد ، أما العرضية فقد آثرت العمقَ على الامتداد . وتشترك الدواب مع الإنسان في خبرة الطول ، لأنها تتعلم بالتكرار وتعرف مواعيد أكلها وعملها واتجاهات سيرها من طول المعاودة . وإذا زاول امرؤ عمل الترجمة في صحيفة سيارة فإنه يغدو مع الوقت مترجماً مرموقاً ، أما إذا انكبّ على ترجمة كتاب فلسفة أو قانون أو علم نفس ، فعندئذ لا تنفع خبرةُ الطول التي اكتسبها

بمضي الوقت ، ولا بد من خبرة العرض ، أي العمق في الفهم والإدراك مع الإلمام بالمصطلحات المتواضع عليها والقدرة على وضع مصطلحات جديدة كلما تفتّق الذهن البشري عن جديد . والمترجم الضليع الذي ينصرف من باكورة حياته إلى الترجمات العميقة الغور يكتسب مع الوقت خبرةً في الاتجاهين : طولاً وعرضاً ، وهي أعظم خبرةٍ إنْ دانت لأحد .

وقد يرى المترجمُ أن يتخصص في فرع من فروع العلم فيقف عليه قلمه وحياته وكلّ جهده واهتمامه ، وقد يرى أن يُعدّد فروع العلم التي يشتغل بترجمتها ولا سيما إذا تقاربت ميادينها كالجغرافيا والجيولوجيا ، أو علم الحيوان وعلم النبات ، أو الطبيعة والفلك ، فإنْ كان التخصص دأبه فقد عمّق مجال اهتمامه ، أما إن ارتأى التنوع والتعدد ، فقد بات عُرضةً للتضحية بالعمق .

« ولكي يكون المترجم مجيداً ، يحسن أن تكون الترجمة هوايةً وعملاً في آن »(١) ، أي أن يشعر المترجم بأنه مقبلٌ على عملٍ يحبه ويهواه ويتعشقه ويقضي فيه الساعات الطوال دون أن يستشعر مللاً ولا يبخل عليه بوقت أو جهدٍ في سبيل إتقانه والتفوق فيه . فإذا كان القصدُ من الترجمة التكسب باعتبارها وسائل الظفر بلقمة العيش ، انحرفت عن رسالتها وانقلبت إلى ما يشبه العمل التجاري . فهواية الترجمة خير حافز للمشتغل بها ، تلهمه الاجادة ، وتعوده الصبر على عناء البحث ، وتملأ نفسه رضا بعمله وإقبالاً عليه . وشرّ أنواع الترجمة ما أقدم عليه صاحبه كارهاً وما حسب الناقل تأديته واجباً ثقيلاً . وقد حدثني المترجم العربي الضليع المرحوم عادل زعيتر عن هوايته الترجمة ، فقال إنه لم ير مناصاً لاشباع هذه الهواية من الانصراف عن المحاماة وتدريس القانون ــ وكان

(١) « قضايا الفكر في الأدب المعاصر » لكاتب هذا المقال ــ المكتب الفني للنشر ــ ص ١٠٦

مبرزاً في هذين الميدانين — كما إنه لم يقلع عنها إلا عندما بدأ بصره يذوي ونظارته تغلظ ، والا عندما فاجأه مرض القلب مرتين ، وفي الثالثة ألحقه بالرفيق الأعلى . أما ثمرة هذه الهواية الحبيبة لدى عادل زعيتر فتتجلى في المجلدات الأربعين التي نقلها إلى الضاد بلغة بيانية مشرقة .

والذي تقوم الترجمةُ عنده مقام « الخبز اليومي » يجابه مشكلات لا معدى له عن التماس حلول لها ، سواء من بنات تفكيره أو من تجارب الرواد في الترجمة .

فمن هذه المشكلات مثلاً شيوع مصطلحات غير دقيقة على الألسنة ، وتعذر استبدال غيرها بها ، مع تعدد المعاني التي تؤديها تلك المصطلحات الشائعة . وعلى سبيل المثال نذكر كلمة « فني » العربية فإنها تستخدم لتأدية معاني ثلاثة مصطلحات فرنجية هي : Technical و Technological و Artistic . وقد جرى بعض المترجمين على استخدام لفظة « تقنيّة » لتأدية معنى Technological ولكن الأذواق ما زالت تنفر منها . فإذا كان المترجم ينقل نصاً من العربية إلى الانجليزية ووقع فيه على لفظة « فني » ، حار في اختيار المرادف المقصود ، ولا ينقذه من هاته الحيرة إلا سياق الكلام .

فان كان المترجم منصرفاً إلى نقل نص انجليزي إلى اللغة العربية فقد تصادفه مشكلة مماثلة مؤداها أن المصطلح الانكليزي بمشتقاته يتخذ أشكالاً مختلفة باللغة الضادية . ونذكر على سبيل المثال لفظة Nation ومشتقاتها National و Nationalization و Nationalism و Nationality و International فان لفظة Nation مشتركة في جميع هذه الألفاظ دون استثناء ؛ أما في الضاد ، فقد ترجمت هذه الألفاظ على التوالي كما يلي : أمة (أو قوم) وجنسية (أو تابعية) وقومية وتأميم ومواطن (أو رعية) ودولي .

فاذا ترجمنا National bank كانت الترجمة البنك الأهلي ، وإذا نقلنا إلى الضاد National anthem جاءت السلام الوطني . ولا حيلة للمترجم أمام هذه الألفاظ العربية الكثيرة التي ليست بينها صلة اشتقاق ، وهو مضطر بحكم شيوعها إلى استخدامها ولو حسب القارىء العربي أن الرابطة بينها مفقودة ، في حين أن القارئ بلغة شكسبير يتبين هذه الرابطة للوهلة الأولى .

ومن مشكلات الترجمة المفاضلة بين الترجمة الحرفية والترجمة بتصرّف . ومؤكد أن كفة الترجمة الحرفية أرجح ، إلا إذا أهدرت المعنى وهلهلت الأسلوب فان جاز للمترجم أن يطلق لنفسه حرية التصرف ، فلتكن تلك الحرية مسيجة بسياج من الأمانة وحُسن الفهم وأداء المعنى ، ولتكن الحرية معصومةً من الشطط بريئة من جناية إقحام معانٍ على نص لم ترد فيه . والمترجم المكين هو الذي قطع في الترجمة أشواطاً بعيدة هوّنت عليه مهمة الترجمة الحرفية دون التضحية بتراكيب الجمل أو ببلاغة اللغة أو بوضوح المعنى . فلن يتسنى للقارىء أن يكوّن فكرة صحيحة عن كاتب ما إلا إذا روعيت الحرفية الدقيقة في ترجمة آثار ذلك الكاتب دونما إخلال بروح النص فضلاً عن حرفه .

ولعل أكبر مشكلات الترجمة هي مشكلة المصطلحات العلمية . فهناك مصطلحاتٌ انعقد عليها الاجماع ولم يعد يُختلف في أمرها . بيد أن هناك مصطلحات غيرها تعددت ترجماتها وصار حتماً على المترجم أن يفاضل بينها بحاسيّته العلمية وذوقه الأدبي وإدراكه العميق ليتخير منها أصلحها ، وقد يهجرها جميعاً إلى مصطلح يبتدعه ويعمل تعميمه . ثم ان اطراد التقدم في ميادين العلم يتفتق كل يوم عن مصطلحات فرنجية جديدة ليس لها مقابل موضوع ولا تُعين المعاجم في ترجمتها . وهنا تتجلى عبقرية المترجم ، إذ عليه أن يصوغ لهذا المصطلح الجديد الوافد مقابلاً له باللغة التي ينقل إليها يُراعي فيه دقة التعبير عن المعنى

وسهولة النطق والاستعمال والبعد عن الالتباس . وقد أورد الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي في كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» القواعد السليمة لوضع المصطلحات العلمية فجاء بحثه خير هادٍ لكل سائر في درب الترجمة .

ولا ريب في أن ترجمة أمهات الكتب ينبغي أن تسبق ترجمة ما هو عالة عليها . وما دامت الترجمة عمل الأفراد لا الهيئات -- إلا في القليل — فليكن رائد المترجمين طلب المعالي ، ينقلون العصي قبل الهين ، ويعنون بالتراث العلمي الإنساني قبل العناية بقشور المعارف ، فما زالت المكتبة العربية فقيرة في ترجمات التراث الغربي ، وما زال جهد المترجمين متواضعاً إذا قوبل بالعبء الثقيل الملقى على عواتقهم ، وما زال عدد المترجمين المتمكنين ضئيلا في البسيط العربي .

(القاهرة) وديع فلسطين

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا · ل · كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ١٣ -

رقم المصطلح			رقم المصطلح
12778	Stimulants cérébraux, Amines de réveil, analeptiques du réveil, médicaments défatiguants	مُنَبِّهات دماغية ، مثيرات اليقظة أدوية مزيلات التعب مريحات	١٢٧٧٨

وأرجح ان يقال في ترجمة هذه المصطلحات : مُنبِّهات أو حاثّات دماغية [١] وأمينات الايقاظ [٢] وناعشات اليقظة [٣] أو منعشات اليقظة والأدوية المريحة .

(١) لقد درجت على ترجمة (Stimulant) و (Stimuline) بالحاث والحاثة مع العلم ان لفظة مُنبِّه لا تفي بهذا الغرض تماماً .

(٢) لقد جاء في الترجمة الانكليزية لهذا المصطلح (Cerebral stimulants of the - amine group) أعني حاثّات الدماغ من فئة أمين وكذا جاء في الترجمة الألمانية (Weckamine) أي الأمينات الموقظة أو المنبهة .

(٣) الصفحة ٤٦٠ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

12779 Stimuler, exciter, animer حثّ ، نبّه ، أنعش ١٢٧٧٩

أرجح حثّ وأثار ونعّش أو انعش ، بتخصيص الإثارة ترجمة لـ (Excitation)

12781 Stomacace تقرح الفم النتن ١٢٧٨١

والتهاب الفم القرحي كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's)

12792 Strabisme divergent (externe) خَزَر ١٢٧٩٢

وأرجح الحَوَل الوحشي والقَبَل هو الحَوَل الأنسي (١) .

12799 Stramoine جَوزٌ ماثل ، جَوثَلٌ ١٢٧٩٧

في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي تعريب (Datura - stramonium) أو (Stramoine) بداتورة ، وتخصيص جوز ماثل وبقّم وبقّم للفظة (Datura metel) وان كلمة (Metel) من ماثل .

12798 Strangurie تقطّر البول ١٢٧٩٨

ويعني باللفظة الفرنجية سيلان البول قطرة قطرة مع ايلام ، وهو ما يحدث في التهاب المثانة وتخرشها ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بالمَثَن (٢) .

---

(١) لقد جاءت كلمة خزر للدلالة على الحَوَل الوحشي عرضاً في مادة قبل من لسان العرب : القَبَل في العين إقبال السواد على المَحجِر بل اذا اقبل سواده على الأنف فهو أقبل ، واذا أقبل على الصُدغين فهو أخزَر .

وجاء في اللسان في مادة خزر : الخَزَر بالتحريك ، كَسرُ العين بَصَرَها خِلقة وقيل هو ضيق العين وصغرها وقيل هو النظر الذي كأنه في أحد الشقّين ، وقيل هو أن يفتح عينه ويغمضها ، وقيل الخزر هو حَوَل إحدى العينين ، والأحول الذي حولت عيناه جميعاً وقيل الأخزر الذي أقبلت حدقتاه الى أنفه والأحول الذي ارتفعت حدقتاه الى حاجبيه والخ .

(٢) في المخصص : مَثِن كنصر لم يستمسك بوله في مثانته فهو أمثن والمرأة مثناء والمَثِن والمثون الذي يشتكي مثانته .

في اللسان : مَثِن بالكسر مَثَناً فهو مَثِن وأمثن والأنثى مثناء اشتكى مثانته وقال ايضاً والمَثَن وجع المثانة وهو ايضاً ان لا يستمسك البول فيها .

١٢٨٠٢ خمج عِقدي — 12802 Streptococcie

وأرجح اتان بالمكورات العقدية (١) .

١٢٨٢٢ حَرَض خنازيري — 12822 Strumiprive

واللفظة صفة ونسبة الى الحالة البادية إثر نزع الدرق ، لذا فالصحيح في ترجمة افتقاد سلعي او دَرَقي (٢) .

١٢٨٢٣ ذُهول — 12823 Stupeur

ويعني باللفظة الفرنجية الحالة التي يكون فيها العليل قليل الوعي شأن ما يكون في الحميات الشديدة لذا أرجح ترجمتها بفتور الوعي ولفظة ذهول لا تدل الدلالة ذاتها (٣) .

١٢٨٢٦ ذاهل — 12826 Suporeux, euse

وأرجح فاتر الوعي وفاترة الوعي .

١٢٨٣٢ عقولات (مُقبِّضات ، مُعفِّصات) — 12832 Styptiques (astringeants)

ان اشتقاق اللفظة في الأصل من العقول ، إلا ان استعمالها الآن يقتصر على

(١) الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) معجم بلاكستون (Blakiston's) .

(٣) في اللسان : الذهل تركك الشيء تناساه على عمد او يشغلك عنه شغل ، تقول ذَهَلْتُ عنه وذَهِلْتُ وأذهلني . وفي التنزيل العزيز : يَوْمَ تَذْهَلُ كل مرضعة عما ارضعت أي تسلو عن ولدها . ذَهَلَ الشيء وذَهَلَ عنه وذَهِلَه وذَهِلَ بالكسر عنه يَذْهَلُ فيها ذَهْلاً وذُهولاً تركه على عمد او غفل عنه او نسيه لشغل والخ .

إرقاء الدم [١] لذا أرجح ترجمتها برَقوء [٢] بصيغة الفرد ورقوءات بصيغة الجمع .

١٢٨٣٨ دُوَار خفيف 12838 Subdélire

والصحيح هذَيان خفيف . فقد ترجمت اللجنة لفظة (Délire) بهذيان (اللفظة ٣٩١٥) كما انها ترجمت لفظة (Vertige) بدوار (اللفظة ١٤٢٥٧)

١٢٨٤٢ تحكَّش الرَّحم الناقص 12842 Subinvolution

وأرجح نكوص الرحم الخفيف [٣] ويعنى بهذه اللفظة تراجع حجم الرحم الى حجمها الاعتيادي بعد تمام الولادة .

١٢٨٥٥ دون النظامي 12855 Subnormal, le

---

(١) جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) في شرح لفظة (Styptic) : ما يوقف النزف باحداثه تقلص عروق الدم كالشَّب (Alum) وحمض العفص (Tannic acid) .

(٢) في اللسان : والرَّقوءُ على فَعول بالفتح ، الدواء الذي يوضع على الدَّم ليُرقِئه فيسكن والاسم الرَّقوء .

(٣) سبق للجنة ان استعملت في ترجمة (Involution) حَكَش وتَرَدٍّ (اللفظة ٧٤٩٣) وقد فاتني الاشارة اليها في حينه . ولا أرى في كلتي اللفظتين ما يفيد المعنى المطلوب ، فقد جاء في اللسان الحَكَش الظلم ورجل حاكش ظالم الى أن قال والحَكيش والمَكيش الذي فيه التواء على خصمه . وفي التاج : الحَكْش اهمله الجوهري وقال ابن دريد هو الجمع والتقبض ويقال رجل حكش عكش كثير ملتو على خصمه ومنه حوكش والخ .

أما التردي ، فقد جاء في اللسان : ورَدِيَ في المَهْوَاة ردّى وتَرَدّى تَهَوَّر ، وأرْداه الله فتردّى قلبه فانقلب وفي التنزيل العزيز وما يغني عنه ماله إذا تردّى قيل اذا مات وقيل اذا تردّى في النار من قوله تعالى والمُتَرَدِّية والنطيحة وهي التي تقع من جَبَل او يَطيحُ في بئر أو تسقط من موضع مشرف فتموت .

وأما النكوص : فقد جاء في اللسان ، نَكَص الرَّجُل يَنكِصُ رجع الى خلفه الى ان قال والنكوص الرجوع الى وراء وهو القهقرى .

وأرجح دون السوي (١) .

١٢٨٧١ مادة ابتدائية 12871 Substance à seuil

وحري بلفظة مادة ابتدائية ان تكون ترجمة لـ (Substance primitive) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة (Primitif, ve) (اللفظة ١٠٩٣٢) ولا صلة للابتدائي والابتدائية بهذه اللفظة . والصحيح أن تكون الترجمة مادة ذات عتبة او حد (وقد سبق للجنة ان ترجمت لفظة Seuil بعتبة) (اللفظة ١٢٣٨١) ويقابلها بالانكليزية (Threshold) ويعني بهذه اللفظة بعض المواد التي يحويها الدم ولا تجتاز الكلوة الا عندما تبلغ نسبتها فيه حداً معيناً وأوضح مثال على ذلك مادة الغلوكوز الذي يحويه الدم في الصحيح بنسبة لا تتخطى ١،٤٠ و١،٣٠ غ في الألف ، لذا لا يمر الغلوكوز أي السكر الى البول في الصحيح بينا يمر في العليل بالداء السكري من الكلوة بادياً في البول متى ارتفع مقداره في الدم متخطياً ١،٦٠ غ في الألف . لذا يعد الغلوكوز من المواد ذات العتبة او الحد وعتبته أو حده هو ١،٦٠ غ في الألف .

١٢٨٧٢ مادة بنائية 12872 Substance de structure ou paraplastique

وأرجح مادة البناء او مادة نظيرة الجبلة (وقد أهملتها اللجنة) ويعني بها المادة التي تتخذها الجبلة لبناء كيانها او المادة الغذائية التي تتكون في الجبلة وتبقى في ناحية منها (نظيرة الجبلة Paraplasme) او الجبلة المتبدلة (Métaplasme)

١٢٨٧٣ مادة وقاء 12873 Substance tampon

والمشهور عنها مادة راصدة ، وقد عرفت بأنها المادة التي اذا ما اضيفت الى

---

(١) الصفحة ١١٢ من الجزء الأول من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

احد المحاليل حالت دون حدوث أي تغير في تركز شوارد الهيدروجين إثر اضافة حمض او قلوي اليه (١) .

أما الوقاء فالأفضل حصر استعمال اللفظة ترجمة لِ (Prophylactique)

12885 Succédanés, produits de remplacements — مواد مُتبادِلة ، محاصيل تعويض أو تبديل ١٢٨٨٥

وأرجح أبدال (جمع بديل) ومحاصيل الاعاضة .

12918 Suint, graisse de laine, graisse de suint — زوفى ، صوفين ، دَسَم الصوف دَسَم الوَشَل ١٢٩١٨

رَشْح في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ، وعرّف اللفظة بأنه العَرَق الذي يطرّي صوف الضأن .

12941 Sumac vénéneux — سُماق زيبي ١٢٩٤١

والصحيح سُمّاق سام لأن لفظة زيبب خاصة بسم الأفعى (٢) .

12947 Super - infection, surinfection — خمج على خمج ، تضاعف الخمج ١٢٩٤٧

وأرجح اتئان مضاعف (٣) .

12969 Surcharge — فرط الحمل ١٢٩٦٩

وأرجح إثقال وتنواء (٤) .

---

(١) معجم بلاكستون في مادة (Buffler) .

(٢) في اللسان : الزّبيب السمّ في فم الحيّة .

(٣) الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في اللسان : والتثقيل ضد التخفيف وقد أثقله الحمل ، وثقّل الشيء جعله ثقيلاً وأثقله حمّله ثقيلاً وفي اللسان ايضاً ناء بالحمل اذا نهض به مُثقلاً وناء به الحمل اذا أثقله .

12972 Surdi - mutité صَمَم وخَرَس ١٢٩٧٢

وأرجح صَمَم وبَكَم وقد يكتفى بلفظة بَكَم [1] .

12973 Surdistendu, e فائق التمدد بالشد ١٢٩٧٣

وأرجح شديد الامتلاء .

12978 Surexcitation فَرْط التحسس ١٢٩٧٨

وأرجح فرط الاثارة أو الاثارة الشديدة .

12982 Surgras. sse مُسمَّن ١٢٩٨٢

واللفظة صفة لذا أرجح ترجمتها بمفرط السِمَن ومفرط الدَسَم اذ يجوز ان تكون لانسان أو طعام وما شاكله .

12985 Surnatalité فرط نسبة المواليد ١٢٩٨٥

وأرجح زيادة التوالد [2] .

12986 Surnuméraire زائد على العدد المحدود ١٢٩٨٦

وأرجح زائد فقط .

12995 Survie عيشة الباقي ، عيش الباقي ١٢٩٩٥

وأرجح العيش بعد الآخر .

12999 Suspension (pharm.) عُلاقة (صيدلة) ١٢٩٩٩

13000 Suspension colloïdale عُلاقة شبغرية ، ١٣٠٠٠

solution colloïdale محلول شَبغري

(١) في اللسان : البَكَم الخَرَس مع عِيّ وبَلَه وقيل هو الخَرَس ما كان وقال ثعلب البَكَم ان يولد الانسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر ، بَكِم بَكَمًا وبَكَامة وهو أبكم وبكيم أي اخرس بيّن الخرس .

(٢) في اللسان : وتوالدوا أي كثروا .

والشائع مُعاق في اللفظة الأولى ومملّق شبه غروي او غرواني ومحلول شبه غروي او غرواني (مجمع اللغة) .

١٣٠٢٧ وُداد ، ألم الوُدّي — 13027 Sympathalgie

وأرجح الألم العصبي الودّي .

١٣٠٣١ تنبهُ الوُدي ، تنبيه الوُدّي — 13031 Sympathictonie, adrénerie

وأرجح تقوي العصب الودي وتولد الأدرينالين .

١٣٠٥٣ اشتباك — 13053 Synapse

ودرجت على ترجمة اللفظة بالاتصال .

١٣٠٥٨ طبقة الهيولى المخبّبة — 13058 Syncytium

وأرجح كتلة الجبلة المديدة النوى وطبقة الجبلة المخبّبة (علم الأجنة) .

١٣٠٥٩ تناذر زُرام رضّي (في المدعوسين) — 13059 Syrdrome d'anurir trau - - matique (chz les accidenté de l'écrasement)

وأرجح تناذر انقطاع البول [1] الرضي او اللا بولية الرضية .

١٣٠٦٣ تناذر جارات الدّرق — 13063 Syndrome parathyréoprive

قصور جارات الدّرق — insuffisance parathyroïdienne

نقص مفرز جارات الدرق — Hypoparathyroïdie

وأرجح تناذر الحرمان من مجاورات الدرق [2] وقصور مجاورات الدرق ونقص مفرز مجاورات الدرق .

---

(١) الصفحة ٤٧٣ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٨٤ من الجزء الثاني من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

13065 Synergie تداوُب ١٣٠٦٥

ويعنى باللفظة الفرنجية التضامن في العمل بين عاملين اثنين او اكثر او عضوين او اكثر شأن الحال في مشاركة عضلتين في الاتيان بإحدى الحركات التي ما كان لها ان تتم بعمل احداهما . لذا ارجح ترجمتها بالتآزر والتشارك . اما التداوُب فلا أراها تفي بالمعنى المذكور [1] .

13106 Système dispersé, de dispersion colloïde جُملة مُبَعْثَرة ، جملة تبعثر شَبغَرَي ١٣٠٩٣

وأرجح جملة مُبعثرة وجملة تبعثر نظير الغراء او غرواني (مجمع اللغة) .

T

13106 Tabes, ataxie locomotrice progressive, sclérose des cordons postérieurs Leucomyélite postérieure dégénération grise des cordons postérieures سُهام، هَزَع محرك مترقٍ تصلب الحبال الخلفية ، التهاب النخاع الشوكي الأبيض الخلفي ، حؤول الحبال الخلفية السنجابي ١٣١٠٦

وأرجح ترجمة هذه المصطلحات كما يلي : التابس [2] ، الأتاكسيا [3] الحركية المترقية . وتصلب الحبلين الخلفيين (لا الحبال الخلفية) والتهاب النخاع الأبيض الخلفي والتنكس السنجابي او الأشهب للحبلين الخلفيين .

(١) في اللسان : الدأب العادة والملازمة وقال دأب فلان في عمله أي جد وتعب .
(٢) الصفحة ٩٨ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٣) الصفحة ٦٢٤ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

13107	Tabétique	سُهامي	١٣١٠٧
13188	tabétique	مَسْهوم	١٣١٠٨

أقول في الأولى مصاب بالتابس وفي الثانية تابسي .

13144	Tampon (chimie)	وَقاء (كيمياء)	١٣١٤٤

وأرجح راصد [1] .

13160	Tarentisme, chorée hystérique, folie de la danse, chorée rhytmée, épidémique saltatoire.	رَقص هُرَعي ، جنون الرقص ، رقص منظوم وبائي غنفري	١٣١٦٠

اقول في ترجمة في هـذه المصطلحات : الطرنطوية [2] ، داء الرقص الهستريائي [3] ، جنون الرقص داء الرقص النظمي والوبائي والقفزي .

13176	Taux de glycémie	عيار تَحَلّون الدم	١٣١٧٦

وأرجح مقدار غلوكوز الدم .

13225	Tendance à couper les cheveux en quatre, manie métaphysique	ميل الى قص الشعر رُباعي ، مس ما فوق الطبيعة	١٣٢٢٥

والصحيح ميل الى التُرَّهات وَهوَس (مجمع اللغة) ما وراء الطبيعة أومانيا

(١) الصفحة ٤٨ من هذا العدد .

(٢) نسبة الى مدينة (Taranto) في جنوب ايطاليا وهي علة رقصية عزيت الى لسع نوع من العناكب (Tarantula) وزعم ان الملسوع بها يتشفى بالرقص .

(٣) الصفحة ٨٣ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين والصفحة ٣٠٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

ماوراء الطبيعة لأن مايقصد باللفظة ليس معناها الحرفي (قص الشعر الرباعي او الحلاقة الرباعية ؟) وانما هو مصطلح يفيد الانشغال الزائد بالترهات اوعما لا طائل فيه ، وعلى ذلك ورد في معجم لاروس في شرح كلمة (Cheveux) [1] ما يفيد ما تقدم •
وجاء في الترجمة الانكليزية للفظة ذاتها في المعجم الأصلي (Inclination to split hairs) [2] وفي الترجمة الألمانية (Grübelsucht) ما يدل على المعنى نفسه •

أما التّرّهات فقد جاء في تاج العروس التُرّهة كقبّرة الباطل كالتره كسكر وهو في الأصل الطريق الصغيرة المتشعبة من الجادة ، الى أن قال والتُّرهات الصحاصح وهو من اسماء الباطل وقال الزمخشري ثم استعيرت في الأقاويل الخالية من طائل اي من نفع •

١٣٢٦١ محاولة هتك العرض 13261 Tentative de viol

وأرجح تصدٍّ للاغتصاب [3] •

١٣٢٦٥ مبحث عجائب المخلوقات 13265 Tératologie

وأرجح علم المسوخ والتشوهات [4] وسبق للجنة ان ترجمت لفظة (Monstrosité) بمسخ (اللفظة ٨٦٠٦) وعجائب المخلوقات لا تفي بالمعنى

---

(١) Couper un cheveu en quatre : Subtiliser a l excès

(٢) جاء معجم (Oxford Dictionary) في مادة Split hairs : draw over subtle distinctions

(٣) في اللسان : وتصدّى الرجل تعرّضَ له وتفرّغ . والغصب أخذ الشيء ظلماً اي ان قال وفي الحديث : انه غصبها نفسها اراد أنه واقعها كرهاً فاستعاره للجماع .

(٤) هكذا ورد تعريف اللفظة في معجم بلاكستون (Blakiston's) بقوله The Science of malformations and montrosities

المطلوب • وجاء علم التماجيب في معجم الالفاظ الزراعية للامير مصطفى الشهابي

13277 Terrain بقعة ، أرض ١٣٢٧٧

وأرجح تُربة وأرض • لأن اكثر استعمال اللفظة الطبي للدلالة على البنية كقولنا التربة الصالحة لترعرع الجراثيم او لظهور احدى الفئات المرضية •

13283 Terreurs nocturnes ذُعْر او رُعْب ليلي ١٣٢٨٣

ودرجت على ترجمة اللفظة بالمخاوف الليلية ، وهي مستعملة بصيغة الجمع •

13287 Test d'aptitude physique épreuve d'aptitude ou capacité physique اختبار الاستعداد الجسدي او تجربة القوة البدنية ١٣٢٨٧

وأفضل اختبار اللياقة البدنية ، وتجربة اللياقة البدنية او كفاءة البدن •

13288 Test d'éfiicacité, test de valeur curative اختبار النفع ، اختبار درجة الشفاء ١٣٢٨٨

وأرجح اختبار النُجُوع [1] واختبار قيمة الشفاء •

13306 Tète articulaire (d'un os) رأس مَفصلي (لِعَظم) ١٣٣٠٦

اقول هو المشاشة [2] كا وردت في ترجمة لفظة (Epipyhse) اللفظة (٥٠٧٣) •

13324 Théorie de la rétention (hypothèse d Chauveau) فِكْرة الانحباس (فرضية شوفو) ١٣٣٢٤

---

(١) في اللسان : ونَجَع الطعام في الانسان ينجَعُ نُجوعاً هنأ آكله او تبيّنت تنميته واستمراءه وصلح عليه ونجع فيه الدّواء وأنجع اذا عمل .

(٢) في اللسان : المُشاش رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين .

وأرجح نظرية الاحتباس (فرضية شوفو) •

13328 Thérapeutique d' assaut, cure d'attaque, traitement d'assaut مداواة اقتحام ، معالجة اقتحام ١٣٣٢٨

وأرجح مداواة مباغتة ومعالجة هجومية ومداواة بالمباغتة •

13329 Thérapeutique de choc, de désensibilisation, protéinothérapie, traitement de désensibilisation, thérapeutiqne stimulante modificatrice, renversement humoral, thérapeutique altérante, traitement par choc humoral, phlogothérapie مداواة بالصدمة ، بعد التحسس ، استهلاء ، مداواة منشطة ، مُحَوِّلة ، انقلاب خلطي ، مداواة مبدّلة ، مداواة بالصدمة الخلطية ، مداواة بالصدمة ١٣٣٢٩

وأرجح ان يقال في ترجمة هذه المصطلحات تباعاً : مداواة بالصدمة ، بازالة التحسس ، المداواة البروتئينية ، المعالجة بازالة التحسس ، المداواة المنشطة او الحائلة ، المغيّرة ، التبديل الخلطي ، المداواة المُبَدِّلة ، المعالجة بالصدمة الخلطية ، المداواة بالحرارة او بالإلهاب (ترجمة phlogothérapie وقد اهملتها اللجنة) •

13335 Thermoanalgésie, thermoanésthésie فقد الحس الحروري الألمي ١٣٣٣٥

ودرجت على ترجمة اللفظة بيطلان حسي الحرارة والألم والخدر الحروري الألمي •

13337 Thermo - climatisme مداواة بالحمّات والاقليم ١٣٣٣٧

وأرجح ترجمتها بـ ما يتعلق بالحمّات والمناخ (اذ ليس المقصود هنا المداواة)

13358 Thoron, émanation du thorium توروث ، انبعاث الثوريوم ١٣٣٥٨

وأرجح الثوريوم الغازي وتصعدات الثوريوم .

13361 Thrombocytopénie essentielle thrombopénie تأهب نزفي ذاتي فاقة الخثرين ١٣٣٦١

والصحيح نقص الصفيحات الدموية الأساسي وقلة الترومبين .

13361 Thrombocytopénie, hémogénie, pseudo-hémophilie تأهب نزفي ، فاقة خلايا الخثرين ناعورية كاذبة ١٣٣٦١

والصحيح نقص الصفيحات الدموية ، الهيموجينيا والهيموفيليا (مجمع اللغة) او الناعورية الكاذبة .

13362 Thrombogène, sérozyme prothrombine مولد الخثرين ، خميرة المصل ، طليعة الخثرين ١٣٣٦٢

وأرجح مولد الترومبين والخميرة المصلية وبروترومبين .

13365 Thrombose خثر تكون دمة ١٣٣٦٥

وأرجح ترجمة اللفظة بتجلط تجوزاً بعد ما شاع استعمال لفظة جلطة [1] وأقرها مجمع اللغة ، وتخصيص الخثر والتخثر ترجمة لـ (Coagulation) .

13366 Thrombose cardiaque خثر قلبي ١٣٣٦٦

وأرجح تجلط القلب .

(١) في القاموس المحيط : والجلطة بالضم الجزعة الخاثرة من الرائب .

13367 Thrombose par coagulation خَثَر تجثري ١٣٣٦٧

والصحيح تجلط بالتخثر .

13368 Thrombose par compression خَثَر انضغاطي ١٣٣٦٨

وأرجح تجلط بالانضغاط .

13369 Thrombose des coronaires خَثَر الشرايين الاكليلية ١٣٣٦٩

والصحيح تجلط الشريانين التاجيين [١] .

13371 Thrombose marastique خثر تقحلي ١٣٣٧١

وأرجح تجلط تحولي [٢] .

13377 Thrombus خَثْرة دَمة ١٣٣٧٧

وأرجح جُلطة .

13380 Thymique (ce qui - concerne le thymus) تُوتي (ذو علاقة بالتوتة أي الغُدة السَعتَرية ١٣٣٨٠

والصحيح تيموسي وقد درجت على تعريبها واللفظة الفرنجية مشتقة من اليونانية بمعنى الغدة او العقدة او الورم ولا علاقة لهذه اللفظة بالسَعتَر .

13382 Thymus توتة ، غدة سَعترية ١٣٣٨٢

اقول تيموس .

13383 Thyréotoxicose, thyrotoxicose داء الدرقية ، انسمام بمفرزات الدَرَق المريض ١٣٣٨٣

والصحيح الانسمام الدرقي .

---

(١) الصفحة ١٠٣ من الجزء الأول من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) الصفحة ٦٦١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

13388 Thyroïdisme par ingestion تَدَرُّقُن بالمضم ١٣٣٨٨

وأرجع الدَّرَقية او الانسمام بالدرق عن طريق المضم .

13408 Tiqueur مَعرور ، مُصاب بالعَرَّة ١٣٤٠٨

وأرجح ذو عَرَّة .

13410 Tirage (dépression des parois thoraciques pendant les fortes inspirations) انجِذاب ، تَنفس بالجُهد (انخفاض جُدُر الصدر في اثناء شهيق عميق) ١٣٤١٠

ودرجت على ترجمة اللفظة بالانسحاب .

13450 Titrage bioloqique مُعايَرة فنحَيَوية ١٣٤٥٠

وأرجح مُعايرة أحيائية .

13469 Tomographie, planigraphie stratigraphie radiotomie رَسم طَبَقي ، رَسم سطحي . ١٣٤٦٩

وأرجح في ترجمة هذه المصطلحات : تصوير طَبقي ، التصوير على سطوح (جمع سطح) التصوير السُطوحي والتصوير الرَصفي والقطع الشماعي .

13525 Toux irritative, Toux d' irritation سُعال استثاري ، تخريشي ١٣٥٢٥

وأرجح سعال تخريشي وسعال بالتخريش .

13533 Toxalbumine سُملاحين ١٣٥٣٣

وأرجح الآحين السام او السمي .

13537 Toxicomane مُدمِن سم ، مُعتاد سم ١٣٥٣٧

13538 Toxicomanie إدمان سم ، اعتياد سم ١٣٥٣٨

والأفضل ان تكون ترجمة اللفظة الأولى مُولَع بالسم وفي الثانية الولع السمي ، والادمان على السم هو غير الولع به .

13546 Toxi - infection ١٣٥٤٦ انسمام خَمَجي

وارجع انسمام اتاني (١) .

13550 Toxine de - botulisme ١٣٥٥٠ ذيفانُ (السجُق) ، ذيفان مَقانِقي

وارجع ذيفان الانسمام الوشيقي (٢) .

13551 Toxine diphtérique ١٣٥٥١ ذيفان غِشائي (خُناقي)

وارجع ذيفان خانوقي (٣) .

13555 Toxine standard, normale ١٣٥٥٥ ذيفان مُقنَّن ، نظامي

وأرجح ذيفان معاير (مجمع اللغة) وسَوِيّ .

13594 Traitement d' entretien ١٣٥٩٤ مُعالجة محافظة

وأرجح معالجة صيانة .

13604 Traitement prudent, traitement de menagement ١٣٦٠٤ معالجة رَشيدة ، مُعالجة بحِكمة ، بحذر

وأرجح معالجة حَذِرة ومعالجة وَقاءة .

13621 Transe hypnotique ١٣٦٢١ أثناء رقدة او غيبة تنويمية

وأرجح غفوة تنويمية .

13622 Transe hystérique ١٣٦٢٢ اثناء رقدة هُراعية

(١) الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) الصفحة ٦٢٨ من الجزء الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٣) الصفحة ٤٦٨ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح غفوة هيستريائية [١] .

١٣٦٢٣ خلّ 13623 Transfixion

ويعنى باللفظة الفرنجية أحد أمرين : ١ — الثقب وقد تفيده لفظة خلّ وهو الثقب او وضع الخلال [٢] (ولا استعمال له في الطب الحديث ، ٢ — طريقة في البتر يُدخل فيها المشرط في سمك النسج ويتجه فيها بالقطع من الداخل الى الخارج [٣] . لذا يجدر بترجمة اللفظة ان تكون البتر من خلال العضل .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : وخلّ الشيء يخلّه خلّا فهو مخلول وخليل وتخلّله ثقبه ونفذه . والخلال ما خلّه به والجمع أخلة .

(٣) معجم بلاكستون (Blakiston's) في لفظة (Transfixion) .

الإنتاج الفلسفي

خلال المائة السنة الأخيرة في العالم العربي

الفلسفة العامة وفلسفة العلوم

— ٢ —

٨ — الاتجاه العلمي

فقه المعرفة ، وفلسفة العلوم

لما اطلع العرب على تقدم العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية في أوربة ، أخذوا ينقلون كتبها إلى لغتهم ، لشعورهم بما لهذه العلوم من أثر عميق في التقدم الفكري ، والإجتماعي ، والإقتصادي ، فنظرية التطور مثلاً غيرت الإعتقاد بوجود غرض يسير الكون نحوه عن قصد وعلم ، والحقائق التي انتهت إليها العلوم الفيزيائية أحدثت إنقلاباً خطيراً في تصور الإنسان للعالم المادي ، فغيرت نظرية النسبية الخاصة والعامة رأينا في طبيعة المكان والزمان ، وغيرت نظرية الكم علمنا بطبيعة المادة والطاقة . ولم يكن في وسع العالم العربي أن يقف مكتوف اليدين أمام نتائج هذا التقدم العلمي الهائل ، فأخذ مفكروه يعنون بإحياء الروح العلمية ، ويؤلفون الكتب والمقالات في فلسفة العلوم . فمنهم من وجد في نقد العلم وسيلة لإحياء النزعات الدينية والوجدانية ، ومنهم من وجد فيه مسوغاً للاعراض عن علم ما بعد الطبيعة .

من الذين أسهموا في إحياء الروح العلمية في العالم العربي يعقوب صروف صاحب المقتطف ، فقد حملت مجلته إلى النخبة العربية ، من المغرب إلى الخليج العربي ، ومن الفرات الأعلى الى منابع النيل ، زبدة العلم الحديث ، وخلاصة الفكر الأوروبي ؛ ومنهم فؤاد صروف ، ألف في العلوم المبسطة كتباً مختلفة ذهب فيها مذهب عمه يعقوب صروف ، وله بيان وتبحر في الفلسفة العلمية ، من كتبه المشهورة : (١) فتوحات العلم الحديث ، (٢) أساطين العلم الحديث ، (٣) آفاق العلم الحديث ، (٤) الفتح مستمر ، (٥) آفاق لا تحد ، (٦) النار الخالدة ، (٧) مشاهد العلم الحديث ، (٨) الإنسان والكون ، هذا إلى جانب مقالات كثيرة له في موضوع العلم نشرها في المجلات العربية كمقالة العلم والفلسفة في عناق واحد[1] ومقال عنوانه : عنصر حتمي من عناصر النهضة ، مقام العلم في الحضارة[2] ومقالة في مقومات البحث العلمي المادية والبشرية[3] وغيرها ، تدل كلها على إيمانه بقيمة العلم وأثره في تقدم المدنية .

ومنهم شارل مالك شرح نظرية آينشتاين النسبية وتكلم على الحقيقة العلمية ، وله في الفلسفة العلمية عدة مقالات ، منها : مقال الفضاء — الزمن[4] ، ومقال مقياس الحقيقة الطبيعية وطريقة العلماء في بناء المذاهب العلمية[5] ، ومقال البحث العلمي في العصر الحاضر[6] . وغايته من ذلك كله أن

---

(١) المقتطف أغسطس ١٩٤٥ ، ص ١٧٧

(٢) المقتطف ابريل ١٩٣٠ ، ص ٣٦٥

(٣) الأبحاث ، ٩ : ١٨٥ — ٢١٢ ، حزيران ١٩٥٦ .

(٤) المقتطف ، يناير ١٩٣٢ ، ص ٢٥ — ٢٩

(٥) المقتطف مايو ١٩٣١ ، ص ٥٤٢ — ٥٤٩

(٦) الأبحاث ، حزيران ١٩٥٦ ، ص ١٤٣ — ١٦٧

يبين أن المباحث العلمية تثير مشكلات فلسفية ، وأن النقد الصحيح للمشكلات التي يثيرها العلم لا يعدو أن يكون استنتاجاً سلبياً .

ومن الذين دعوا طيلة حياتهم الى اتباع الأسلوب العلمي في التفكير والبحث الشيخ طاهر الجزائري ، ومحمد كرد علي ، وساطع الحصري .

ومنهم الأمير مصطفى الشهابي له مقالات كثيرة في التفريق بين العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية ، وفي ضرورة اتباع الاسلوب العلمي في البحث والتفكير ، وفيما كان عند بعض علماء العرب (كالجاحظ ، واخوان الصفا ، وابن البيطار ، وابن العوام وغيرهم) من كتابات تبين أثر الحس والتجربة في تكوين المعرفة [1] .

وممن كان لهم أثر في هذا الاتجاه العلمي اسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور ومحررها ، ألف وترجم كتباً في تاريخ الفكر والبحث العلمي ، ككتاب تاريخ الفكر العربي ، وكتاب ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء ، وكتاب أصل الأنواع لداروين ، وكتاب نزعة الفكر الأوروبي لمرتز ، وكتاب الألوهية والفكر للورد بلفور . وله في المقتطف ، والعصور مقالات كثيرة تدل على اتجاهه

---

(١) من مقالات الأمير مصطفى الشهابي الفلسفية :

(آ) العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية (المقتطف يوليو ١٩٣٢) .

(ب) هواجس في الإنسان وحياته (المقتطف ، ابريل ١٩٢٢) .

(ج) سوانح في فلسفة اللذة وفلسفة القوة (الهلال مايو ١٩٣٤) .

(د) العلم والأدب والأساطير في كتب السلف (الجزء الثاني من محاضرات المجمع ، والمقتطف يونيه ١٩٤٢) .

(هـ) الأسلوب العلمي عند علماء العرب (الجزء الثاني من محاضرات المجمع ، المقتطف مارس ١٩٣٤) .

(و) العرب والبحث العلمي . (مناظرة مع اسماعيل مظهر ، المقتطف نوفمبر ١٩٢٦ ، ويناير ١٩٢٦) .

وله في القومية العربية وفلسفتها كتاب ومحاضرة اثبتناهما في الفهرس العام .

العلي وإعراضه عن المعرفة الغيبية ؛ خالف الدكتور شميل لحملته على الدين ، ولكنه دعا مع ذلك الى التجديد والتطور .

ومنهم الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي نشر في المسائل العلمية كتابين : الأول كتاب الكائنات ، والثاني كتاب الجاذبية وتعليلها ، ذهب فيهما مذهباً خالف به بعض أقطاب العلم وجهابذة النظر ، كقوله إن علة الجاذبية ليست جذب المادة للمادة ، وإنما هي دفعها لها بسبب ما تشعه من الإلكترونات .

ومنهم علي مصطفى مشرفه نشر عدة دراسات في العلم والتعاون العلمي ، وفي الإضافات العلمية الحديثة ، وأثرها في التطور الإنساني .

ومنهم مصطفى نظيف ، له بحوث كثيرة في العلم وتنظيمه في البلاد العربية وأثره في التطور الإنساني .

ومنهم نقولا حداد وضع كتاباً في هندسة الكون ، ونشر عدة مقالات في فلسفة التفاحة وجاذبية نيوتون وغيرها من الموضوعات العلمية الحديثة .

ومنهم نقولا جرجس شاهين وضع كتاباً في النظرية الذرية والطاقة الذرية والقنبلة الذرية غرضه منه مجاراة شعوب الغرب في فهم الحقائق العلمية الجديدة وتطبيقها ، وتعويد الناس أسلوب البحث العلمي الدقيق .

وممن تناولوا طريقة العلوم الرياضية بالبحث قدري حافظ طوقان ، ألف كتباً في تراث العرب العلمي ، ونزعتهم العلمية ، وأسلوبهم في البحث ، وله إلى جانب ذلك كتب علمية كثيرة ككتاب الكون العجيب ، وكتاب بين البقاء والفناء ، والطاقة الذرية ، وكتاب عيون العلم ، ومقالات في الفلسفة الرياضية ، نشرها في المقتطف وغيره من المجلات .

ومن الذين طبقوا الأسلوب العلمي في دراسة التاريخ أسد رستم وقسطنطين زريق ، وضع الأول كتاباً في مصطلح التاريخ ، شرح فيه طريقة المؤرخ في

البحث عن الحقيقة التاريخية ، ووضع الثاني كتاباً سماه (نحن والتاريخ) تكلم فيه على الثقافة التاريخية والتفكير التاريخي . وهو يرى أن التعليل التاريخي في حاجة الى نظرية معينة في الإنسان ، على أن لا تُفرض على التاريخ فرضاً ، بل تُمتحن بعرضها على الوقائع التاريخية ، فاذا أيدت الوقائع نظريتنا أبقينا بها ، واذا لم تؤيدها عدّلناها أو نقضناها ، هكذا يظل العمل التاريخي مفتوحاً يصحح أو يوضح الكلي والجزئي والخاص والعام ، وهكذا يُربط التاريخ بسواه من العلوم ، فيتجه نحو التكامل بأسلوب جدلي يجمع الاختبارات الانسانية في تفاعل حي وفهم مشترك متدرج . فلا فرق اذن بين التاريخ وغيره من العلوم من ناحية الطريقة العلمية إلاّ بقدر ما تفرضه طبيعة الموضوع وتعقيده من شروط منطقية .

هذه نظرة سريعة إلى بعض ما أنتجه علماؤنا من كتب ومقالات في آفاق العلم الحديث ، ولما كان الوقت أضيق من أن يتسع لتحليل آرائهم جميعاً في طريقة العلم وقيمة الحقيقة العلمية ، رأيت أن اقتصر في هذه الفقرة على نقد ثلاثة كتب ، هي : كتاب الفيزياء الحديثة والفلسفة [1] لعبد الكريم اليافي ، وكتاب نحو فلسفة علمية لزكي نجيب محمود [2] ، وكتاب فكرة البرهان الميتافيزيقي لبديع الكسم .

١ . ـ بحث عبد الكريم اليافي في كتابه عن نشوء الفيزياء الحديثة ، وتكلم على تفكك الذرة والطاقة الذرية ، والميكانيكا الموجية ، واللاحتمية ، وعلائق الارتياب وتجربة المكان ، ونظريات الجزء الذي لا يتجزأ ، والحقيقة الفيزيائية والمعرفة العلمية ، والجدل العلمي الحديث . وفي هذا الكتاب المقتبس من المطولات الغربية إشارة إلى نشوء الميكانيكا الموجية التي أقامها (دوبرولي De Brogli

---

(١) عبد الكريم اليافي ، الفيزياء الحديثة والفلسفة ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥١

(٢) زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ١٩٥٨ .

وإلى نظرية الكوانتا الجديدة التي أسسها (هيزنبرغ Heisenberg) وإلى ما نشأ عن هاتين النظريتين من اعتبارات فكرية تخالف ما اعتاده العلماء من قبل. من هذه الاعتبارات ظهور اللاحتمية ، فقد كان العلماء قبل ذلك يقولون إذا عرفنا حالة جملة أي موقعها وسرعتها في الزمن (ز) أمكننا معرفة حالتها أي موقعها وسرعتها في زمن لاحق مثل (زَ) . ولكن لما درس (هيزنبرغ) شروط البحث عن موقع الإلكترون انتهى به الأمر إلى ما سمي بعلائق الارتياب وهي أن جداء الخطأ المرتكب في قياس موقع الإلكترون ، والخطأ المرتكب في قياس كمية حركته يساوي ثابت (بلانك) أو يزيد عليه ، وذلك بسبب تجربتنا الفيزيائية الدقيقة ، لأن النور مؤلف من فوتونات ، اذا وقعت على الإلكترون عند دراسته زحزحته عن موقعه ، وأدخلت على هذا الموقع وعلى سرعته اضطرابا . ومن هذه الاعتبارات الصفة العقلية ، وهي أن العلماء يدرسون اليوم دقائق المادة والطاقة بوساطة الآلات لا بوساطة الحواس ، ويستخرجون من ذلك نتائج يستندون إليها في البرهان على صحة فرضياتهم ، حتى لقد قال (باشلار) إن الحادث العلمي لا يُرى وإنما يبرهَن عليه . وقصارى القول أن أولى صفات المعرفة العلمية الحديثة اشتمالها على تكاملية تجمع بين جانبين متغايرين ومتكاملين هما الجانب السكوني والجانب الديناميكي في حقيقة المادة والطاقة على حد تعبير (بور) ، وكذلك دخول الذاتية فيها الى جانب الموضوعية ، ومن صفاتها الجدلية أيضاً أنها لا تستقي أصولها من المشخص وحده ، ولا من المجرد وحده بل منهما معاً ؛ ومنها أن المعرفة العلمية ليست كلها قَبلية ولا كلها بَعدية ، وإنما هي نتيجة تأثير متبادل بين الفكر والتجربة ، ومعنى ذلك كله أن المعرفة العلمية تابعة لعصر معين ، وهي تتبدل بتبدل الزمان ، وينطبق عليها ما ينطبق على جميع أنواع

المعرفة من حركة جدلية . وإذا كانت المعرفة العلمية تاريخية وجدلية كانت غير مكتملة ، لأن العلم كما يقول أحد الفلاسفة لغز يتجدد ، أو حل لمشكلة لا يلبث أن يفضي الى مشكلة جديدة ، وهكذا دواليك . وهذا يقتضي اتجاهاً فكرياً جديداً ، وهو أن الفكر ينبغي أن يبقى مفتوحاً أي متهيئاً لالتقاط الفكرة الجديدة ولو غايرت الفكرة التي كانت مقبولة سابقاً .

٣ . — أما كتاب زكي نجيب محمود (نحو فلسفة علمية)[١] فيشتمل على قسمين : قسم بسط فيه المؤلف بعض الأسس العامة التي بنى عليها مذهبه ، وقسم عرض فيه طائفة من مشكلات الفلسفة التقليدية عرضاً جديداً في ضوء التحليل الحديث . وكانت غايته من هذا الكتاب أن يخرج القارئ باتجاه فكري أراده له أكثر مما يخرج بموضوعات مفصلة مشتملة على كل ما يمكن أن يقال فيها من ضروب الرأي .

اتجه زكي نجيب محمود في كتابه هذا وجهة المذهب التجريبي العلمي (الوضعية المنطقية) ، وفيه ألف أكثر كتبه . وتظهر وجهة نظره هذه فيما تخيره من الأسس العامة التي صحت عنده ، وهي أسس متممة بعضها لبعض ليس بين أجزائها تناقض ولا تنافر ، وميزته في ذلك كله تخير هذه الأسس ، وجمعها بعضها إلى بعض في نظام يدل على ذوقه وعلمه واتجاهه الوضعي .

أما مشكلات الفلسفة التقليدية التي عرضها المؤلف في القسم الثاني من كتابه : كمشكلة الحقيقة وظواهرها ، ومشكلة الحق ، ومشكلة السببية والقانون العلمي ، ومشكلة الانتقال من الكيف الى الكم ، ومشكلة المطلق والنسبي

(١) للدكتور زكي نجيب محمود كتاب في المنطق الوضعي ، ومقالات في الشك الفلسفي والمدرك الحسي ، وأسطورة الميتافيزيقا ، جمعت بعد ذلك في كتاب عنوانه قشور ولباب (أنظر الفهرس) .

وغيرها ، فتدل على أن المؤلف ينظر الى هـذه المشكلات من زاوية خاصة فيبرزها بلون جديد ، ويصوغها صياغة جديدة تدل على إيمانه بالعقل، وقدرته على استجلاء الحقائق .

وليس المراد بهذه الفلسفة العلمية مشاركة العلماء في موضوعاتهم ، وإنما المقصود منها عناية الفيلسوف بتحليل قضايا العلوم ، وعرضها في دقة تشبه دقة العلماء في بحثهم عن الحقيقة . وهنا يظهر للمؤلف أن الفلسفة العلمية يجب أن تستغني عن كثير من المشكلات التقليدية ، التي بحث فيها الفلاسفة القدماء : كمسألة وجود الله وصفاته ، ومسألة خلود النفس ، ومسألة قدم العالم وغيرها ، فإنّ حذف هذه المشكلات لا يغير من حقيقة العلم شيئاً ، بل الإعراض عن البحث فيها لا يلحق بقوة البناء العلمي خللا .

لقد تأثر المؤلف طريقة المدرسة النمساوية في الفلسفة العلمية وطريقة الفيلسوف الامريكي ديوي ، فأحب أن يستند إلى العقل وحده في نقد المعرفة ، وفي تفهم جميع المسائل الفلسفية التي يثيرها العلم الحديث ، زاعماً أن علم ما بعد الطبيعة ليس سوى خرافة أو أسطورة ، وأن من واجب العقل أن لا يطمع فيما ليس وراءه مطمع ، فاذا اقتصر على نقد العلم كما يفعل فقهاء المعرفة كان عمله شافياً كافياً ، ولكنه اذا ذهب الى ما وراء الحقائق الوضعية هام في بيداء الوهم . وليس معنى ذلك أن زكي نجيب محمود لا يؤمن بما توحي به الأديان ، بل هو يصدق به تصديقاً قلبياً لا عقليا . وإذا كان يطلب من الفيلسوف أن لا يعتمد في دراسة مسائله إلاّ على عقله فما ذلك إلاّ لشدة إيمانه بالعلم الوضعي والتجريب العلمي . فليس في هيكل العلم مكان للقلب والحدس والإلهام . لقد قال افلاطون منذ القدم من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا ، ومن أُدخل إلهامات القلب في البحوث العلمية لم يأمن الوقوع في مهاوي الزلل . أساس ذلك كله أن يعلم أن الحقائق الفلسفية التقليدية ليست

وجودية كحقائق العلم . وفي وسعك إذا شئت أن تبني هيكلاً فلسفياً عقلياً من دون أن تنظر إلى التجربة ، ولكنك تنقلب في هذه الحالة إلى شاعر يصوغ رؤاه كما يشاء .

٣ . — ومن الذين انتقدوا المعرفة الفلسفية انتقاداً عقلياً بديع الكسم في كتابه فكرة البرهان الميتافيزيقي . قال إنّ المعنى الحقيقي للتصديق الميتافيزيقي هو المعنى الذي أراده منه صاحبه ، لذلك كان له عنده دلالة واحدة لا إبهام فيها . واذا كان قراء الفيلسوف لا يدركون قصده ، فإنّ عدم إدراكهم له يثير اختلافات قد تبعث في نفسها على تأويلات مبدعة . والتصديق الميتافيزيقي يهدف إلى التعبير عن حقيقة ، وهذه الحقيقة تتميز عن غيرها بخطورة مضمونها الروحي ، فهي والحقيقة الدينية بمعنىً ما شيء واحد . وكل تصديق ميتافيزيقي هو تصديق عقلي ووجداني مصحوب ببرهان ، ولولا ذلك لما كان هذا التصديق أصح من ذاك . وطرق البرهان كثيرة ، ومردها كلها إلى ما تنطوي عليه من قوة الإفحام . لذلك كان البرهان الميتافيزيقي في نظر صاحبه منتجاً كالبرهان العلمي . وإذا قيل إن البرهان العلمي كلي قلنا إن معيار صدقه قائم على بنائه الداخلي لا على كليته . واذا قيل إن الاستدلال الميتافيزيقي قد يشتمل على خطأ صوري ، أو تناقض ، قلنا إن هذا الخطأ الصوري ليس سوى عرض . وكثيراً ما يدرك الفيلسوف نفسُه هذا التناقض العرضي أو يصححه وفقاً لمسلمات مذهبه . فلا فرق إذن بينه وبين العالم الرياضي في الشعور بالتناقض ، ولا حاجة إلى القول بانطواء عقله على ملكة خاصة تستنبط الحقائق على نظام أدنى أو أعلى من النظام المنطقي . وجملة القول أن (بديع الكسم) يدعونا إلى وضع أنفسنا في موضع الفيلسوف عند الحكم على مقاصده ، لأننا إذا أدركنا حقيقة مراميه أدركنا المعنى الذي أراده من تصديقه . فلا فرق إذن من هذه

الناحية بين البناء الهندسي والبناء الفلسفي ، كلاهما يقوم على لبنات مرصوصة ، بعضها آخذ برقاب بعض ، وما دام الفيلسوف يعتقد أن لبناته العقلية تنطبق على الوجود الخارجي ، فإن ثقته بالعقل تفضي إلى الثقة بالوجود .

٩ ــ النتيجة

هذا جانب من إنتاجنا الفلسفي خلال المائة السنة الأخيرة ذكرته هنا على سبيل الإشارة لا على سبيل الإحاطة ، ولولا ضيق الوقت لذكرت إنتاجنا في تاريخ الفلسفة ، وفلسفة التاريخ ، وفلسفة الأخلاق ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وفلسفة الجمال ، وفلسفة التربية ، وفلسفة القومية والإنسانية وغيرها ، فان هذا الإنتاج مقرون بأسماء المشاهير من علمائنا كأحمد لطفي السيد ، وطه حسين ، والعقاد ، وأحمد أمين ، ومنصور فهمي ، وابراهيم مدكور ، وساطع الحصري ، والأمير مصطفى الشهابي ، وسلامة موسى ، وغيرهم . ولعلي اذا عدت إلى هذه الموضوعات في المستقبل أستطيع أن أوفيها حقها من البحث على وجه أتم وأوفى ، فأتكلم على ما تنطوي عليه من اتجاهات فلسفية لم تذكر في هذا المقال كالاتجاهات الأخلاقية ، والاتجاهات القومية ، والاتجاهات الفنية ، وغيرها . ولكنني وإن قصرت في الإحاطة بجميع جوانب إنتاجنا الفلسفي ، أستطيع أن استخرج الآن من هذه المحاولة الأولى بعض صفاته العامة .

فمن صفات هذا الانتاج اعتماده على الاقتباس من معين الفلسفة الغربية تارةً ومن تراثنا القديم تارةً أخرى . أما اقتباسه من الفلسفة الغربية فيتجلى في ترجمة كتب الفلاسفة الأوربيين والأمريكيين ، وفي دراسة مذاهبهم وتلخيص آرائهم ، وفي تأليف كتب فلسفية جديدة تبحث في موضوعات مستمدة من اتجاهاتهم . وأما اقتباسه من تراثنا الفلسفي القديم فيتجلى في الدراسات الفلسفية

التي وضعها المحدثون لشرح فلسفة الكندي وفلسفة ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد وغيرهم ، أو في الدراسات التي ألفوها للتعريف ببعض منازعنا الفكرية القديمة ، وهذا الإنتاج الفلسفي المشتمل على الترجمة والاقتباس أغنى من الإنتاج الفلسفي المشتمل على الأصالة والابتكار . ولا غرو ، فإنّ حداثة نهضتنا الفلسفية توجب علينا أن ننقل أمهات المذاهب الغربية إلى لغتنا لشرحها ودراستها ، وأن نعمل في الوقت نفسه على إحياء تراثنا الفلسفي القديم ودراسته في ضوء النقد الحديث ، وفي هذا التأثر المزدوج بفلسفتنا العربية والفلسفة الغربية إيقاظ لوعينا الفلسفي ، وتوضيح لمنازعنا الفكرية وإحياء لشخصيتنا ، وتثبيت لمصطلحاتنا ، وتمهيد لإنتاجنا المبتكر .

ومن صفات هذا الإنتاج تقدمه بتقدم ثقافتنا العلمية الحديثة ، فلقد كان هذا الانتاج في بدايته مقصوراً على القليل من الكتب ، فلما انتشرت الثقافة العلمية وازدادت معها معرفتنا باللغات الأجنبية انقلبت قلته إلى كثرة . وما يصدق على الكم يصدق كذلك على الكيف ، فإنّ الكتب الفلسفية التي ألفها علماؤنا في الأيام الأخيرة باللغة العربية أو باللغات الأجنبية أكمل من الكتب التي ألفوها في الماضي ، لا بموضوعاتها فحسب ، بل بلغتها واصطلاحاتها وحسن تبويبها وترتيبها أيضاً ، ويكفي أن يقرن المرء بين كتب يوسف كرم وكتب محمد بدر مثلاً ليطلع على صدق ما نقول . فانّ كتب الأول تجمع إلى دقة الاصطلاح جزالة الأسلوب ، وإلى وضوح المعاني حسن التبويب والترتيب ، أما كتب الثاني فإنّها على جزالة أسلوبها ووضوح معانيها لا تخلو من الإضطراب دع أن بعض الكتب الحديثة لا تخلو من الأصالة ، في حين أن أكثر الكتب القديمة لم تطمع الا في النقل والاقتباس .

ومن صفات هـذا الانتاج تقصيره عن مشاركة الإنتاج الفلسفي في أوربة

وأمريكا ، فهو لا يزال حتى الآن في سني حداثته ، لم يطرق باب الإبتكار إلاّ قليلا ، وأكثر الذين طرقوا باب الإبتكار لم يطرقوه إلاّ على عجل ، فظلّ ابتكارهم مقصوراً على تحقيق فكرة جزئية ، أو حل شبهة معينة ، أو تصور نظرية وضعوا أسسها دون أن يبنوا عليها مذهباً فلسفياً كاملا ، دع أن بعضهم موزع الفكر بين موضوعات مختلفة لا تلبث أن تولد في ذهنه حتى يؤلف فيها كتاباً . وربما كان ذلك ناشئاً عن طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه ، فهو لم يهيئ لنا بعد أسباب التخصص العميق ، ولم يعودنا التفرغ للبحث العلمي الهادئ الرصين . وأكثر أساتذة جامعاتنا مصروفون عن الإنتاج المبتكر إلى التأليف المدرسي ، ومدفوعون عن الحياة التأملية إلى الحياة العملية يكسبون فيها رزقهم ، لم يتوافر لهم جميعا ما توافر لعلماء الغرب من طمأنينة فكرية وضمان اجتماعي .

ومع ذلك فانّ ما انتجناه حتى الآن ينبئ بأن هلال الفلسفة العربية الحديثة الذي ولد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سيصبح في النصف الثاني من القرن العشرين بدراً ساطعاً ، لأن العقل العربي ، كما بينت في مقال آخر ليس أقل إبداعاً من العقل الأوربي ، ولا هو أقل منه ميلاً إلى النظر في الوجود ، يدل على ذلك ميله إلى التوحيد ، والتأليف ، والإحاطة ، وثقته بقدرته على استجلاء الحقائق الوجودية تارةً ، والحكم بأحكام الماهيات تارةً ، ونزوعه إلى التجريد والسمو والتعالي . وأكثر الاتجاهات الفلسفية الحديثة التي تكلمت عليها في هذا المقال تؤيد هذه المنازع . ولعلها إذا امتدت إلى نهايتها وبلغت غايتها تتكشف في المستقبل القريب عن اتجاه فلسفي أصيل نباهي به الأمم في حلبة التقدم .

جميل صليبا

* * *

١٠ — الفهرس العام للكتب والمقالات (١)

آ — (باللغة العربية)

ابراهيم (زكريا) — الفلسفة الوجودية ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٩٥٨ .

ابراهيم (زكريا) — مشكلة الحرية (ضمن مجموعة مشكلات فلسفية) ، مكتبة مصر ١٩٥٨ .

أبو الفيض المتوفى — عميد الفيضيين ، كتاب الوجود ، ١٩٤٧ ، يشتمل على مباحث في الله والطبيعة والإنسان ، من أين جئنا ، لماذا خلقنا ، إلى أين نذهب .

أدهم (علي) — الجسد والروح والأنانية وتحقيق الذات ، مقال له في المقتطف فبراير ١٩٣٣ ، ص ١٥٢ .

أرسوزي (زكي) — العبقرية العربية في لسانها ، دمشق ١٩٤٣ ، عدد صفحاته ٢٠٠ .

أرسوزي (زكي) — المدنية والثقافة ، دمشق ١٩٤٨ عدد صفحاته ١٢٠ .

أرسوزي (زكي) — اللغة والفن ، دمشق ، ١٩٥١ « « ١٢٥ .

أرسوزي (زكي) — الفلسفة والأخلاق ، دمشق ١٩٥٤ « « ١٢٠ .

أشعيا (نجيب) — مع الحقيقة ، مكتبة الهلال ، مصر « « ٩٥ وهو حوار فلسفي يتناول المادة والروح والدين .

أمين (احمد) — مبادئ الفلسفة ، القاهرة ١٩٢٨ .

أمين (عثمان) — شخصيات ومذاهب فلسفية (دار إحياء الكتب العربية) القاهرة ١٩٤٤ .

---

(١) ليس هذا الفهرس سوى محاولة أولى لإحصاء انتاجنا في الفلسفة العامة وفلسفة العلوم . فاذا جاء غير محيط بانتاجنا الفلسفي كله فسبب ذلك ضيق الوقت الذي صرفناه في إعداده . وغاية ما نرجوه أن يتيح الله لنا فرصة الرجوع الى هذا الموضوع لإكمال ما فيه من نقص .

أمين (عثمان) — محمد عبده (دار إحياء الكتب العربية)، القاهرة ١٩٤٥ .
أمين (عثمان) — محاولات فلسفية (مكتبة الأنجلو مصرية)، القاهرة ١٩٥٢
أمين (عثمان) — رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده (مكتبة النهضة المصرية) ، القاهرة ١٩٥٥ .
أمين (عثمان) — ديكارت (الطبعة الرابعة) ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٥٧ .
أمين (عثمان) — الفلسفة الرواقية (الطبعة الثانية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ .
أمين (عثمان) — شيلر (سلسلة نوابغ الفكر الغربي — دار المعارف) القاهرة ١٩٥٨ .
أمين (عثمان) — نحو جامعات أفضل (مكتبة الانجلو مصرية) القاهرة ١٩٥٢ .
أنطون (فرح) — ابن رشد وفلسفته ، الاسكندرية ١٩٠٣ .
أنطون (فرح) — الدين والعلم والمال ، الاسكندرية ١٩٠٣ .
الأهواني (احمد فؤاد) — في عالم الفلسفة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ .
الأهواني (احمد فؤاد) — جون ديوي (سلسلة نوابغ الفكر الغربي) دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ .
الأهواني (احمد فؤاد) — ابن سينا (سلسلة نوابغ الفكر العربي) دار المعارف ١٩٥٨ .
البارودي (واصف) — التربية ثورة وتحرر ، بيروت .
بدوي (عبد الرحمن) — الزمان الوجودي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٥

بدوي (عبد الرحمن) — دراسات في الفلسفة الوجودية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦١ .

بدوي (عبد الرحمن) — هل يمكن قيام أخلاق وجودية ، القاهرة ١٩٥٦ .

بدوي (عبد الرحمن) — الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

بدوي (عبد الرحمن) — هموم الشباب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٦ .

بدوي (عبد الرحمن) — الحور والنور ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥١ .

بدوي (عبد الرحمن) — الموت والعبقرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٦ .

بدوي (عبد الرحمن) — ربيع الفكر اليوناني ، القاهرة ١٩٥٦ .

بدوي (عبد الرحمن) — خريف الفكر اليوناني (مع معجم فلسفي مفصل) القاهرة ١٩٥٦ .

بدوي (عبد الرحمن) — تاريخ الإلحاد في الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٦ .

بدوي (عبد الرحمن) — شخصيات قلقة في الإسلام ، القاهرة .

بدوي (عبد الرحمن) — شهيدة العشق الإلهي : رابعة العدوية ، القاهرة ١٩٤٨ .

بدوي (عبد الرحمن) — أرسطو عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة

بدوي (عبد الرحمن) — شطحات الصوفية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ .

بدوي (عبد الرحمن) — الإنسان الكامل في الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٠ .

وله غير ذلك كتب في الفلسفة الأوروبية منها نيتشه ، واشبنجلر ، وشوبنهاور ، وأفلاطون ، وأرسطو ، وكتب أخرى كثيرة في الدراسات الإسلامية وتحقيق النصوص وتحليلها ، ومجموع كتبه ودراساته وترجماته بلغ حتى الآن ٤٨ كتابا هذا عدا مقالاته في الصحف والمجلات .

بلدي (نجيب) — بسكال ـ القاهرة دار المعارف . وله أيضاً بحث في فلسفة (بركلي) ، وكتاب بالفرنسية عنوانه الماضي .

بلس (دانيال) — الدروس الأولية في الفلسفة العقلية ، بيروت ١٨٧٤ .

البهي (محمد) — الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، مطبعة عيسى البابي ، القاهرة .

توفيق (اميل) — حواس المدنية ، هدية المقتطف الشعرية ، القاهرة ١٩٥١ .

جبران خليل جبران — النبي ، نقله إلى العربية وقدم له الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف .

جر (خليل) — مقولات أرسطو ، بيروت ١٩٤٨ (راجع فهرس الكتب باللغات الأجنبية) .

جلارزا (الكونت) — الفلسفة العامة وتاريخها ، محاضرات ألقيت في الجامعة المصرية ، القاهرة ١٩٢٠ .

جمالي (حافظ) — الوجيز في المنطق دمشق ١٩٤٤ .

جمالي (حافظ) — الأخلاق ، دمشق ١٩٤٤ .

جمالي (حافظ) — علم ما وراء الطبيعة (ترجمة) ، دمشق ١٩٤٤ .

جوهري (الشيخ الطنطاوي) — نظام العالم والأمم أو الحكمة الاسلامية العليا ، مطبعة الرحمانية ١٩٣١ .

الحاج (كمال يوسف) — فلسفيات ، دار الريحاني ، بيروت ١٩٥٦ .
الحاج (كمال يوسف) — من الجوهر إلى الوجود ، بيروت ١٩٥٨ .
حاوي (خليل) — العقل والإيمان في الفلسفة الحديثة (مقال) ، الأبحاث ، آذار ١٩٥٦ .
حبشي (رينه) — حضارتنا على المفترق ، منشورات الندوة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٠ .
حبشي (رينه) — الفكر الملتزم والفكر المنعتق ، (مقال) ، الأبحاث ، ايلول ١٩٥٦ (٢٩٩ — ٣١٧) .
حداد (نقولا) — فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتون ، مطبعة المقتطف والمقطم ، القاهرة ١٩٤٦ .
حسين (طه) — الأيام ، القاهرة ١٩٢٩ .
الحسيني (اسحاق موسى) — بعض نواحي العقلية العربية (مقال) ، الأبحاث ، حزيران ١٩٥١ ص ١٨٧ — ١٩٤ .
الحسيني (اسحاق موسى) — ما العروبة ، (مقال) الأبحاث ، ايلول ١٩٥٠ . ص : ٣٢٨ — ٣٤٠ .
الحصري (ساطع) — آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة ، القاهرة ١٩٥١ .
الحصري (ساطع) — آراء وأحاديث في الوطنية والقومية . دار العلم للملايين ، بيروت .
الحصري (ساطع) — العروبة بين دعاتها ومعارضيها ، القاهرة ١٩٥٤ .
الحصري (ساطع) — العروبة أولا ، بيروت ١٩٥٥ .
الحصري (ساطع) — دفاع عن العروبة ، بيروت ١٩٥٦ .
الحصري (ساطع) — ما هي القومية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩
حلمي (محمد مصطفى) — الحياة الروحية في الإسلام (مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية) .

خباز (حنا) — الفلسفة في كل العصور .

خاكي (احمد) — فلسفة القومية ، دار المعارف بمصر ، (بدون تاريخ) .

خالد (خالد محمد) — الوصايا العشر لمن يريد أن يحيا ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٦٠ .

دراز (محمد عبد الله) — كلمات في مبادىء الأخلاق ، المطبعة العالمية ، مصر ١٩٥٣ .

رجب (منصور علي) — تأملات في فلسفة الأخلاق ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ١٩٦١ .

رستم (أسد) — مصطلح التاريخ ، بيروت .

رضا (محمد رشيد) — الوحي المحمدي . مطبعة المنار . مصر ١٩٣٥ .

ريحاني (أمين) — بذور للزارعين ، دار الريحاني ، بيروت ١٩٦١ .

زريق (قسطنطين) — الوعي القومي ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٣٩ .

زريق (قسطنطين) — أي غد ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٧ .

زريق (قسطنطين) — نحن والتاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ .

زريق (قسطنطين) — الحضارة العربية مقال له في الأبحاث ، آذار ١٩٤٩ ص : ٣ — ٢٢ .

الزهاوي (جميل صدقي) — له كتابان : (١) الكائنات (٢) الجاذبية وتعليلها .

زويا (ليبب) — ازمة القيم الإنسانية (مقال) ، الأبحاث ، ايلول ١٩٥١ ، ص : ٣١٠ — ٣٢٠ .

الساعاتي (احمد فوزي) — مشكلة العلوم والبراهين في إبطال أدلة الماديين ، ١٩٢٠ .

سالم (ابلي) — بين العلم والدين (مقال)، الأبحاث ، آذار ١٩٥٦ ص : ٧٩ — ٨٥ .

السباعي (مصطفى) — الإشتراكية في الإسلام، دمشق .
سركيس (خليل رامز) — أيام السماء ، منشورات الندوة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٠ .
سعيد (مظهر) — علم النفس النظري ، القاهرة ١٩٣٣ .
سلامة (بولس) — الصراع في الوجود ، دار المعارف القاهرة ٤٦٤(ص)
السمان (محمد عبد الله) — القرآن والمبادىء الإنسانية ، القاهرة ١٩٦٠ .
السيد (احمد لطفي) — المنتخبات (هدية المقتطف) سبتمبر واكتوبر ١٩٤٥ .
شاهين (نقولا جرجس) — النظرية الذرية ، الطاقة الذرية ، القنبلة الذرية ، الجامعة الاميركية ، بيروت ١٩٤٨ .
شميل (شبلي) — فلسفة النشوء والإرتقاء ، مطبعة المقتطف ١٩١٠ .
شميل (شبلي) — الحقيقة ، مطبعة المقتطف ١٨٨٥ .
شميل (شبلي) — آراء الدكتور شميل ، مطبعة المعارف ١٩٢٢ .
شميل (شبلي) — مجموعة الدكتور شبلي شميل ، مطبعة المعارف ١٩١٠ .
الشنيطي (محمد فتحي) — فلسفة اليوم بين الشك والإعتقاد ، القاهرة ١٩٦٠ .
الشهابي (الأمير مصطفى) — مقومات القومية العربية وفلسفتها الحاضرة ، محاضرة في مدرج جامعة دمشق في ٥/١٢/١٩٥٩ ، طبعتها مجلة الجندي ووزعتها مع المجلة .
— كتاب القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميها) وهو محاضرات ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية ، سنة ١٩٥٨ — طبع في القاهرة سنة ١٩٥٨ .
الصيجي (ابراهيم محمد) — فلسفة التكوين ، مصر (بدون تاريخ) .

صروف (يعقوب) — مجلة المقتطف (راجع خطبة مطوية له ، الله والعالم يوليو ١٩٢٩) .

صروف (فؤاد) — فتوحات العلم الحديث .

صروف (فؤاد) — أساطين العلم الحديث .

صروف (فؤاد) — آفاق العلم الحديث .

صروف (فؤاد) — الفتح مستمر .

صروف (فؤاد) — النار الخالدة .

صروف (فؤاد) — يعقوب صروف ، العالم والإنسان ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠ .

صروف (فؤاد) — الإنسان والكون، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦١

صروف (فؤاد) — عنصر حتمي من عناصر النهضة ، مقام العلم في الحضارة ، (مقال له) في المقتطف ، ابريل ١٩٣٠ ، ص ٣٦٥ .

صروف (فؤاد) — العلم والفلسفة في عناق واحد ، (مقال له) في المقتطف ، اغسطس ١٩٤٥ ص ١٧٧ .

صروف (فؤاد) — مقومات البحث العلمي المادية والبشرية (مقال له) في الأبحاث حزيران ١٩٥٦ ، ص ١٨٥ — ٢١٢

الصعيدي (عبد المتعال) — حرية الفكر في الإسلام ، القاهرة ١٩٦٠ .

— المجددون في الإسلام مصر ١٣٧٠ .

صليبا (جميل) — دروس الفلسفة (كتاب علم النفس) ، المكتبة الكبرى للتأليف والنشر ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٩٤٨ .

صليبا (جميل) — كتاب المنطق ، مكتبة العلوم والآداب ، دمشق ١٩٤٤ .

صليبا (جميل) — كتاب من الخيال إلى الحقيقة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ .

صليبا (جميل) — من أفلاطون إلى ابن سينا ، المكتبة الكبرى للتأليف والنشر ، الطبعة الثالثة دمشق ١٩٥٣ .

صليبا (جميل) — المنطق وطرائق العلم العامة (بالاشتراك مع الدكتور كامل عياد) ، مطبعة الكشاف بيروت ١٩٤٨ .

صليبا (جميل) — الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث ، القاهرة ١٩٥٨ .

صليبا (جميل) — الغزالي وزعماء الفلاسفة (مجلة المجمع العلمي العربي) المجلد ٢١ ، ١٩٤٦ .

صليبا (جميل) — حدود العقل عند الغزالي (مجلة المجمع العلمي العربي) ، المجلد ، ٣٠ ، ١٩٥٥ .

صليبا (جميل) — ابو الهذيل العلاف (مجلة المجمع العلمي العربي) المجلد ٢١ ، ١٩٤٦ .

صليبا (جميل) — الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي) المجلد ٢٠ ، ١٩٤٥ .

صليبا (جميل) — الحدس والفكر (مجلة المجمع العلمي العربي) ، المجلد ٣٠ ، ١٩٥٥ .

صليبا (جميل) — نظرية الخير عند ابن سينا (مجلة المجمع العلمي العربي) المجلد ١٩٥٢/٢٧ .

صليبا (جميل) — المدينة العادلة (مجلة المجمع العلمي العربي)، المجلد ٢٩/١٩٥٤ .

صليبا (جميل) — موقفنا من الفلسفة (مجلة المجمع العلمي العربي) المجلد ٢٤/١٩٤٩ .

صليبا (جميل) — الفيلسوف والألم (مجلة المقتطف) فبراير ١٩٥١ .

صليبا (جميل) — مستقبل الثقافة ، الأبحاث ، الجزء ٣ ، السنة ٣ ايلول ١٩٥٤ .

الصليبي (ابراهيم ش) — ميزان الأكوان ودولاب الزمان في فلسفة الكون ، مطبعة بيت المقدس ١٩٣٢ .

ضومط (أمين جبر) — أصول تدريس العلوم ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٥١ ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ .

ضومط (اميل جبر) — العقل والقلب ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٥٢ .

طعمة (جورج) — الفكر العربي بين الجمود والانطلاق (مقال له) في الابحاث ايلول ١٩٥٣ ص ٣٣٤ — ٣٤٧ ، وله دراسة لفلسفة ابن رشد باللغة الانكليزية .

طوقان (قدري حافظ) — مقام العقل عند العرب ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠

طوقان (قدري حافظ) — تراث العرب العلمي ، طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٥٤ .

طوقان (قدري حافظ) — الأسلوب العلمي عند العرب ، القاهرة ١٩٤٦ .

طوقان (قدري حافظ) — النزعة العلمية في التراث العربي ، أصدره المعهد المصري في مدريد ١٩٥٥ .

طوقان (قدري حافظ) — العلوم عند العرب ، مجموعة الألف كتاب ، القاهرة ١٩٥٦ .

الطويل (توفيق) — أسس الفلسفة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .
الطويل (توفيق) — قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، القاهرة ١٩٤٧ .
الطويل (توفيق) — التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام ، (من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية) .
عاقل (فاخر) — علم النفس (دراسة التكيف البشري) المجلد الأول ، في علم النفس العام ، دمشق ١٩٥٥ ، والمجلد الثاني في علم النفس التربوي ، والمجلد الثالث تحت الطبع .
عبد الدائم (عبد الله) — دروب القومية العربية ، دار الآداب بيروت ١٩٥٩
عبد الدائم (عبد الله) — التربية القومية ، دار الآداب ، بيروت ١٩٥٩ .
عبد الدائم (عبد الله) — القومية والإنسانية ، دار الآداب بيروت ١٩٥٧ .
عبد الدائم (عبد الله) — الجيل العربي الجديد ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦١ .
عبد الدائم (عبد الله) — الاشتراكية والديمقراطية ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦١ .
عبدالرزاق (محمد حسنين) — علم المنطق الحديث ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ .
عبد الرازق (مصطفى) — تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٤ .
— الدين والوحي والإسلام .
عبد العزيز (فؤاد كامل) — فلاسفة وجوديون ، القاهرة (بدون تاريخ) .
عبد النور (جبور) — إخوان الصفا ، دار المعارف ١٢٨ ص .
عبده (محمد) — الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٢٣ هـ .
عبده (محمد) — رسالة التوحيد ، مطبعة المنار ١٣٢٤ هـ .

عزنول (كريم) — العقل في الإسلام ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٤٦ .
المشماوي (محمد سعيد) — انا الوجود ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٥٩ .
عفيفي (ابو العلا) — الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، القاهرة ١٩٤٥ .
العقاد (عباس محمود) — مطالعات في الكتب والحياة ، القاهرة ١٩٢٤ .
العقاد (عباس محمود) — الله ، دار المعارف ، مصر .
العقاد (عباس محمود) — مجمع الأحياء ، دار المعارف ، القاهرة .
العقاد (عباس محمود) — الفلسفة القرآنية ، (لجنة التأليف والنشر) ، مصر ١٩٤٧ .
العقاد (عباس محمود) — مصير الحضارة (مقال له) في الرسالة ، سبتمبر ١٩٣٧ ، العدد ٢١٨ .
العوا (عادل) — المذاهب الأخلاقية (عرض ونقد) مجلدان ، المجلد الأول ، دمشق ١٩٥٨ ، والمجلد الثاني دمشق ١٩٥٩ .
العوا (عادل) — الوجدان ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦١ .
العوا (عادل) — فلسفة القيم ، دمشق .
العوا (عادل) — القيمة الأخلاقية ، دمشق .
ولعادل العوا دراسات اسلامية كثيرة منها كتابه (الكلام والفلسفة) ومقالات مختلفة : منها منحى التقدم (مجلة المعلم العربي العدد ٥ السنة ١ أيار ١٩٤٨) ، وأزمة الروح (مجلة المعلم العربي العدد ٣ السنة ٤) وحديقة ابيقور (مجلة المعلم العربي العدد ٢ السنة ٧) والانسانية بين مفهومين ، مجلة .

الإيمان العدد ١٠ السنة ٤ ١٩٥٨) ، والحدس والفكر (مجلة الثقافة العدد ٧ السنة ١ ١٩٥٨) .
عياد (كامل) — الأخلاق ، مكتبة العلوم والآداب ، دمشق ١٩٤١ .
عياد (كامل) — ما هي الجامعة (مقال له) في الأبحاث ، حزيران ١٩٥٥ ص : ١٧٩ ، ١٩٠ .
الغريب (أمين) — الخليقة ونظامها ، بيروت ١٩٢٦ .
غلاب (محمد) — المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة (دار إحياء الكتب العربية) القاهرة ١٩٤٨ .
غلاب (محمد) — مشكلة الألوهية (دار إحياء الكتب العربية) القاهرة ١٩٤٧ .
الغمراوي (محمد أحمد) — في سنن الله الكونية ، القاهرة ١٩٣٧ .
فارس (نبيه أمين) — المفكر المسلم (مقال له) في الأبحاث ، ايلول ١٩٥٦ ص : ٢٨٥ — ٢٩٧ .
فام (يعقوب) — البراجماتزم أو مذهب الذرائع ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) القاهرة ١٩٣٦ .
فانديك (كرنيليوس) — النقش في الحجر ، الجزء الثامن في المنطق ، بيروت ١٨٨٩ .
فخري (ماجد) — الفكرة الدينية (أو التيوقراطية) للدولة الاسلامية في المناقشات الحديثة : الأبحاث ، كانون الأول ١٩٥٥ ص ٤٥٣ — ٤٧٠ .
فخري (ماجد) — قدماء فلاسفة اليونان عند العرب ، الأبحاث ، كانون الأول ١٩٥٧ ، ص : ٤٧١ — ٤٠٤ .

فروخ (عمر) — أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الأوربية (سلسلة دراسات قصيرة في الأدب المقارن والفلسفة) بيروت

فروخ (عمر) — عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، بيروت .

فريحة (انيس) — الفكر العربي ، الأبحاث ، ايلول ١٩٥٠ ، ص : ٢٩٩ — ٣١٤ .

فندى (محمد ثابت) — الله والعالم ، كتاب المهرجان الألفي لإحياء ذكرى ابن سينا ، القاهرة ١٩٥٢ .

فهمي (حنا اسعد) — تاريخ الفلاسفة ، القاهرة ١٩٢١ .

فهمي (منصور) — خطرات النفس ، مطبعة المعارف ، مصر .

فهمي (منصور) — الديموقراطية والأخلاق ، المقتطف ، اغسطس ١٩٤٣ ، ص ٣٢٥ .

قربان (ملحم) — الإلحاد العربي والإلحاد الغربي (الأبحاث ، آذار ١٩٥٧ .

— مفهوم التاريخ في نحن والتاريخ (الحكمة ١ شباط ١٩٦٠) .

القوصي (عبد العزيز) — أسس علم النفس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ .

الكسم (بديع) — التطور الخلاق ، تلخيص كتاب برغسون .

كرم (يوسف) — تاريخ الفلسفة في ٣ أجزاء ، الفلسفة اليونانية ، والفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، والفلسفة الحديثة القاهرة .

كرم (يوسف) — العقل والوجود ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٦ .

كرم (يوسف) — الطبيعة وما بعد الطبيعة ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٩
مالك (شارل) — مقياس الحقيقة الطبيعية وطريقة العلماء في بناء المذاهب العلمية ، المقتطف مايو ١٩٣١ ، ص ٥٤٢ — ٥٤٩)
مالك (شارل) — الله والرياضيات، المقتطف مايو ١٩٣٢ ص: ٥٤٦ — ٥٥٣
مالك (شارل) — العلم وطبيعة الالوهية ، المقتطف مارس ١٩٣٢ ص ٢٥٣ — ٢٥٩ .
مالك (شارل) — الفضاء — الزمن ، المقتطف ، يناير ١٩٣٢ ص ٢٥ — ٢٩ .
مالك (شارل) — الله في الحياة ، المقتطف ، اوكتوبر ١٩٣٢ ، ص ٣٢٤ — ٣٣٠ .
مالك (شارل) — الإبداع في التفكير ، المقتطف ، نوفمبر ١٩٣١ ، ص ٢٩٧ — ٣٠٥ .
مالك (شارل) — البحث العلمي في العصر الحاضر ، الأبحاث ، حزيران ١٩٥٦ ص ١٤٣ — ١٦٧ .
المبارك (محمد) — نظرة الإسلام العامة في الوجود وأثرها في الحضارة دمشق ١٩٥٨ .
— الأمة العربية في معركة تحقيق الذات . دمشق ١٩٥٩ .
المحاسب (جمال) — في المعرفة الفلسفية ، دمشق ١٩٤١ .
محمود (زكي نجيب) — المنطق الوضعي ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ١٩٥٧ الطبعة الثانية .

محمود (زكي نجيب) — خرافة الميتافيزيقا ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٣ .

محمود (زكي نجيب) — برتراند رسل ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٦ .

محمود (زكي نجيب) — حياة الفكر في العالم الجديد ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ١٩٥٦ .

محمود (زكي نجيب) — ديفد هيوم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ .

محمود (زكي نجيب) — نحو فلسفة علمية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ١٩٥٨ .

محمود (زكي نجيب) — قشور ولباب ، جمعت فيه عدة مقالات للمؤلف (آ) ثورة في الفلسفة المعاصرة (ب) اسطورة الميتافيزيقا (جـ) الشك الفلسفي (د) المدرك الحسي .

محمود (زكي نجيب) — الانسان والزمن (مقال) مجلة المجلة ، يونيو ١٩٦٠ .

مدكور (ابراهيم) — نظرية النبوة عند الفارابي ، تسع مقالات في الرسالة من اكتوبر ١٩٣٦ إلى يناير ١٩٣٧ .

مدكور (ابراهيم) — النفس وخلودها عند ابن سينا ، الرسالة ، الاعداد ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٧ (فبراير ومارس وابريل ١٩٣٧) .

مدكور (ابراهيم) — في الفلسفة الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٧ .

مراد (يوسف) — مبادىء علم النفس العام ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي) دار المعارف مصر .

مرحبا (عبد الرحمن) — له بحث في نظرية النسبية لم أطلع عليه .

مشرفة (علي مصطفى) — العلم والتعاون العلمي ، المقتطف ، يونيو ١٩٥٣ ص ٣٥ .

مظهر (اسماعيل) — ملقى السبيل في مذهب النشوء والإرتقاء ، المطبعة العصرية ، القاهرة .

مظهر (اسماعيل) — نزعة الفكر الأوروبي ، القاهرة ١٩٢٣ .

مظهر (اسماعيل) — تاريخ الفكر العربي ، القاهرة ١٩٣٨ .

موسى (سلامه) — اليوم والغد (سلسلة المطبوعات العصرية) القاهرة .

موسى (سلامه) — نظرية التطور وأصل الانسان (سلسلة المطبوعات العصرية) القاهرة .

موسى (سلامه) — العقل الباطني ومكنونات النفس ، القاهرة ١٩٣٨ .

موسى (سلامه) — مختارات ، القاهرة (بدون تاريخ) .

موسى (محمد يوسف) — القرآن والفلسفة ، دار المعارف ، القاهرة .

موسى (محمد يوسف) — مباحث في فلسفة الأخلاق ، دار الكتاب العربي ، مصر ١٩٤٨ .

موسى (محمد يوسف) — الصلة بين الدين والفلسفة عند ابن رشد . دار المعارف . القاهرة ص ٢٤٠ .

موسى (محمد يوسف) — الدين والفلسفة ، مقالات في المقتطف (يناير ١٩٤٤ ، ص ٣٦) و (فبراير ١٩٤٤ ، ص ١٤٧) و (ابريل ١٩٤٤ ص ٣٥٦) .

نادر (ألبر) — فلسفة المعتزلة ، مجلدان ، الاسكندرية ١٩٥٠ .

نادر (ألبر) — المنطق والمعرفة عند جون ديوي ، الأبحاث ، كانون الأول ١٩٥٩ ص ٥٢٩ .

نبي (مالك بن) — مستقبل الاسلام ، تعريب شعبان بركات ، صيدا ١٩٥٤ .

نبي (مالك بن) — شروط النهضة ، ترجمة كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ١٩٦١ .

نبي (مالك بن) — الديمقراطية في الإسلام ، أربع مقالات في مجلة حضارة الإسلام ، الأعداد ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، السنة الثانية ١٩٦١ .

نجاتي (محمد عثمان) — الإدراك الحسي عند ابن سينا ، دار المعارف ، مصر

النشار (علي سامي) — مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ .

نصار (احمد) — المباحث الحكمية في أحوال النفس وتربية القوى العقلية ١٩٠٠ .

نصور (أديب) — أزمة الخلق العربي ـ الأبحاث ، حزيران ١٩٥٠ ص ١٥٣ .

نظيف (مصطفى) — العلم وتنظيمه في البلاد العربية ، الأبحاث ، حزيران ١٩٥٦ ص ٣١٣ ـ ٣٣٨ .

نعيمة (ميخائيل) — كرم على درب ، دار المعارف .

نعيمة (ميخائيل) — صوت العالم ، دار المعارف .

نوفل (عبد الرزاق) — الاسلام والعلم الحديث ، القاهرة دار المعارف .

هاشم (حكمة) — تحقيقات حول نقد الغزالي لمذهب المشائين والافلاطونية المحدثة ، مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٢/١٩٥٧ .

هاشم (حكمة) — البيت العربي ، واقعه ـ مشاكله المتأزمة ، امكانيات تطوره وتقدمه ، الأبحاث ، حزيران ١٩٥٧ .

هويدي (يحيى) — منطق البرهان ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ .

هويدي (يحيى) — أضواء على الفلسفة المعاصرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ .

هويدي (يحيى) — مقدمة في الفلسفة العامة، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٠

هيكل (محمد حسين) — القدرية والجبرية والاختيار والاضطرار ، المقتطف يناير ١٩١٧ وفبراير ١٩١٧

واصف (أمين) — أصول الفلسفة ، مطبعة المعارف ، ١٩٣١

وافي (علي عبد الواحد) — الاسرة والمجتمع (من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية)

وافي (علي عبد الواحد) — المسؤولية والجزاء (من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية)

— الوراثة والبيئة ، مصر ١٩٥٠

وجدي (محمد فريد) — على أطلال المذهب المادي ، القاهرة ١٩٢١

وجدي (محمد فريد) — المدنية والإسلام ، القاهرة ١٩٠٤

وجدي (محمد فريد) — الوجديات ، مقامات خيالية في الدين واللغة والوطن القاهرة ١٩١٠

وجدي (محمد فريد) — الإسلام في عصر العلم ، القاهرة ١٣٢٢ هـ

وجدي (محمد فريد) — الحديقة الفكرية في اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية ، الترقي ١٣١٨ هـ

وجدي (محمد فريد) — الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان ، مطبعة عبد الرزاق ، ١٣١٣ هـ

وهبه (مراد) — المذهب في فلسفة برجسون ، دار المعارف ، القاهرة ١٧٦ ص

اليافي (عبد الكريم) — الفيزياء الحديثة والفلسفة ، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥١

اليافي (عبد الكريم) — تمهيد في علم الاجتماع ، دمشق ١٩٥٥

ب — باللغات الأجنبية

Absi (Marcelle) : La théorie de la religion chez Spencer et ses sources, Beyrouth 1952 .

Amine (Osman) : Muhammad Abduh .
Essai sur ses idées philosophiques et religieuses, Le Caire 1944 .

— : Lights on contemporary Moslem philosophy.

— : L'Humanisme de F. C. S. Schiller, dans Bulletin of the Faculty of Arts, vol. IV, Part II. Le Caire 1936 .

— : The modernist movement in Egypt, in Islam and the west. 1956 .

— : Le Stoïcisme et la pensée islamique dans la revue Thomiste. No I, Paris 1959.

Awa (Adel) : L'esprit critique des « Frères de la pureté». Beyrouth 1948 .

Ayad (M.Kamil) : Die Geschichts — und Gesellschaftslehre Ibn Halduns — Stuttgart und Berlin 1930 .

Georr (Khalil) : Les catégories d'Aristote dans les versions Syro — Arabes. Beyrouth 1948 .

Habachi (René) : Philosophie chrétienne, philosophie musulmane et Marxisme. 4 ème cahier pour une pensée méditérranéenne. Beyrouth 1950.

— : La faiblesse créatrice, Dépassement de l'absurde III. Les cahiers du Cénacle, Beyrouth 1960 .

— : Maine de Biran ot la recherche de la personne, publications de l'Université Libanaise. Beyrouth 1957 .

— : philosophie chrétienne philosophie musulmane et Existentialisme, 3 ème cahier pour une pensée méditerranéenne. Beyrouth 1959 .

Jabre (F.) : La notion de la ma'rifa chez Gazali (Institut de Lettres Orientales de Beyrouth).

Kasm (Mohamed - Badi - El) : Essai sur l'idée de preuve en métaphysique. Genève 1958 .

Lahbabi (Mohamed Aziz) : De l'être à la personne. Essai de personnalisme réaliste.
presses Universitaire de France Paris 1954 .

— Liberté ou Libération. Aubier. Editions Montègne. Paris 1956

— Du clos à l'ouvert DAR EL KITAB Casablanca. 1961.

Madkour Ibrahim) : — La place d'Al—Farabi dane l'école philosophique musulmane. Paris 1934.

— L'organon d'Aristote dans le monde arabe ses traductions, son étude et ses applications. Paris 1934.

Mahmoud (Zeki Najib) : Self—Determination. Le Caire 1934.

Mouhasseb (Jamal) : Essai sur la classification des Sciences. Thèse présentée à la Faculté des Lettres de l'Université de Genève (Université Syrienne. Damas 1953) .

Nader (Albert) : Le système philosophique des Mu' tazila, Premiers penseurs de l'Islam. Beyrouth 1936.

Saliba (Djémil) : — Etude sur la métaphysique d'Avicenne. Presses Universitaires de France. Paris 1927.

— Le symbolisme philosophique et l'usage du mythe chez les philosophes arabes. in Revue Diogène. Paris 1954 .

Zaza (Noureddine) : Etude critique de la notion d' engagement chez Emmanuel Mounier. Genève. 1955 .

ابن تيمية

« حديث ألقاه الدكتور عدنان الخطيب مقرر لجنة القانون والعلوم السياسية في الإقليم السوري ، من اذاعة دمشق قبل البدء بأسبوع الفقه الإسلامي الذي أقامه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية من ١ ـ ٦ نيسان (ابريل) ١٩٦١ . »

قبر في حرم جامعة دمشق :

عندما اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش العثمانيين سنة ست وعشرين وتسعمائة للهجرة (١٥٢٠ للميلاد) أحب أن يخلد اسمه في دمشق ، كما فعل أبوه السلطان سليم بتشييده مسجداً وتكية على قبر الشيخ محيي الدين بن عربي فأمر ببناء مسجد وتكية على الضفة اليمنى لنهر بردى ، وتم تشييدها سنة ٩٦٢ للهجرة .

لقد اقيمت تكية السلطان سليمان القانوني في المرج الأخضر ، ظاهر مدينة دمشق ، من ناحية الغرب مكان القصر الأبلق الذي نزل فيه السلطان سليم عندما فتح دمشق ، وهو قصر ينسب للملك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي وقد أبدع المهندسون في تصميم التكية ، فكانت تحفة في فن البناء وتعتبر اليوم من أجمل الآثار في دمشق ، ومما زاد في جمالها ، موقعها بين نهري بردى وبانياس تمص الماء من هذا لتلقيه في ذلك بعد أن يجري متدفقاً في حوضها الواسع روعة للناظرين .

وإلى الجنوب والغرب من تكية السلطان سليمان ، تعلو هضبة تشرف على « صدر الباز »[١] يسقى أشجارها ، ويروي رياضها ، ما يجري فيها من ماء نهر « القنوات » الذي يشقها من عل ، حتى إذا ما فاض في جوانبها انحدر إلى « بانياس » رافدا ومعينا .

وفي أوائل هذا القرن بنت الدولة في منتصف الهضبة ، إلى الغرب بعشرات الأمتار من التكية السليمانية ، ثكنة للعساكر ، أطلق عليها اسم « الثكنة الحميدية » نسبة إلى السلطان الذي كان على عرش العثمانيين يومذاك ، كما قامت بلدية دمشق بانشاء مستشفى في أول الهضبة بمحاذاة التكية من ناحية الجنوب اسمته كذلك « المستشفى الحميدي » وأطلق الناس عليه اسم « مستشفى الغرباء » وأسمته الحكومة السورية بعدئذ « المستشفى الوطني » ملحقة به « معهد الطب العربي » جاعلة ما بين الثكنة والمستشفى حديقة له ، يفصلها عن الثكنة طريق تواجه الصاعد فيه ، وعلى بعد مائة متر تقريباً ، محطة للسكة الحديدية أقيمت في أوائل هذا القرن أيضاً ، ليقف فيها القطار الذاهب إلى بيروت ، يوم كان القطار أكثر وسائل السفر سرعة بين بلدين وأكثرها راحة للمسافرين .

لقد كان القطار يقف في المحطة ، ليحمل الناس إلى بيروت وغيرها من المدن التي يمر فيها ، وإذا ما جاء بهم منها إلى دمشق تركهم ينزلون ليواصل سيره إلى محطة أخرى في الميدان « تبعد بضعة كيلو مترات إلى الجنوب من وسط المدينة ، وكانت محطة القطار تعلوها لافتة كتب عليها « محطة البرامكة » ونسبت

(١) يطلق الدماشقة هذا الاسم على ما تبقى من المرج الأخضر مما يلي « طاحونة كيوان » حتى التكية السليمانية كناية عن سعته واعتقاداً منهم أن « الباز » وهو لقب لأحد الأولياء كان واسع الصدر كريم الخلق .

إلى « البرامكة » لأن الناس عرفوا الأرض هناك مقبرة للبرامكة أما التاريخ فقد عرفها في كتبه باسم « مقابر الصوفية » .

لقد كانت مقابر الصوفية ، تنتشر على رقعة واسعة من تلك الهضبة ، ثم درست أكثر القبور وأقيمت الأبنية مكانها ، وهكذا شيدت الجامعة السورية إلى جانب المستشفى الوطني ثم شيدت دار التوليد ومدرسة الممرضات ، ومن وراء ذلك إلى الجنوب أقيمت مبان تابعة للمستشفى الوطني ، كما بنى الجيش عمارة له ، من قبل أن تصبح الثكنة الحميدية من المباني الجامعية ، كل هذا إلى جانب بيوت وعمارات وبساتين اختلس أرضها أفراد من الناس ، كعادة الناس في الجرأة على أموال الأوقاف عرفنا منها بستان الأعجام وفي جوانبه بعض القبور ومع جذور أشجاره كانت تخرج بعض العظام .

لقد حفظت كتب التاريخ أسماء مئات من العلماء والأدباء الدماشقة على أنهم دفنوا في مقابر الصوفية ، ولكن جميع القبور فيها اندرست ، أو درسها من له في درسها مصلحة ، إلا بضعة قبور هبت طائفة من علماء دمشق ومفكريها ، للدفاع عنها وحمايتها ثم تجديدها والعناية بها ، وكل ذلك لأن أحدها يضم رفات عظيم من عظماء دمشق وعالم في مقدمة فحول علماء الاسلام ، وفقيه من كبار فقهاء الشريعة المحمدية .

ان من يدخل اليوم حرم جامعة دمشق ويجول بين عماراتها يجد ما بينها إلى أقصى الجنوب من حدودها ، حديقة صغيرة تقوم في وسطها ثلاثة قبور أحجار أحدها من عصرين مختلفين ويشير واحد منها إلى أنه كان على قبر أحد قضاة الحنابلة بدمشق ، وأحجار القبر الثاني لا تدل على شيء ما ، أما القبر الثالث ، وهو الأكبر بينها ، فهو من الحجر المزي تعلوه نصبة (شاهدة) جديدة من الرخام كتب عليها (شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية ــ ٧٢٨) .

حزن دمشق لوفاة سجين قلعتها :

لقد ذكر المؤرخون لوفيات القرن الثامن الهجري أن الناعي نعى يوم العشرين من شوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (١٣٢٨ للميلاد) الشيخ احمد تقي الدين أبو العباس بن تيمية وهو سجين في قلعة دمشق ، فهبت المدينة مذعورة ، وخرجت بشيبها وشبابها ، برجالها ونسائها وأطفالها ، تشيع والدموع في مآقيها والحزن مخيم عليها ، فقيدها الكبير شيخ الاسلام ابن تيمية .

فمن هو ابن تيمية هذا ؟ وما هي قصته ؟ ولماذا سجن وما الداعي لحزن دمشق عليه يوم مات وحماية قبره بعد سبعة قرون ، لم ينسه فيها أحد يعرف دينه أو حقه كما نص عليه القانون ؟

المهاجر الصغير :

كانت البلاد الاسلامية في القرن السابع الهجري ممزقة إلى دول وأمارات مثخنة بجراح الصليبيين والتتار يغيرون على جوانبها يقتلون ويحرقون ، وفي يوم من أيام سنة ثمان وستين وستمائة ، صاح المنادي في مدينة حران في الجزيرة أقصى بلاد الشام ، بالويل والثبور والخطر الداهم ، فالتتار وصلوا مشارف المدينة مغيرين عليها ، لا دين يمنعهم ، ولا ضمير يردعهم ، عن ما حرم الله من نفس تزهق أو مال ينهب أو يحرق ، فدب الذعر في النفوس وهاج الناس وماجوا ، وأخذوا يحملون ما غلا ثمنه وخف وزنه ، ويفرون من وجه المغيرين تاركين ما لم يستطيعوا حمله ، ومن لم يستطع الهرب عد في الهالكين .

وكان من الناجين بأرواحهم وبعض متاعهم أسرة هربت تقصد دمشق في الجنوب ، وكان من أفرادها طفل في السابعة من عمره ، إذ ولد في العاشر من شهر

ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة للهجرة ، (١٢٦٣ م) فسماه أبوه احمد تقي الدين .

وكانت رحلة الأسرة الحرانية شاقة في دروب عسيرة ، الأمان عليها مفقود ، والناجي من أيدي التتار مولود ، وقد زاد في مشاقها ، ما تحمله الأسرة من كتب أبى ربها الا أن يحملها معه فهي عنده كأولاده في حبه لهم وخوفه عليهم ، فلما وصلت الأسرة دمشق ، اطمأنت قلوبها وارتضتها مقاما وسكنا ، فاذا بفضل الأب قد ذاع ، وبعلمه قد اشتهر ، فتولى التدريس في جامع دمشق الكبير .

البزوغ المبكر :

وشب الطفل في كنف أبيه طالباً للعلم ، حافظاً لكتاب الله وحديث رسوله الكريم ، حتى أصبح حجة فيها ، ونبغ في قوة الاستدلال بهما على أحكام الشريعة ، حتى أفتى ودرس وهو دون العشرين من عمره ، هذا الصبي هو الشيخ أحمد تقي الدين بن تيمية ، أحد المجتهدين في مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وفي طليعة العلماء المدافعين عن سنة الرسول ﷺ ، حارب التتار ومن والاهم وحارب البدع وأهل الضلال ، ودعا للأخذ بنصوص الكتاب والسنة ، وأفتى بما يعتقد أنه متفق وأحكامها ، وان خالف رأي الأئمة السابقين ، فأغضب بعض الشيوخ وأعوان السلطان ، فوشوا به فاعتقله في قلعة دمشق حتى مات .

ذكرى وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية :

لقد مضت على وفاة ابن تيمية ستة قرون ونصف ، فأحب المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، الاحتفال بذكرى هذا الإمام العظيم ،

وزيارة قبره ، أثناء أسبوع الفقه الإسلامي الذي دعا المجلس إليه رجال الفقه والقانون في مختلف البلاد العربية والاسلامية ، كما دعا إليه بعض المستشرقين الأجانب .

إن أسبوع الفقه الاسلامي سيقام على مدرج جامعة دمشق ابتداء من يوم السبت في السادس عشر من شوال سنة ١٣٨١ للهجرة الموافق للأول من نيسان (ابريل) ١٩٦١ للميلاد ، وسنلتقي يوم الاحتفال بذكرى وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية أبحاث ومحاضرات سيعرف الناس منها موجزاً لحياته ، وشيئاً عن عبقريته وأفكاره ، وسيلمون ببعض آرائه ، ولماذا أغضب من غضب ، وماذا ترك من علم يخلد ذكر الانسان بأقل منه ، ولماذا قرر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الاحتفال بذكرى هذا الإمام المصلح والمفكر الثائر .

عدنان الخطيب

من شعر ابن الدمينة

مما لم ينشر في الديوان الذي حققه الأستاذ النفاخ

نشر أحد علماء الهند في مجلة (ثقافة الهند) ومن عدد ابريل سنة ١٩٦ م مقالا استدرك فيه أشياء من شعر حميد بن ثور الهلالي ، لم ترد في الديوان الذي حققه العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني ، واعتمد في ذلك على جزء من كتاب (نوادر الهجري) في مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكته ، غير الجزء الموجود في دار الكتب المصرية ، فكتبت إلى الشيخ يوسف بن عبد الله ابن فوزان وزير المملكة العربية السعودية ، ليتفضل بالمساعدة على الحصول على صورة ذلك الجزء ، فسارع ــ حفظه الله ــ كعادته في كل أمر نافع ، فبعث إلي بتلك الصورة على شريط (ميكرو فلم) فوجدت في هــذا الجزء ــ بعد تصويره ــ مادة غزيرة من أدبنا العربي ، شعراً ولغة ، ونسباً ، وتحديد مواضع ، وقفت أمام ذلك حائراً ، كيف جهلت قيمة هذا الكتاب ، كما جهل قدر مؤلفه الهجري ــ مع أنه من كبار اللغويين والأدباء ، ومع أنه تصدى في عهده لتدوين أدب جزيرة العرب ، حتى جمع من هذه الثروة الضخمة التي وصل الينا منها في القطعتين الباقيتين من الكتاب علم غزير . وكيف خفي هذا الجزء عن أنظار الباحثين في الهند كالعلامة الميمني ، والأستاذ الدكتور سالم الكرنكوي (ف . كرينكو) الذي طبع قطعة من شعر مزاحم العقيلي ، فنشر من قصيدته الفائية ٣٨ بيتا ، ولو اطلع على هذا الجزء من نوادر الهجري لوجد هذه القصيدة فيه تقارب الـ ١٠٠ بيت .

سأدع الحديث عن هذا الكتاب إلى وقت آخر ، ومثال آخر أصفه وصفاً كاملاً .

طالعت في القطعة التي وصلت إلي من الهند ما ورد فيها من شعر ابن الدمينة أو الشعر المنسوب إليه ، فعرض لي من ذلك :

ا ـ القصيدة البائية ، التي أوردها الأستاذ النفاخ في الديوان ، فقد أوردها الهجري [في الورقة العاشرة وما بعدها] وقال بأنه أورد منها ما صح لابن الدمينة فبلغت عنده واحداً وتسعين بيتا ، وقد أوردتها حسب ترتيب الهجري ، وما اتفق فيه الهجري مع ما جاء في الديوان ، وضعت مكانه نقطاً وما لم يورده الهجري ، أهملته . ورتبت القصيدة على ترتيبها في النوادر .

ب : ـ أورد الهجري قصيدة لابن الدمينة (عينية) في ١٣ بيتاً في الورقتين الـ ٥٧ و ٥٨ ـ وهي مما لم يورده الأستاذ النفاخ .

ج : ـ وأورد الهجري [الورقة ٦١] قصيدة لامية تقع في ثلاثين بيتاً وهي مما لم يرد في الديوان .

د : ـ وفي الورقة الـ ٢١١ : تكلم الهجري على المقصور المغير عن بنيته ، فأورد شاهداً على كلمة (الرَّجاه) بيتاً لابن الدمينة ، من قصيدته اللامية ، التي أوردها كاملة في الورقة الحادية والستين .

هـ : ـ وأورد الهجري في الورقتين الـ ٢٥ و ٢٦ قطعة من الشعر رائية ، نسبها إلى (صاحب جنوب القلب) وقال عنها بأن الشهراني ربما أنشدها لابن الدمينة ، فهي من المنسوب لابن الدمينة ، مما لم يورده الأستاذ النفاخ في بابه .

وها أنا ذا أورد كل ذلك ، وقد خفيت علي كلمات لم أستطع قراءتها ، لقدم كتابة الأصل ، وكلمات أخرى قرأتها على غير وجهها لعدم وضوح كتابتها .

وقد وضعت أرقام ورقات الأصل في الهامش . ورمزت للصفحة الأولى بـ « ا » وللثانية من الورقة بـ « ب » وها هو ما نقلته عن الهجري :

— أ —

[من نوادر الهجري ، نسخة المكتب الآسيوي في كلكته من بلاد الهند] :
وانظر القصيدة الـ ٥٠ من الديوان ص ٩٨ .

في الورقة : ١٠

١٠/أ قال وأنشدني الحسن بن عارم الروبي [١] هلالي ، وأبو محمد البيشي ، والشهراني ،
١٠/ب وغيرهم لابن الدمينة وهو عبد الله بن عبيد الله حطيطي / من عامر بن تيم ،
خثعمي ، وكتبنا في هذه النسخة ما صح من قوله ، وتركنا ما زيد من شعر
المجنون ، والنمير [٢] بن غالب ، وغيرهما ، مما لا شك فيه .

١ - أُمَيمَ امنكِ . . . وهيف بجيلانِ التراب دَءُوبُ
٢ — . . . . بها بعد عهد الحي منك عريب
٣ — . . . .
٤ — وقفت بها . . . جرى . . . من خوف الفراق شعيب
٥ — . . .

وقد علمت اني بخيل بسرها لها حين يغتابونها لذبوب
٦ — أصد ابتداع الود لا خشية الردى صدى هامتي عزما اليه قلوب
١١/أ ٧ — . . . .
(٣)

١٤ — وماء ماء . . . متالف صهبات الذُرى . .

---

(١) من روبية هلال ، ورد ذكره في الورقة رقم ٢٠ والورقة رقم ٦٣ .
(٢) هذا الاسم غير واضح .
(٣) ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ لم يروها الهجري .

١٥– صفاقي لصاف . . .   .

١٦– بعسكر دلاح . . .   .

١٧– يا طيب من فيها اقتيافا . .   . .

على أنها ليأ من غير عسرة   نواب (١) التصدي للعقول خلوب

منعمة شبت شباب غريسة   نمت بين أفلاج لهن نشيب

بحسناء رويتها العلاجيم فارتوت   وفي القف عنها والسلام نضوب

أسيلة مجرى الدمع بين عظامها   مواصل لا تبدو لهن كعوب

رداح المولّى في أقب كأنه   إهان غضيض بالنبات سليب

١١/ب لها كبد ملساء بين عمودها   وبين الحشى غض النبات رتيب

سوى واضح اللبات فوق جيوبها   ترائب جم ما بهن ندوب

١٨– هنيئا لخوط البان   على خصرات بينهن لغوب

١٩– منصبة حمش اللثات يزينها   . . . .

جرى الاسحل الاحوى عليهن أو جرى   عليهن من خوط الاراك قضيب

قضيب اراك او قضيب بشامة   تخيره الجانوق وهو رطيب

تغادي به منهن كأسا روية   بنان بهداب الدمقس خضيب

ورصف ينادي بالدهان يكنه   من الصوت وشي فاضل وسبيب

وعينا خذول أم طفل يهيضها   لأرطاة محبوك السراة ربيب

ووجه كأعلى مزنة الصيف انجدت   وللشمس عن ظل الحجاب نقوب

١٢/أ طوانا خيال من أميمة موهنا   وذو الشوق للطيف الملم طروب

طوانا وأبدى النجم حوص على الشفا   وقد حان من سلافهن غيوب

٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ إلى ٦١ – لم يروها الهجري

---

(١) الكلمة غير واضحة .

٦١— وربدة . . . . شرى ضيقة سار إلى حبيب
٥٩— وبالمقل . . . .
وعهدي بها إذ هي أروج غريرة لادنى السرى بعد المنام هيوب
٦٢— فنبهت بلبني عند القارعات . . .
فقلت خيال من أميمة هاجني على عدواء والمزار شطيب
فقالا تجلد إن ذاك عزيمة فما في البكا للواجدين نصيب
هل أحمد من نأي الحبيب اجترمته لنفسك عمدا والمزار قريب
يقولان اقصر عن هوها فقد دعت ضغائن، شبان عليك وشيب
وما إن نبا لي سخط من لا نوده إذا نصحت ممن نود جيوب
١٢/ب أثيب ذوو الأهواء غيرك لا هوى أميمة مما قد لقيت تثيب
أميم بقلبي من هواك علاقة وأنت لها لو تبذلين طبيب
أميم لقد عنيتني وأريتني بدائع أخلاق لهن ضروب
صدوداً وإعراضاً كأني مذنب وما كان لي إلا هواك ذنوب
٧٣— تلعين . . . .
فارتاح أحيانا وحينا كأنما على كبدي أسلى[1] الشباة ذريب
٧٩— أميم احذري نقض القوى لا يزل لنا على النأي والهجران منك نصيب
٨٠— . . . .
وكوني إذا مالوا عليك صليبة كما أنا إن مالوا علي صليب
وإن خفت ألا تفعلي ذاك فارجعي إلي فؤادي والمرد قريب
١٣/أ أكن أحوذي الود صل أيا طلأة[1] سواك، وإيا ارعوى فأتوب
٤٠— لعمري . . . .

(١) الكلمة غير واضحة .

٤١— وطاوعت . . . . بقول الزور . .

٤٢— . . . . على نائبات يا أميم تنوب

٤٣— كأن لم ترى

٤٤— ذماما إذا طاوعت بي . . . . كَذْبَة . . . .

وان طبيباً يشعب القلب بعد ما تفطر من اقطاره لطبيب

رأيت لها ناراً وبيني وبينها من العرض أو وادي المياه سهوب

اذا ما ضبت وهنا من الليل شبها من المندليّ المستجاد ثَقُوب

٤٥— واني . . . .

١٣/ب ٤٦— حذار . . . . وانني . . . .

٨٤— أما والذي يبلو السرائر كلها ويعلم ما يبدو له ويغيب

٨٥— . . . . خلان . . . . . .

٨٦— . . . . يجدّ القوى تعدد لديه ذنوب

أميم اترعين الذي كان بيننا من الوصل ام نطوي الحشا فنتوب

٥٣— يهيج . . . .

فقد جعلت ريا الجنوب اذا جرت على طيبها تندى لنا وتطيب

جنوب يرباق من اميمة موهنا يهش لها القلب الدوى فتثوب

يروح لها جرٍ الفضاة ولو جرت على البحر اضحى البحر وهو عذوب [1]

١٤/ا ٣٢— ولما وجدت الصرم ... بأضمان . . . . . .

٣٣— هجر . . . .

وقالت : اما والله لولا اشتهاركم وجني عليك الذنب حين تغيب

لما شمل الأحشاء منك علاقة ولا زرتنا إلا وأنت مطيب

(١) جمع عذب .

يقولون لا يمشي الغريب بأرضنا   وأبدي الهدايا انني لغريب
أمستنكر ممشاي ان جئت زائراً   علي ، وممدود علي ذنوب
أليس أحق الناس أن يقتني به   أخو شقة نائي المزار غريب(١)
فإني وان كنت الغريب بأرضكم   لأطيب ماء بينكم لشروب
نهول لصافيه عيوف لرنقه   بنفسي عن مطروقه لرغوب
مجيب لداع من امية ان دعى   سوى ما يقول السائلون ذهوب
٨١– الا يا أميم القلب . . .   الا عليك . . . . . .
٨٢– صغير بصير أو كبير مجرب   وآخر ... ... أريب
١٤/ب – تبعتكم حولا وحولين قبله   كما يتبع المستبضعين جنيب
مطالبةً أرجو النوال وانها   اذا وعدتني نائلا لكذوب
وطال احتضاني السيف حتى بعاتقي   اخاديد من آثاره وندوب
وتزليف قوم بعد قوم بغارة   صباحَ مساءَ للجبان رعوب
اذا لم يزل عنك الخليل كأنه   حمى القلبَ فاعلم أن ذاك مريب
وان سامحت نفس الخليل فإنه   بكل نواحي ما هويت طبيب
إذا هب علوي الرياح وجدتني   كأني لعلوي الرياح نسيب
وان راح ركب مصعدون فقلبه   مع الرائحين المصعدين جنيب
٨٧ – بنفس . . . .
٨٨– . . . ولم تزل   به وَقْطَةٌ . . .
١٥/أ ١١٩– سقيت . . . .
أحبك أطراف النهار بشاشة   وبالليل يدعوني الهوى فأجيب

---

(١) شطيب .

وفي الهامش [تمت واحداً وتسعين بيتا وهذا الذي صح ، وتركنا ما يزاد وما ليس منها] .

وأورد الهجري (الورقة : ١٧٧) البيت الـ ٩٠ هكذا :

٩٠ – يقولون لا يمشي . . . — أما والهدايا . . .

٩١ – غريب أفادته من الحين نظرة شقيٌّ بأبصار العُداة جنيب

وفي الهامش : [جنيب : جانب ، أي بعيد ليس من الذين هو فيهم] .

— ب —

وفي الورقة ٥٧ ، ٥٨ :

[وليست في الديوان] :

٥٧/ب وأنشدني أبو الجهم الليثي وغيره لابن الدمينة

٥٨/أ كأني[1] وقد أيقنت أن لست مجمعا عزاء وألاّ يجمعَ الشمل جامعُهْ

رجيع هيام مرتين فهمها قديم ، وذا الثاني الذي هو رادعهْ

تردى على خمس وقد تمت الضحى بأعوص من ترجٍ ورِيٍّ وقايعهْ

فما كان إلا ترك أيامه التي تُعدُّ له حتى إذا مرّ سابعه

تشاور فيه الراعيان فهمها مولّ الى الآلاف عنها فراجعه

إذا هم يتباعَ[2] الالايف رده تريصٌ ومربوعٌ وثيق ينازعُهْ

فهذاك مثلي يوم أيقنت أنه سيمنعني ملقى أميمة مانعه

---

(١) كلمة (كأني) غير واضحة في الأصل .

(٢) في الورقة ٢١١٠ ب : [وأنشدني في قصيدة لابن الدمينة في البعير المحبوس عن الآلفه :

إذا هم يتباعُ الألالف رده تريصٌ ومربوع وثيق ينازعه

وقد قلت للمُطو (١) الذي كان بيننا شفيعا وعندي في الكرامة شافعه
هب الصلة المُثلى التي أنت مُولها خليلك والنفع (٢) الذي أنت نافعه
جليّة أمر عن أميمة إنما شفاء المعدّي أن تلم طلائعه
كما أنت لو كلفتني لك حاجة تكلفتها أو مطمعا أنت طامعه
٥٨/ب فلا تُقلّ بالسرّ الذي ان كتمته برئت (٣) ولا يحمدك بالسر سامعهُ

— ج —

وفي الورقة ٦١ :

[مما ليس في الديوان]

وقال وأنشدني الحسن بن عارم الروبي رُوَيْبة هلال بن عامر لابن الدمينة وكان من الرواة :

ألم تسأل الذي غير المحل بأجزع (٤) بين الهضب والعقد (٥) السهل
بأجزع (٤) رابي كل عام تمِلُه (٦) ذهابُ الفوادي والمرجان مع الوبل
إذا ما الحيا المكنون اودى رأيته لمُلك الثرى بعد الخيار ابي البقل
عفاه البلى بعد الجميع وقد نرى به بُدّنا تمشي على قصب خدل
ثقالٌ تواليها لطافٌ خصورها عقائلُ يسبين العقول بلا ذحل

(١) الكلمة غير واضحة .
(٢) جر النون من النفع لغة فصيحة .
(٣) الكلمة غير واضحة .
(٤) أجزع الأولى في الأصل منقوطة الراء والثانية مهملة .
(٥) بفتح القاف .
(٦) (تمِلُه) فوق الميم كلمة معاً ، أي بكسرها وضمها .

بِشُنْبٍ عِذابٍ لم يفلَّلْ غُرُوبُها … ومكحولة حُورٍ مدامعها نُجْلُ
ألا يا أميم القلب أبقي بقية … ولا تقتليني لا بمال ولا تبل ٦١/ب
ولا بدم أسديته تطلبينه … والا فهاتي حاكمينا إلى عدلِ
وإياك أن تُنزري عليك صحيفةٌ … اراتق (١) ممن لا يمرُّ ولا يُحلي
شديد التقاضي أو صموت كأنه … خليع خلا من كل مال ومن أهل
الا إنما حُبّي أميمة سكرة … مع القلب كل السكر يُجلى ولا يُجلي
بلاني بها ربّي كأن لم يرَ العُذي … بلاءً من الرحمن مسَّ امرأً قبلي
وما أنس من مرّ الليالي وطولها … ومن صرف دُنيا لا تدوم على شكل
فلست بناس من أميمة مُلتقىً … لهونا به لا في جفاء ولا شغل
ولا طيب رياها وما ساقطت لنا … أحاديث أحلى من سبي (٢)
ولا قولها لا يُسليك النأيُ انه … لم لم يكن جلدا مس (٢)
فقلت لها ماخطرة الحبّ في الحشا … مع القلب إلا القتل اوشـ (٢)
فقالت تعلّمْ أن مثل الذي مضى … من الهجر إن عاودته مذهبٌ عقلي
فقلت لها لولا الحياء وأنني … أواتي رجالا فيك قد نذروا قتلي ٦٢/أ
لما طال هجريكم ولا كنت قانعا … بمالٍ سواكم يا أميم ولا أهل
ولما خشيتُ الناس ان يظفروا بنا … جميعا أو ان تردي أميمة من أجلي
بدوت فلم أشخص (٣) بعين ولم أضف … جناني الى وعثاء من خمر الوغل
وقامت قطوف المشي بكرٌ كأنما … روادفها انقاء دعص من الرملِ

(١) كلمة (اراتق) ليست واضحة في الأصل .
(٢) أواخر الأبيات الثلاثة غير واضحة .
(٣) في الهامش [كذا أي بضم الخاء من أشخُص] .

تُرَاكلُ ثَنْيَ المِرْطِ منها بِخَدْلَةٍ دَفِينَةِ حَجْمِ الكَعبِ مصمتةِ الحِجْلِ
بعثتُ رسولاً لم يُقصِّرْ بحاجتي ولم يَبْدُ للواشي ولم ينس ما قُبْلِي
فما وعدَتْنا غير رَجّاء[1] قابل فكان انتظار الحول مثلاً من المثل
٦٢/ب فما طعم وَفْر تضرب الريح متنه بهَضْب حجازيّ على رصف مَحْجِلِ
بأطيب من فيها ولا قَرْقَفِيَّة عُقَارٌ مصفاة صفت من جنى النحل
وبي من هواها مضمراتٌ كأنها مع الليل أرشاق تَوَاتَرَ بالنبل
وأُخْبِرْتُهَا حلَّتْ المراويح أهلها وَيَا بِأَبِيِّنَا أهل المراويح من أهل
وهي تامة

— د —

في الورقة : ٢١١ :

[وكل مقصور غير بنيته لم يخرج من القصر إلى مَدٍّ ولا غيره . وكذلك الممدود مثل الرَّجَاء والقَضَاء وأشباههما فهو على مدّه ، ويتكلم به أهل تُرَبَة ورَنْيَة من سلول وخثعم ونَهْدٍ وَجَرْمٍ ، وهم نُهَيْكٌ في الفصاحة . وأنشدني أبو هشام الشهراني لابن الدُّمَينة :

فما وعدتنا غير رجَّاء قابل فكان انتظار الحول مثلاً من المثل]

— هـ —

وفي الورقة ٢٥ ب والورقة ٢٦ :

قال : وأنشدني الشهراني وغيره لصاحب جنوب القلب فبعضٌ يقول هو نَهْدِيٌّ وبعضٌ يقول هو خثعمي .

(١) تحت كلمة (رجاء) جملة (كذا في النسخة) .

وربما أنشَدَ : (تقول أُميمُ القلب) لابن الدُّمينة :

تقولُ اميم القلب يا كَمْ تودُّنا ... الا يا جنوب القَلْب كَم عدد القَطْر

الا يا جَنوبَ القلب هل تذكرينني ... فبالله لا أنساك إلا إلى ذُكْرِ

الا يا جَنوبَ القلب لا يعلم العِدى ... بحُبّيك حتى يعلموا ليلة القَدْر

سوى رَجْمِ ظنٍّ منهم ليس غيرُهُ ... فمُخطٍ ومنهمُ من يصيبُ ولا يدري

له غَلَقٌ مفتاحه عند كوكب ... من الغامصات لا سِمَاكٍ ولا نَسْرِ

وهل يذهلَنَّ النفسُ عنك تَجَنُّبي ... بلادَكِ او هل يقبلن العدى عُذْري

سوى أنَّ طَرْفَ العين كل عشية ... وكل ضُحىً زَوْرٌ لأعلامك الغُبْر

وفي الهامش [الورقة ٣٦] على كلمة الغامصات ما هذا نصه :

[الغامصات الضعيفة الضوء لبعدها وهي الشعرى الغمصاء : والغميصاء موضع من صدر يلم بها قتل خالد بن الوليد جذيمة بن كنانة ام] .

محمد الجاسر

التعريف والنقد

البلاد العربية والدولة العثمانية

لأبي خلدون ساطع الحصريّ : في ٢٨٧ صفحة ،
طبع دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٠

من الناس من لا يحتاج إلى تعريف كالأستاذ ساطع الحصري الذي عرفه قومه العرب وهو بين الترك قبل الحرب العالمية الأولى ، علماً من أعلام الدولة العثمانية وكاتباً مبيناً في التركية من أكبر كتّابها ، وإماماً في التربية الصحيحة لمربّيها المشهورين ، وعرفناه في الدولة العربية الفيصلية في الشام والعراق من بواعث القومية العربيّة والنهضة التعليمية . وعرفناه بعد أن انضم إلى قومه العرب سنة ١٩١٩ يدرس لغته العربية دراسة عملية ، ويتمرّس على الكتابة والخطابة بها حتى أصبح من كتّابها ومؤلّفيها المحققين . وكتابه هذا يؤيّد ذلك فان هذا الكتاب الممتع يتضمّن الاتفاقات السرية التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأوربية الكبرى قبيل الحرب العالمية الأولى .

ويتضمن مما لا يسع عربيّاً جهله من استيلاء الأتراك على البلاد العربية والاتجاهات السياسية بين الهيئات العربية ، ثم انحسار الحكم العثماني عن البلدان العربية ، وتدخّل الدول الأوربية في شؤون الدولة العثمانية الداخلية ، فيتكلم على احتلال الجزائر وتونس ومصر وطرابلس الغرب وعلى اقتسام مناطق النفوذ في آسية العثمانية ، ويشرح لنا قضية سكة حديد بغداد ، ويكشف الحجاب عن الاتفاقات العثمانية البريطانية (١٩١٣ — ١٩١٤) كاتفاقية شط العرب ،

والملاحة النهرية والسكك الحديدية واتفاقية المحميات وحضرموت ، وفي آخر كتابه بيان تاريخي قويم للإيالات العربية في أوائل القرن السابع عشر وللولايات العربية في أوائل القرن الحاضر ؛

ومن دلائل تحقيق الكتاب وأن صاحبه لا يكتفي بنقل الوقائع والأخبار بدون تمحيص واستقصاء ، فهو من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأصدقه ، منها مسألة انتقال الخلافة من العرب إلى الترك فانا نرى جميع كتب التاريخ تقول : إن آخر الخلفاء العباسيين بمصر المتوكل على الله قد تنازل عن الخلافة للسلطان سليم العثماني في القاهرة أو في القسطنطينية ولكن الأبحاث التاريخية لا تؤيد ذلك بل تؤكد أن هذه الرواية أسطورة تكونت بعد فتح مصر ووفاة السلطان سليم بمدة طويلة .

ويثبت المؤلف قوله هذا بأدلة كثيرة منها :

أن المؤرخ ابن أياس المعاصر لاستيلاء العثمانيين على مصر دوّن في كتابه بدائع الزهور كثيراً من الوقائع المفصلة ، ولم يذكر شيئاً عن الخلافة وانتقالها ، مع أنه يذكر سفر الخليفة إلى القسطنطينية والأخبار التي وردت منه في حياته وبعد وفاته ، وجلوس ابنه السلطان سليمان على العرش ، وكان كلما ذكر المتوكل على الله لقبه بالخليفة ، وكلما ذكر سليماً وسليمان لقبهما بالسلطان .

ومنها أنه لا يوجد تاريخ تركي كتب في عهد السلطان سليم الا (منشآت فريدون بك) الذي سجل ما فعله هذا السلطان منذ مغادرته العاصمة بغية فتح مصر حتى عودته إلى عاصمة ملكه ، ولم يذكر كلمة عن قضية الخلافة ، وهو حينما يذكر الخليفة يصفه بالعبارة التالية : « الخليفة المتوكل على الله مولانا محيي الدين من آل العباس الذي هو بقية الخلافة العباسية في المحروسة المصرية . »

وأقرب التواريخ العثمانية إلى عهد السلطان سليم هو المعروف باسم تاج التواريخ

وفيه بحث طويل عن هذا السلطان ، ولم يذكر شيئاً عن الخلافة ، وكاتب هذا التاريخ كان ابن شيخ الإسلام الذي رافق السلطان سليمان خلال سفره الى مصر ، فلو أنه حدث تبدلٌ ما في أمر الخلافة خلال وجود السلطان في مصر أو بعد عودته الى القسطنطينية لكان قد اهتم بذكره الاهتمام كله .

وهكذا يثبت المصنّف أن رواية انتقال الخلافة العباسية الى الترك قد اختلقت بعد عهد السلطان سليم بزمن طويل ، ذلك لأن سلاطين آل عثمان لم يهتموا بادئ الأمر بالخلافة ، ولمّا أرادوا الانتفاع بها ، اختلقها ساسة الترك ومؤرخوهم وذلك لاعتقاد المسلمين بها ، ومثل هذه العقيدة قد قوّت نفوذ الدولة العثمانية وسهل حكمها للعرب تسهيلاً كبيراً ، كما أنها أخّرت نشوء القومية العربية تأخيراً كثيراً .

ومن أوهام الطبع التي قلما خلا كتاب منها كتابة الإيالة بهمزة فوق الألف كما جاء في الصفحة (٣١/٥) وصواب رسمها بأن توضع تحت الألف لأن الإيالة بمعنى الولاية والسياسة ؛

وفي الصفحة (٣١/٤ و ٣٤/١٠) : أصحاب التيمارات والزعامتات ، وصواب القول : والزعامات ؛

وفي الصفحة (٣٢/٨) : ينصب لكل منها قاضي أو نائب قاضي ، والصواب : قاضٍ أو نائب قاضٍ ؛

وفي الصفحة (١١٧/١٤) : تعرضت الى ثورات واغتشاشات عديدة ، وصواب القول : الى ثورات وفِتَن مثلاً ؛

وفي (١٣٢/٣) : ها إن الدولة قد عجزت ، بدل ها هي ذي الدولة قد عجزت .

وجاء في (١٣٨/٥) : عبد المجيد الزهراوي ، والرجل هو الشهيد عبد الحميد الزهراوي .

وبعد : فقد عرف العرب الأستاذ الحصري من أئمتهم في التربية والتعليم ، وعرفوه بما كتبه في القومية العربية من دعاتها المخلصين ، وكتّابها السياسيين ، وبما كتبه عن ابن خلدون من حماة التاريخ العربي ، وهذا الكتاب حسنة جديدة من حسناته على الثقافة العربية .

التنوخي

حول القومية العربية

تأليف ساطع الحصري

مطابع دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦١ ، ٣٩٢ صفحة من القطع المتوسط

هذا كتاب جديد تصدره المطبعة العربية للعلامة ساطع الحصري ، إنه الحلقة الثامنة من السلسلة القومية ، سلسلة الكتب التي نشرها الأستاذ الحصري على الناس ، يحدثهم فيها حديث المعلم الواثق بعلمه ، وحديث المؤمن القوي الإيمان بما يعتقده ، يحدثهم فيها عن القومية بمفهومها العام ، وعن القومية العربية بصورة خاصة .

لقد كتب الأستاذ الحصري بقسم سلسلة الكتب التي نشرها عن « القومية » الى نوعين أساسيين ، هما بحسب ما صنفه بنفسه (ص ١٣١) التاليان :

أ — الكتابات التي تعرض وتشرح مسائل القومية ونظرياتها عرضاً مباشراً .

ب — الكتابات التي تبحث المسائل المذكورة ، عن طريق انتقاد الآراء الخاطئة التي تنتشر في هذا المضمار .

والكتاب الجديد واحد من عدة كتب تنتسب كلها الى النوع الثاني من تصنيف الأستاذ الحصري لكتبه القومية ، إنه كتاب يتصيد فيه مؤلفه ما يدور في خواطر كثير من الناس ، وما تلوكه ألسنة بعضهم حول القومية العربية وحول

الوحدة بين مصر وسورية من نقد وتجريح ، والأستاذ حصري يقف بالمرصاد لكل من ينال من الفكرة القومية أو يشكك في أمنية الوحدة العربية ، فتراه يرد على الشبان ممن تنقصهم المعلومات تارةً أو يفتقدون الخبرة تارةً أخرى . ويرد على بعض الأساتذه والكتاب ممن بنوا معلوماتهم على خطأ فوصل الخطأ إلى ما كتبوه أو نشروه او تحدثوا به ، كما يرد على فئة ضلت الطريق فانحرفت عنه ، وهو يقف من هؤلاء جميعاً موقف المعلم أو المرشد أو الدليل .

ان من يقرأ كتاب الأستاذ الحصري يراه على القمة العالية للموضوع الذي يعالجه ، القمة التي ارتفع إليها باطلاعه الواسع وبثقافته العميقة ، وبخبرته الطويلة ، يحرس الفكرة التي آمن بها ووقف حياته على الدفاع عنها ، فكرة القومية العربية ، وكله آذان تسمع ما يدور حولها ، وأعين ترى من يقترب من حرمها ، يسلط الأنوار على الطرق المؤدية إلى الأهداف الموصلة إلى تحقيقها ، ويسلط الأنوار على السبل المنحرفة ليحذر الناس من سلوكها فلا يضلوا ، ولا يأثموا بحمل وزر من يأثم بهم أو يسير في إثرهم .

وإذا ما هدم الاستاذ الحصري فكرة خاطئة أو اقتلع مبدأ غير سليم فهو لا يكتفي بما هدم وبما اقتلع ، بل يحرص أشد الحرص على التفتيش عن انقاض ما هدم وجذور ما اقتلع ، لأن ما ينادى به يعتبر مبدأ جديداً عند كثير من الناس و « المبدأ الجديد ، لا يكتفي بطرح واستبعاد الآراء والمعلومات السابقة المنافية له ، حتى ولا بطرح واستبعاد كل ما كان لتلك الآراء والمعلومات من فروع ونتائج ... بل انه يستلزم ـ فضلا عن ذلك كله ـ النظر إلى الأمور بنظرات جديدة ؛ وذلك يقتضي — بطبيعة الحال — إعادة النظر في سُلَّم « القيم » التي استقرت في الأذهان واستحكمت في النفوس — ص ٨ » .

ان كتاب الاستاذ الحصري ، كما يقول في مقدمته ، حصيلة عامين ، فقد

كتبت أبحاثه في تواريخ مختلفة وتهدف جميعها إلى شرح مبدأ « العروبة أولاً » والعمل على التحرر من جميع الآراء والنزعات التي تخالفه ، ثم تقييم الأمور تقييماً جديداً ينتهي إلى تكوين « مسلّمات جديدة » يختلف عما يألفه كثير من الناس .

* * *

يفتتح المؤلف أبحاثه بالحديث عن الإيمان والمعرفة وتتاليهما زمناً ، فيتحدث عن أنواع الإيمان ، ليصل بالحديث إلى الايمان القومي وليؤكد للناس ان هذا الايمان لا يمكن أن يسبق المعرفة في شؤون القومية العربية ، ثم ينهي حديثه قائلاً : « ان بث الإيمان بوحدة الأمة العربية — في ظروفنا الحالية — يتطلب بذل الجهود الكثيرة لاستئصال جذور الآراء والمعتقدات المخالفة التي تسلطت على أذهان الكثيرين ... مع مواصلة الجهود لوقاية هذا الايمان من تأثير التيارات التي تعمل لزعزعته وإضعافه بوسائل شتى — ص ٢٣ » .

ويقف الأستاذ المؤلف ، في حديثه الثاني ، وقفة طويلة ليشرح معنى كلمة « ناسيونالیزم » وتطور مفهومها ، من معنى « القومية » إلى معناها السياسي المعاصر إذ أصبحت تدل على « الوطنية المتطرفة » ، ثم ليبين كيف أن كثيرين من الكتاب أخطأوا في فهم تلك الكلمة ظانين أنها ما زالت تدل على « القومية » وكان خطأهم « من جملة الأسباب التي أدت إلى انتشار بعض الآراء المغلوطة عن « القومية » بوجه عام ، وعن القومية العربية بوجه خاص — ص ٣٣ » . ولم يفت المؤلف التنبيه على أن تطور معنى « ناسيونالیزم » شيء غير تطور معنى « القومية » وبعد أن شرح نتائج الخلط بين مفهومي « ناسيونالیزم » و « قومية » قال : « ان هذه الحقائق يجب أن تبقى نصب أعين الكتاب الذين يهتمون بقضايا القوميات . ص ٤٢ » .

وخص الأستاذ الحصري حديثه الثالث لتفنيد خطل ما اثير حول وحدة سورية ومصر ، وليؤكد لقارئيه بأن : « كل ما حدث ، كان نتيجة لسير التطورات السياسية والنزعات القومية .. وانه كان بمثابة التقاء تيارين قويين ، اتجها اتجاهاً واحداً في احداث العالم العربي . ص ٥٤ » وليؤكد لهم أيضاً : « أن السوريين كانوا قد تشبعوا بروح العربية منذ مدة طويلة ، حتى أنهم حتموا على رئيس الجمهورية ، وعلى النواب ، القسم بالعمل في سبيل تحقيق الوحدة العربية » ثم يخاطبهم قائلا : « ويجب أن تتأكدوا بأنهم — أي السوريين — لا يعتبرون الوحدة مع مصر غاية مقصودة لذاتها ، بل يعتبرونها خطوة في سبيل تحقيق الاتحاد العربي العام . ص٥٦ » .

اما حديثا الاستاذ الحصري الخامس والسادس فيدوران حول ضرورة الاستفادة من تجارب الأمم ، وحول مدلول « الاستراتيجية » وهو يؤكد بأن المقصود من تعبير « استراتيجية الشرق الأوسط » هو « استراتيجية » الدول العربية في البلاد التي يطلق عليها اسم الشرق الأوسط ، وان العرب لا يعترفون بوجود « شرق أوسط » إذ ليس في المنطقة التي يطلق الغربيون عليها هذا الاسم الا « عالمنا العربي » — ص ٧٦ .

ولا ينهي الأستاذ حديثه الا ليبدأ حديثاً جديداً يدور حول « القومية العربية والقوميات الأوروبية » يوضح فيه « وجود فروق بين مختلف القوميات مثل الفروق التي تلاحظ بين مختلف الاحياء . — ص ٥٨ — ويعيد فيه ما قاله وكتبه مراراً من « أن الأمة كائن اجتماعي حي ، لها حياة وشعور ، وان حياتها في اللغة ، وشعورها بالتاريخ — ٨٨ » .

ويجب الأستاذ المؤلف في حديثه التالي من يتساءل عن « الأرض » ولماذا لا تعتبر من المقومات الأساسية للأمة ، فيقول : « ان اس الأساس

في تكوين الأمة وبناء القومية ، هو : وحدة اللغة ووحدة التاريخ — ص ٩٤ » . أما « الرقعة الجغرافية ، فلا تمكن أن تعتبر من المقومات الأساسية — ص ٩٤ » وهو يستشهد بالتاريخ الذي يعطي أمثلة كثيرة وبليغة تؤيد كلها : أن الأرض المشتركة ، أو الأرض المعلومة والمعينة ، من لوازم الدولة ومميزاتها ، ولكنها ليست من مقومات الأمة ، لأن الأمة لا تكون صاحبة أرض مشتركة ومعلومة ، الا عندما تكون « دولة قومية موحدة ، حيث تنطبق حدود الدولة القومية تمام الانطباق — ص ١٠٣ » .

وفي الفصل الذي عقده الاستاذ الحصري للحديث عن أهم مسائل التربية من وجهة الوطنية والقومية ، وصل بقارئه إلى ضرورة حشد الجهود في تربية الجيل الجديد ، للوصول إلى الغاية التي ينشدها كل عربي ، وهي « توحيد الأمة العربية وترقيتها » — ص ١٢١ . مع الاهتمام « بتقوية الخصال الاجتماعية أكثر من الاهتمام بتنمية القوى الفردية — ص ١٢٣ » وكل هذا « يرتب علينا أن نعيد النظر في تاريخنا بنزعة تربوية قومية ، ونبحث من زواياه عما يفيدنا في جهودنا التجديدية من جهة ، وفي مرامينا القومية من جهة أخرى — ص ١٢٣ » وقد كشف المؤلف في هذا الفصل من كتابه عن اخطار « الدعاية الأممية » وضررها المهلك القتال بالنسبة إلى أبناء الضاد ، وقال بلهجة الموجه الواثق : « يجب علينا أن نبذل أقصى الجهود لمنع تسرب النزعة الأممية إلى النفوس من جميع الأقطار العربية — ص ١٢٧ . » ولم يدفع المؤلف إلى البقاء على مثل هـذا الغلو الا رأيه بأن الوقت الذي مضى على يقظة الأمـة العربية لم يكف لاختمار الفكرة القومية في نفوس أبنائها ، ولتكون الشعور القومي وتأصل النزعة الوطنية في تلك النفوس ، فهو يخاف من رياح « النزعة الأممية » على نبتة الوطنية قبل أن تتأصل .

والفصل الهام من كتاب الأستاذ الحصري ، الذي وقفت عنده طويلا قد توج بهذا العنوان « عود إلى مسألة من هو العربي ؟ » وقد خصه المؤلف بالرد على من يقول : « العربي هو من يتكلم العربية ، ويريد أن يكون عربياً » معترضاً عليه بقوله : « قد يكون المرء عربياً غير واعٍ لعروبته » فلما اجيب بأن من لم يرد « أن يكون عربياً ، كيف نستطيع أن نعتبره عربياً ! ألم يكن من الأوفق أن نجعل الارادة شرطاً من شروط العروبة » انبرى للرد من جديد ، لأنه لا يؤمن بالإرادة الشخصية في الانتساب إلى العربية ، لأن الإرادة في رأيه قد تكون مشوبة بالجهل أو بالغفلة والانخداع ، أو بالأنانية ، ففي هذه الحالات يرى وجوب عدم الاهتمام بالارادة التي تنفي العروبة عن صاحبها ويقول عنه : « انه عربي ، شاء هو أم أبى ، اعترف بذلك أو لم يعترف — في الحالة الحاضرة — انه عربي ، جاهل ، أو غافل ، أو عاق ، أو خائن » ولكنه عربي على كل حال . عربي فاقد الوعي والشعور ، وربما كان — في الوقت نفسه — فاقد الضمير — ص ١٠٩ » .

قال الأستاذ الحصري هذا القول ، وأخذ يضرب الأمثلة التي تقنع بأن إدخال الارادة في تعريف « العربي » تؤدي إلى نتائج غير منطقية ، فكم من كاتب نفى عن نفسه العروبة يوماً ، ثم عاد إلى الاعتزاز بعروبته ، عندما تكشفت له الحقيقة ، أو جرفه التيار العام ، وأمثال هذا الكاتب كانوا يمثلون جيلاً بأجمعه من العرب ، والأستاذ الحصري يعتقد بأن « الأمة كائن حي ، له حياة وشعور ، وعدم وجود الشعور لا يعني عدم وجود الأمة ، بل ان الأمة التي لا تشعر بشخصيتها القومية اليوم ، قد تشعر بها غداً ، وبتعبير أعم ، لا بد من أن تشعر بها غداً — ص ١١٣ » .

ان من يقرأ الأستاذ الحصري يقتنع بالأمثلة التي ضربها ، ويشاركه في رأيه

بأن الارادة غير الواعية أو المشوبة بجهل أو غرور أو أنانية ، لا يمكن أن تنفي العروبة عمن ينفيها عن نفسه ، ولكنه يشعر بأن « القومية » من خلال الأسطر التي كتبها الأستاذ الحصري اصبحت « ضريبة » تفرض على كل من تكلم العربية أو أقام في بلد عربي ، كردياً كان أو فارسياً يعتز الواحد منهما بقوميته ، أو أرمنياً كان أو زنجياً لا يود كل منهما التخلي عن الانتساب إلى قومه ، وهذا أمر لا يقره أحد على ما أعتقد ، وإذا أخذ به فستصبح القومية شبيهة بما يسمى « الجنسية أو التابعية » للدولة ، وهي التي ينظمها القانون ولا يسمح بالتخلي عنها الا وفق أحكامه ، وإن يكن أصحاب تلك الجنسية منتسبين أحياناً إلى قوميات شتى لا يريدون التخلي عنها .

ان أسس القومية العربية ، كما يذكر الاستاذ الحصري ، وحدة اللغة ووحدة التاريخ ، أو بتعبير آخر له : « اللغة والشعور » وهل جهل التاريخ أو انفصاله عن تاريخ الأمة العربية بالنسبة إلى شخص أو مجموعة من الناس ، يحول دون انتسابه أو انتسابهم إلى القومية العربية إذا كانوا يشعرون بشعور اخوانهم العرب ويريدون أن يكونوا عربا ؟ وهل يجب ان يُقسَر الناس على الشعور بآلام العرب وبآمالهم ، ما داموا يتكلمون العربية ويقيمون في بلد عربي ؟ وماذا نصنع بأولئك الذين لم ينم الشعور فيهم ، أو كان شعورهم مفرضاً لجهل أو غفلة أو خيانة ؟ أظن أن الأستاذ الحصري سيجيب على تساؤلي بقوله : يجب أن ننمي شعور هؤلاء أو نقومه حتى يدركوا حقيقتهم ويعتزوا بقوميتهم ، وانا ما أظن أن الأساتذة ، الذين جعلوا الإرادة شرطاً من شروط الانتساب إلى القومية العربية ، قصدوا بالارادة بالحكمة العابرة والرأي السياسي والرغبة الجاهلة أو المغرضة انما ـ كما أعتقد ـ قصدوا بتعريفهم الارادة الواعية السليمة وغير المنحرفة فاذا انحرفت يوماً ما ارادة انسان أو مجموعة من الناس في أي بلد عربي ، فيجب تنمية

إرادة هؤلاء أو حمايتها من الزيف والغرض حتى يدركوا حقيقتهم ويعودوا على إرادتهم إلى الاعتزاز بقوميتهم .

أما إذا لم يريدوا، على الرغم من ذلك، أن يعدوا أنفسهم عرباً، فسيظلون في نظرنا من العرب (ما دمنا نريد ذلك لهم) ، ولكنهم يظلون في نظر أنفسهم من غير العرب . ولا سبيل لنا على ما في قلوبهم إلا إذا غيروا ما فيها . ولذلك لا يجوز الاكتفاء بالتعريف الناقص وهو : « العربي من تكلم بالعربية » لأن معنى ذلك أن نعد من العرب كل من مر ذكرهم وكل المستشرقين والأجانب الذين يتكلمون بلساننا ولا يريدون الانتساب إلى قوميتنا . ولا بد لنا إذن من إضافة عنصر الإرادة إلى التعريف الناقص حتى يتم بقولنا « العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً » . ومن المعلوم أن الشعور والإرادة هما العامل المثالي الأساسي في قيام جميع القوميات [1] .

☆ ☆ ☆

ان الأستاذ الحصري يضفي على كل ما يكتبه فيضاً من إيمانه بالقومية العربية واعتزازه بها ، فيزيد المؤمن إيماناً والمعتز اعتزازاً ، وهو يفرض على قارئه الاحترام ، ولو كان له رأي يخالف رأيه ، أو كان يحتفظ لنفسه بقيوده على بعض نظرياته ، وذلك لأن من يكتب عن عقيدة راسخة وإيمان لم يعتوره شك ، يوم كان المؤمنون قلة ، وظلام المستقبل يكتنفهم ، جدير بالاحترام ، وخاصة بعد أن انبلج الصبح وعم النور ، ووضحت الأشياء والصور .

لقد انفسنا في الحديث عن كتاب الأستاذ الحصري الأخير ،

(١) واضع جملة « العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً » هو الأمير مصطفى الشهابي . وقد بين في الجزء الأول من كتاب الاستعمار « ص ١٣ و ١٤ » كيف ولماذا وضع هذه الجملة . وكرر ذلك في الطبعة الثانية من كتاب القومية العربية « ص ٣٣ و ٣٤ » .

ولكننا لم نتناول من أبحاثه الا أبحاث قسمه الأول ، والكتاب ذو أقسام ثلاثة خص المؤلف الثاني منها بما كتبه في نقد كتب وأبحاث كثيرة بعضها عربي وبعضها أجنبي ، لأنها تعالج مبدأ القوميات بصورة عامة ، أو تبحث في شؤون القومية العربية بصورة خاصة . أما القسم الثالث من الكتاب فخصه المؤلف بمقالات مختلفة تدور حول مشاكل البلاد العربية تجاه الاستعمار الأوربي ، وحول الأرض والانسان ونقض نظرية الحتمية الجغرافية ، فالمؤلف لا يؤمن بقول القائلين : « بأن الجغرافية توجه التاريخ » .

* * *

ومن أجمل ما في الكتاب ان المؤلف ختمه بالحديث عن « امنية الوحدة » حيث يرى أن فكرة القومية العربية تعني الإيمان بوحدة الأمة العربية ، وهو يقص على قارئيه اسطورة « بندورا » « باندور » آلهة اليونان الفاتنة ، تلك التي أسفرها يوبيتر « جوبيتر » إلى هرقل « هركول » وقد غضب منه فاضمر له الانتقام ، وكلفها حمل صندوق ، على أن لا تفتحه ، فيكون أمانة توصلها إلى هرقل فلما فتحته بسائق من غريزتها ، هب على العالم منه ، ما استودعه يوبيتر من شرور وآثام . ولما حاولت « بندورا » أن تستبقي في الصندوق شيئاً مما حشر فيه ، لم تتمكن الا من شيء واحد لبث في الصندوق وهو « الأمل » وكانت هذه الاسطورة اليونانية ، موضع حديث قديم للأستاذ الحصري ، يوم كان العالم العربي مليئاً بالشرور والآثام ، فكان همه أن يتعلق الناس بما بقي في صندوق بندورا . أما اليوم ، وقد تكللت جهود العاملين المخلصين ، بدافع من « الأمل » بالانتصار على كثير من المساوئ والعقبات ، فقد جعل الأستاذ الحصري « الأمل » جديراً بان يتحول إلى « ايمان » : ايمان بوحدة الأمة العربية وبمستقبلها الباهر .

عدنان الخطيب

المعجم العربي

نشأته وتطوره

تأليف الدكتور حسين نصار
مدرس بكلية الآداب – جامعة القاهرة –

حظيت بقراءة هذا الكتاب القيم منذ أمد قريب وإن كان قد صدر قبل سنوات ، وهو في جزأين كبيرين ، ويتناول موضوعاً بكراً لم يسبق أن ألف فيه أحد قبل الدكتور نصار بهذا الاستيعاب الذي لم يترك شاذة ولا فاذة في المقام الا ألم بها . والحقيقة أني دهشت من سعة اطلاع الرجل وكثرة صبره على الاستقراء والتعليل والمقارنة بين مواد بحثه التي يخرج منها دائماً بالنتائج المطلوبة الموافقة للمقدمات والآراء والتصميم العام المأخوذ به في بناء هيكل الكتاب ، وكنت أرى هذا التوسع في المادة والاستقصاء في البحث فيما أقرأه للدكتور المؤلف من مقالات في مجلة المجمع وغيرها ، ولكني في هذا الكتاب رأيت الأمر الذي يقال في مثله ، جرى الوادي فطَمَّ على القَرِيّ .

إن الموضوع كما قلت بكر لم يتناوله أحد بهذه الطريقة التي عالجه بها مؤلفنا الفاضل ، قد نجد في الفهرسة لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة وما وضع في الفترة التي بين هذين المؤلفين من كتب في تاريخ اللغويين وتراجم أصحاب المعاجم ، وخاصةً كتب السيوطي كالمُزْهِر وبُغية الوعاة ، تفاريقَ من الأخبار عن حياة المعجم العربي ونشأته وتطوره ، لكن الكتاب الذي بأيدينا يصح اعتباره موسوعةً بالمعنى الكامل في هذا الموضوع ، وموسوعةً لا يقصد منها إلى التثقيف العام فقط ، بل إلى الدراسة العميقة التي تحيط بالموضوع من جميع جوانبه . فهو قد أتى على كل ما تضمنته الكتب السالفة الذكر من معلومات

في هذا الصدد ، وتتبع الدراسات الحديثة والبحوث التي كتبها علماء الاستشراق في مختلف المسائل المتعلقة بأصل الموضوع ، واختط لنفسه منهجاً يقوم على وصف المعاجم العربية منذ نشأتها بتبيين طرق تأليفها والأهداف التي ترمي إليها مع تقسيمها إلى مدارس يحرص كل الحرص على تتبع آثار السابقة منها في اللاحقة مستخلصاً من ذلك النتائج التي توضح التطور الطارئ على المعجم العربي في مراحل تكوينه واكتماله .

وهكذا درس في الكتاب الأول — وهو قد قسم كتابه إلى كتب فأبواب ففصول — الرسائل اللغوية المؤلفة على الموضوعات مثل كتب الغريبين والمعاني والمعرب والحيوان والنوادر والبلدان والأبنية والصفات وما إلى ذلك ؛ ودرس في الكتاب الثاني المعاجم ومدارسها المختلفة ، وهي أربع : المدرسة الأولى ، أساسها الترتيب على حروف المعجم بحسب مخارجها ، وتتضمن كتاب العين للخليل بن أحمد ، وكتاب البارع للقالي ، وكتاب التهذيب للأزهري وكتاب المحيط للصاحب بن عباد ، وكتاب المحكم لابن سيده . والمدرسة الثانية ، أساسها الترتيب على الحروف والأبنية معاً ، وتتناول كتاب الجمهرة لابن دريد ، وكتاب المقاييس لابن فارس ، وكتاب المجمل له أيضاً . والمدرسة الثالثة ، أساسها الترتيب على المادة اللغوية بحسب الحرف الأخير ، وتحتوي على كتاب الصحاح للجوهري ، وكتاب العباب للصغاني [1] ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، وتاج العروس للزبيدي ، وكتاب المعيار لميرزا محمد علي الشيرازي . والمدرسة الرابعة ، أساسها الترتيب على ألف باء بحسب الحرف الأول فالثاني فالثالث من المادة اللغوية الأصلية ، وتشتمل على أساس البلاغة للزمخشري ، ومعاجم اليسوعيين ، ومشروعات المجمع

(١) اللجنة : واسمه الكامل : العباب الزاخر واللباب الفاخر .

اللغوي . ودرس في الكتاب الثالث المعاجم التي نحتاج إليها فبين عيوب المعاجم القديمة ، والخصائص التي ينبغي أن تتوفر في المعاجم الجديدة لسد الفراغ الذي يشعر به جمهور المثقفين العرب في هذا الباب .

ويطول بي الكلام إذا أردت أن أتعرض لما بسطه المؤلف في الأبواب والفصول التي تندرج تحت هذه الكتب من أنظار صائبة ، وما طرقه من أبحاث موفقة ، يتأتى لها أحسن التأتي ، ويمحصها بروح علمية مجردة من كل غاية الا غاية معرفة الحق وحصول اليقين ، ولكنني أقول على سبيل العموم أن الأعمال المبتكرة التي من هذا القبيل قلما تستوفي أغراضها ، وتصيب أهدافها بمثل ما وقع لمؤلف المعجم العربي ، حيث خرج بكتاب كامل في موضوع جديد يستحق عليه كل ثناء ، ويستوجب به أعظم التقدير .

وإذا كان لي ما آخذه عليه ليكون تقريظي له خالصاً لوجه العلم ، فهو هفوات طفيفة لا تتعلق بصلب الموضوع وانما هي استدراكات أو تصحيحات أود لو يحققها المؤلف ؛ فاذا تأكد من فائدتها وصوابها عاد إليها عند مراجعة الطبعة الثانية من كتابه النفيس وبذلك يكون قد أوفى على غاية الغاية في التحقيق والكمال .

ففي ص(٤٢) لما تكلم على المؤلفين في غريب القرآن من أهل القرن الرابع ذكر محمد بن عُزَيز السجتاني باسمه ولقبه ونسبه ، ثم عاد فذكره بنسبه أي السجستاني فقط ، وهو مشهور بلقبه ابن عُزَيز ، فكان الأولى ذكره بعد ذلك بهذا اللقب . ثم في الصفحة التي تليها ذكر أن الباحثين أعجبوا بغريب ابن عزيز هذا وأن أبا العباس التدميري ألف كتاباً في شرح شواهده . وأعرف أن مالك بن المرحل الشاعر المغربي المشهور نظمه ، فحبذا لو أن المؤلف ذكر ذلك . وأشير هنا أي في مبحث كتب غريب القرآن إلى أن المفسر

ابن جُزَيّ ، وتفسيره مطبوع ، كتب في صدر تفسيره مقدمة تشبه معجماً صغيراً خاصة بالألفاظ الغريبة الواردة في القرآن وفسرها تفسيراً حسناً ، وقد أفرد هذه المقدمة السيد حسن القادري ونشرها في رسالة مستقلة كما أن العلامة محمد الجامي له نظم في غريب القرآن يوجد عندنا مخطوطاً فهو مما يُستدرك في هذا الباب .

وفي ص (٥٦) أثناء الكلام على كتاب الخشني في غريب الحديث نقل المؤلف وصفاً له عن ابن خير صاحب الفهرسة المشهورة ومضمنه أنه شرح حديث النبي (ﷺ) في (١١) جزءاً وحديث الصحابة في (٦) أجزاء والتابعين في (٥) أجزاء فعلق عليه بقوله : يتضح من هذا الوصف أنه سار فيه على المسانيد . وأظن أن هذا ليس بلازم الوصف ، والمؤلف يعبر هنا وفي غير موضع بالمسانيد ، والصواب المسانـد بغير ياء .

وفي ص (٦٢) أنهى المؤلف الكلام على نهاية ابن الأثير واختصار السيوطي لها المعروف بالدر النثير فقال : واختصر النهاية أيضاً علي بن حسام الدين الهندي الشهير بالمتقي ، ولم يقل شيئاً عن هذا الاختصار كأنه لم يقف عليه ، وأنا أيضاً لا أعرفه الا أنه ذكرني بكتاب تلميذه الشيخ محمد طاهر المسمى بمجمع البحار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، وهو كتاب ضخم في مجلدين كبيرين مطبوع في الهند ، ويعد من كتب الغريبين ، على أن المؤلف أغفل كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض الذي يمكن اعتباره أصلاً لكل من النهاية ومجمع البحار هـذا ؛ في خصوص غريب الحديث ، وهو من الشهرة بالمكان الذي لا يجهل ، وقد قيل فيه :

مشارقُ أنوارٍ تبدّت بسبتة ومن عجَبٍ كونُ المشارق بالغرب

فأُجيب هذا القائل :

وما شرّفَ الأقطارَ الا رجالُها والا فلا فضل لِتُرْب على تُرْب

وهو مطبوع . كما بقي على المؤلف من أفراد التصانيف في غريب الحديث كتاب غريب الشهاب أعني شهاب القُضاعي المعروف في الحديث وهو لابن منصور السجلماسي ويوجد عندنا مخطوطاً .

وفي ص (١١٤) تعرض المؤلف إلى قدم التأليف في لحن العامة ، وسرد أسماء بعض الكتب التي وضعت في العراق والأندلس وغيرهما خاصة بعامية أهلها ، ولم يذكر كتاب ابن هانئ السبتي المسمى بانشاد الضوال وإرشاد السؤال وهو يثبت مساهمة علماء المغرب في هذا الموضوع .. وأنهى المؤلف الكلام على التأليف في لحن العامة والفصيح وإصلاح المنطق ، وتعرض في صفحات عديدة لفصيح ثعلب وذيله وشروحه ، وكنت أود لو أشار إلى نظمه من طرف مالك ابن المرحل فان نظمه هذا له شهرة كبيرة ، ويكثر الاستشهاد به بين العلماء المغاربة ، لأنه من النظم السهل الخفيف ، ولأنه لم يقتصر فيه على مجرد النظم بل أضاف إليه شرح ألفاظه وبيان معانيه ، وربما ضمن نظمه بعض الشواهد ، ومما قاله في خطبته :

وبعدَ هذا فجرى في خاطري من غير رأي نادب أو آمر
أن أنظم الفصيح في سلوك من رجز مهذب مسبوك
وبعض ما لا بد من تفسيره وشرحه والقول في تقديره
من غير أن أعدوَ ذاك المعنى واللفظ الا لاضطرار عنّا

ومن أمثلته :

وقد غبطتُ المرء في أحواله أغبطه بالكسر في استقباله
أعني تمنيتُ لنفسي مثلما له ولا يُسلَبُ تلك النعما

ومن قوله في الاستشهاد :

وقد كفأت يا فتى إنائي قلبته وكان ذا استواء

ونحوه أكفاءٌ في القوافي يشبهه الاقواء [1] في الخلاف
مثاله ما قاله أعرابي ولم يكن في النظم ذا صواب
(بُنَيَّ ان البِرَّ شيء هيِّنُ المنطِقُ الليِّنُ والطُّعَيِّمُ)

وهو مطبوع .

وفي ص (١٢٩) فما بعدها تكلم المؤلف على كتب خَلْق الانسان ، واستوعب في ذلك على عادته ، إلا أنه بقي عليه رَجْزِيَّةُ ابن المُناصف المعروفة بالمُذْهَبة ، وهي مشهورة وقد أُخِذَتْ عنه بالمغرب والاندلس ، ومن قوله فيها :

وطَرَفُ المارِنِ فهو الأرْنَبَةْ وروثة كذاهما مستغربَة

والغريب أن هذا الموضوع هو مما أدخله المؤلف في الباب الرابع من الكتاب الأول وعنوانه كتب الحيوان ، وقد توقعتُ أن يذكر فيه كتاب الحيوان للجاحظ وهو العَلَمُ المفرد في هذا الباب ، وكتاب حياة الحيوان للدميري ، ولكنه لم يفعل .

وفي ص (١٤١) أشار المؤلف وهو يتحدث عن كتب النوادر إلى من ألف في هذا المطلب من أهل القرن الرابع فذكر منهم أبا محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، وهذا غلط فان نوادر ابن أبي زيد القيرواني كتاب موضوعه الفقه ومسائله على مذهب الإمام مالك ، ولا صلة له بالمباحث اللغوية ، وهو في مجلدات مخطوط .

وفي ص (١٥١) فما بعدُ تكلم المؤلف على كتب الإفراد والتثنية والجمع وهو الباب السابع من الكتاب الأول فختمه في ص (١٥٤) ولم يذكر كتاب المثنيين لمحبي المعروف بجنى الجنتين وهو مطبوع .

وفي ص (١٦٧ س ٩) وقع ذكر ابن القوطية بدلاً من ابن القطاع وهو سبق قلم .

وفي ص (٣٥٧ س ١٣) تصحف اسم ابن سيده بابن دريد ولعله تطبيع .

---

(١) الأكفاء هو ما ذكره والاقواء اختلاف حركة حرف الروي .

وفي ص (٥٧٧) رَدَّ المؤلفُ تصحيح صاحب الوشاح لقول الجوهري في طهفة النهدي انه زُهَري نسبة إلى والده زُهَير فقال : ولو سلمنا لصاحب الوشاح لقلنا انه كان الأولى بالجوهري تجنب هذه النسبة خوفا من الخلط بينها وبين الزُّهْري المحدث (المؤرخ) المشهور . ومحمد بن شهاب الزهري ليس بمؤرخ فيما نعرف وهو كذلك لا يلتبس بصحابي اسمه طهفة خصوصاً مع الاختلاف في ضبط نسبتيهما ، فالظاهر أن تصحيح التادلي صاحب الوشاح لقول الجوهري لا غبار عليه .

وفي ص (٥٨٩) ذكر المؤلف احمد بن عبد العزيز الفيلالي وبما أنه هو أحمد ابن عبد العزيز الهلالي السجلماسي المذكور في ص (٥٦٦) ، أحببت أن أنبه على اتحاد الاسمين والمسمى لئلا يتوهم أنهما اثنان ، وفعلا فقد ذُكِرا في فهرس الأعلام عند المؤلف كلٌ واحد منهما على حدة .

وفي ص (٦٧٠) يقول المؤلف وهو يتكلم على كتاب أساس البلاغة للزمخشري وترجع كثرة الأحاديث في الأساس إلى أن مؤلفه من المحدثين ومن المؤلفين في غريب الحديث ، أما كونه من المؤلفين في غريب الحديث فنعم ، وأما كونه من المحدثين فلا .

واكتفي بهذه المراجعات التي قد يكون لها بعض الأهمية عما بقي من الأغلاط التي لا شك في أنها مما نَدَّ عن قلم التصحيح عند الطبع ، وإن كنت أرى ضرورة الاشارة إلى أنه كان الأولى بالمؤلف وهو يكتب بحثا جليلاً عن المعاجم اللغوية أن يتجنب التعبير الشائع وهو الاكتشاف بمعنى الكشف ، فما ذُكِر له في المعاجم من معنى لا يتوافق وهذا الاطلاق ، كما أشير إلى أنه في ص (٢٦٤) جمع الخليل على أخِلّة ونعت هذا الجمع بثلاث وهو يعلم أن حقه الجمع على أخلاء ، وأن يُنعت بثلاثة وسبحان من لا يسهو ولا يغفل .

عبد الله كنون

Vincent Monteil
L'Arabe Moderne
Paris — Librairie C. Klincksieck

اللغة العربية الحديثة

تأليف فنسان مونتيل

طبعة باريس سنة ١٩٦٠ ، ٣٨٦ صفحة من قطع الوسط مع المقدمة والفهارس .

هذا كتاب جيد من كتب المستشرقين في اللغة العربية الحديثة . ومؤلفه الأستاذ فنسان مونتيل المستشرق الافرنسي أستاذ في جامعة مدينة دَكّار في جمهورية السنغال ومدير لمعهد الدراسات الإسلامية فيها . وقد درّس الأستاذ مونتيل في مركز الدراسات العملية للغة العربية الحديثة في لبنان خلال عامَي ١٩٥٨ — ١٩٥٩ .

وموضوع هذا الكتاب الجديد هو قضايا لغتنا العربية الحديثة في أيامنا الحاضرة . يدرس فيه المؤلف كل مسائل لغتنا ومشكلاتها الحاضرة من وجوهها المختلفة .

وعبارة « العربية الحديثة » تلفت نظر القارئ العربي ، وتسترعي انتباهه للوهلة الأولى ، وتجعله يقف عندها مليًّا ، ويسائل نفسه : ما معنى العربية الحديثة ، وماذا أراد بها المؤلف ؟ وهل هناك عربية حديثة وعربية قديمة ؟ ويعني المؤلف بعبارة « العربية الحديثة » ، كما فهمت ، لغتنا العربية الفصحى التي نستعملها في هذه الأيام في شتى مجالات الفكر في الكتابة والكلام ، خارج نطاق اللغة العامية الدارجة على ألسنتنا ، في حياتنا اليومية ، في مجالات الأحاديث العادية في التخاطب والتعامل .

وهذه « العربية الحديثة » تختلف بعض الاختلاف ، في نظر المؤلف ، عن اللغة العربية الفصحى القديمة التي نعرفها ونقرؤها في كتبنا الأدبية القديمة . وهو على حق في رأيه هذا ، فالعربية الفصحى التي نستعملها في هذه الأيام تختلف عن العربية الفصحى التي نجدها في كتبنا القديمة ، على الرغم من أن هذا الاختلاف لا يمتد إلى جوهر اللغة وأصولها ، ويقتصر على بعض ألفاظ اللغة ومصطلحاتها فحسب . ولو شاء الله وبعث شيخ العربية أبا عثمان الجاحظ ، وأحياه مرة أخرى في أيامنا هذه لما فهم علينا شيخنا أكثر الكلام الذي نقوله أو نكتبه في « عربيتنا الحديثة » . لن يفهم الجاحظ علينا قولنا : الرشاش والمدفع والمدرعة والطائرة ... ولا قولنا : كلية الآداب والجامعة الشعبية والفيزياء وعلم الاجتماع ... ولا قولنا : القومية والاشتراكية والشيوعية ... ولا قولنا : المسرح والمسرحية والتمثيل والتمثيلية والرواية ... ولا قولنا : صدر مرسوم جمهوري بتعيين فلان في وظيفة كذا ، ولا قولنا : قام فلان بدوره أحسن قيام ، ولا قولنا : ذهبت البارحة إلى السينما وشاهدت فيلماً جميلاً ، ولا قولنا : جرى احتفال كبير بتدشين سد الرستن ... لن يفهم الجاحظ هذا الكلام وغيره مما نقول ونكتب على وجهه الذي نريده نحن . والسبب في ذلك تغير مدلول ألفاظ اللغة وعباراتها عما كانت عليه في القديم كما قلنا آنفاً ، وتضمينها معاني علوم حديثة .

والحقيقة التي لا مراء فيها أن اللغة العربية تغيرت في هذا العصر ، وابتعدت عن الفصحى القديمة . وكان هذا التغير نتيجة النهضة الحديثة والحياة الجديدة التي نشأت بعد اتصال العرب بحضارة الغرب في أوربا ، وتأثرهم بها وتطبيقهم معطياتها ونتائجها على الحياة العربية .

ويشبه هذا التغير الذي حصل في هذا العصر التغيرَ الذي عرا اللغة العربية بعد ظهور الإسلام ، ولا سيما في العصر العباسي ، بعد اتصال العرب بالحضارات

الأجنبية التي كانت سائدة في البلاد المجاورة التي افتتحوها وانتشروا فيها ، كالحضارة اليونانية والفارسية وغيرهما .

يقول مؤلف « العربية الحديثة » في التمهيد لكتابه إنه قد مضت مائة سنة على بدء نهضة العرب الحديثة ، وإن اللغة العربية قد قطعت المرحلة الأولى في الانبعاث والتغير ، وبدأت مرحلة جديدة أخرى هي مرحلة وضع المصطلحات العلمية والفنية . ويرى أنه قد آن الأوان للبدء في درس هذه « العربية الحديثة » وأعمال الباحثين فيها .

وعلى هذا الأساس مضى الأستاذ مونتيل يدرس قضايا لغتنا العربية الحديثة . وقد ألمّ بكل ما كتب وما قيل في مسائلها المختلفة ومشكلاتها الكثيرة ، واطلع على ما ألف المستشرقون قبله من كتب في هذا الموضوع ، وتابع أعمال المجامع اللغوية ، والمؤسسات العلمية ، والمؤتمرات الأدبية والثقافية التي كانت تعقد في البلاد العربية للتداول والتشاور في هذه المسائل والمشكلات . فجاء كتابه شاملاً جامعاً ، وصار يعتبر مرجعاً أصيلاً في موضوع « العربية الحديثة » .

وللدلالة على قيمة الكتاب وسعة مادته وشموله أحب أن أذكر ها هنا في إيجاز الموضوعات التي عرض لها المؤلف ، وهذه هي :

١ — الباب الأول في الكتابة : صعوبات الكتابة ، الطباعة ، الإصلاحات .

٢ — الباب الثاني في الأصوات : الحروف الصامتة ، الحروف الصوتية ، الإعراب ، نبرة الصوت .

٣ — الباب الثالث في ازدواج اللغة : العامية والفصحى ، أثر العامية في الفصحى ، الأدب الشعبي ، الطريق الوسط بين العامية والفصحى .

٤ — الباب الرابع في ازدواج الثقافة : تحلي بعض العرب بثقافتين ، الترجمة ، تعليم العربية ، التعليم بالعربية .

٥ — الباب الخامس في التصريف : الاشتقاق ، النحت والتركيب ، التعريب .

٦ — الباب السادس في علم دلالة الألفاظ Sémantique : إحياء القديم ، استعارة الألفاظ لمعان جديدة ، ترجمة العبارات ، إبداع الكلمات ووضعها ، أعمال المجامع والمؤسسات العلمية والصحافة والمؤتمرات العلمية ، وضع المصطلحات العلمية .

٧ — الباب السابع في النحو وبعض مسائله .

٨ — الباب الثامن في تركيب الجمل .

٩ — الباب التاسع في الأساليب : اقتباس الأساليب ، نماذج مكتوبة عن الأساليب المختلفة بلغ عددها ثمانية عشر أنموذجاً .

عرض المؤلف لجميع هذه الموضوعات والمسائل ، وأثار كثيراً من مشكلاتها ، وتناولها بالبحث باهتمام وصبر وأناة . وكان بحثه واسعاً شاملاً ، فيه دقة وعمق واستقصاء ، مع عرض لآراء المستشرقين الذين سبقوه ، وآراء كثير من العلماء العرب الباحثين في شؤون اللغة العربية ، والمصطلحات العلمية والفنية فيها ، كالأمير مصطفى الشهابي ، والدكتور جميل صليبا ، والدكتور صلاح الدين الكواكبي ، وساطع الحصري من أعضاء المجمع العلمي العربي وغيرهم ، ومع موازنة بعض المسائل بمسائل مشابهة لها في بعض اللغات الأخرى ، كالعبرية الحديثة واليونانية الحديثة والتركية الحديثة ، وسياقة أمثلة كثيرة ناض بها كثير من صفحات الكتاب .

وبعد فنعود إلى ما بدأنا به ، ونقول : هذا كتاب جيد ، أصيل في موضوعه ، ومن الكتب الفريدة في بابه ، يجدر بالباحثين في شؤون اللغة العربية الحديثة أن يقرؤوه ويعوه أولاً ، وأن ينسجوا على منواله في البحث والاستقصاء ثانياً . وليس لنا في الختام إلا أن نبدي إعجابنا بمؤلف الكتاب ، وتقديرنا صبره على مدارسة هذا الموضوع الشاق والتأليف فيه .

الدكتور عزة حسن

سنابل راعوث

قصائد مختارة للشاعر شفيق المعلوف

مطبوعات دار مجلة « شعر » — بيروت ١٩٦١

مجموعة من القصائد المختارة ، انتقاها الشاعر شفيق المعلوف من دواوينه التي نشرت في فترة سابقة لهذه المجموعة ، وقد أشار في نهاية كل قصيدة إلى اسم الديوان الذي اختيرت منه .

الفكرة حسنة ، وهي معروفة عند شعراء الفرنجة ، لأن الناقد أو القارئ يستطيع أن يطلع على صورة الشاعر من هذه الخطوط المنتقاة ، كما تكون سبباً لتسهيل الدراسة حين يعجز القارئ عن اقتناء الدواوين كلها .

الطبع جميل والاخراج موفق ، وان كان شاعرنا غير محتاج اليهما ولكن القارئ الساذج تؤثر فيه مثل هذه المظاهر إذا كانت حظه من تذوق الشعر قليلا ، أما الناقد الاديب فيهمه من الموضوع كله جودة الشعر ثم يفكر بعد ذلك في الاطار الذي يضم هذا الشعر .

وقصائد المعلوف تحمل طابعها المعروف في جمال الاسلوب واصالة اللغة وصدق العاطفة ، وهذا الشعر بالرغم من ألوانه الجديدة المستساغة ، شعر قويم تأنق فيه الناظم لفظاً وديباجة .

ولكن العنوان « سنابل راعوث » موغل في القدم وهو مستق من تاريخ لا يتصل بنا ، كعرب ، وحبذا لو اختصر الشاعر عنوان مجموعته هذه فاكتفى بكلمة « سنابل » .

اننا نشكر الاستاذ الشاعر على هديته القيمة ونتمنى له النجاح المطرد في مضماره الفني الموفق .

١ ـ (لمات الحياة)

مجموعة شعرية للدكتور يوسف عز الدين
طبعت في مطابع دار العلم للملايين — بيروت

٢ ـ الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

مطبعة سعد — بغداد ١٩٦٠

اهدانا الدكتور يوسف عز الدين — (بغداد) مجموعة شعرية بعنوان « لمات الحياة » نظمها بين لندن واستانبول — وبغداد حيث يعمل الآن . والمجموعة تشتمل على عدد من القصائد الوطنية والاجتماعية والعاطفية ، وقد التزم في بعضها عمود الشعر العربي ، كقصيدته « الى أبناء الجزائر » و « جراح الاماني » و « ايها البوسفور » كما حاول في القصائد الاخرى التجديد في اختيار الوزن الحر والقافية المطلقة كما في قصائده « همسة الزكريات » و « المجهول » و « ليلة العمر » والذي يبدو ان الشاعر قد استفاد الطريقة الجديدة من طول عشرته لشعراء الانكليز ، ونحن لا يسعنا الا ان نشجعه على الجانب العربي من شعره حرصا على جمال الوزن وروعة القافية ، ولا نقره على هـذه المحاولة في « التجديد » التي يراد منها الخروج على الفن الصحيح باسم التطور .

اما الكتاب الثاني ، للمؤلف نفسه ، فهو « الشعر العراقي الحديث » وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه .

وقد أوضح المؤلف في مقدمة الكتاب الدوافع لوجود هذا المؤلف كما شرح لنا المتاعب والتبعات التي واجهته في هذه السبيل . وقد قدم بحثه بدراسات عن المجتمع العراقي وتشكلاته وما تفرع عن ذلك من اتجاه اسلامي و « دستور

عثماني » وحروب أثارتها الدولة العثمانية وأثر هـذه الحروب في الشعر العراقي الحديث ، ثم يعرج بالذكر على أهم معارك الحرب العظمى ، والاحتلال البريطاني للعراق ، والثورة العراقية الاولى ، وقد استشهد بالشعر العراقي المعاصر على كل هذه الحوادث والتطورات السياسية والاجتماعية .

ان هذه الدراسة مفيدة لأنها تطلعنا على جانب من حياة العراق الفنية في ظل الحياتين السياسية والاجتماعية .

ونحن نشكر للاستاذ يوسف عز الدين هديتيه الثمينتين .

سبط ابن التعاويذي

بقلم يوسف يعقوب مسكوني

مطبعة شفيق — بغداد عام ١٩٥٩

هذا مؤلف يتناول شاعرا من شعراء المائة السادسة للهجرة ، ويمتاز هـذا الشاعر بأنه سجل في قصائده انتفاضة الدولة العباسية التي سبقت كبوتها الاخيرة لأنه عاش بزمن الخليفة العباسي الناصر الذي عمل كما يقول المؤلف « على أن يعيد للدولة العباسية مجدها وعزها وكرامتها » خاصة بعد أن رأى الخطر المغولي موشكا أن يظهر . وقد مدحه ابن خلكان وغيره من مؤرخي الآداب ، وكان ظاهر الصراحة يذم من يرى الصدق في ذمه ويمدح من يجد عنده الجدارة ، ولكنه أصيب آخر أمره بالعمى وسد عليه باب الرزق فشكا مرارة العيش شكوى تعبر تعبيراً صادقاً عن مدى احساسه البعيد . يضاف إلى هـذا أن شعره يصور الجهد المبذول للتخلص من الأعجمية والكلمة الدخيلة التي طغت في عهد السلاجقة والبويهيين فكان شعر هذا الشاعر خالياً من هذه الشوائب .

وقد سبق للمستشرق مرغليوث ان طبع ديوان الشاعر سنة ١٩٠٣ .

وتشتمل هذه الدراسة التي بين أيدينا على مقدمة ، ثم نص تاريخي مأخوذ من ابن خلكان حول الشاعر ، ثم يتبع ذلك أقوال مأخوذة من ياقوت وغيره من المؤرخين ، ثم ينتقل المؤلف إلى عصر الشاعر . كل هـذا بأسلوب ودراسة تعتمد على المراجع القيمة .

نشكر للمؤلف هديته الممتعة ونتمنى له النجاح .

احمد الجندي

الدكتور صلاح الدين القاسمي ـ آثاره

في (٣١٦) صفحة من قطع اوسط ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩

قبل نحو من خمسين سنة نشر الدكتور صلاح الدين القاسمي في جريدة « المقتبس » مقالاً عنوانه « الخطران الأصفران » قرن فيه الصهيونية بالكوليرا وجاء فيه — وكان قد شاع نبأ عن تأسيس شركة عثمانية تعمل على شراء أراضي غور بيسان — : « .. معظم المفكرين والعقلاء .. يتوقعون من ورائه شراً مستطيراً على الأمة والوطن بدعوى أن جل الأسهم لا بد أن تلعب بها أيدي الأجانب من الصهيونيين .. ولا يبعد أن تحول بعد ذلك تلك الشركة التي يدعون أنها وطنية عثمانية إلى كتلة أجنبية صهيونية .. ما دام للصهيونيين في معظم المصارف حتى مصرف « كريدي ليونه » نفسه ايدٍ عاملة تسعى وراء خدمة مصالحهم ... وإذا تم ما يريدون وتحققت أمانيهم الذهبية في غور بيسان وغيرها من أراضي فلسطين .. صاروا فيها أصحاب الحول والطول واستتبع ذلك مطاردة الوطنيين أصحاب الملك الحقيقي .. والأمم التي رزئت باستقلالها وحريتها .. انما أصيبت في الغالب من طريق المشاريع الاقتصادية والشؤون المالية ... »

هذه الكلمات التي تخطت التاريخ ما يقرب من أربعين سنة ، تدلل على أن العرب لم يؤتوا من سوء في الفهم وانما من سوء في الظروف وسوء في القيادة والسياسة المحلية — وتدلل أيضاً على الألمعية المبكرة لصلاح الدين القاسمي (١٣٠٥ — ١٣٣٤ هـ) ، الذي نشأ في رعاية أخيه الشيخ جمال الدين القاسمي وعلى صلة وثيقة بالشيخ طاهر الجزائري ، والذي شارك في تأسيس أول جمعية عربية « جمعية النهضة العربية (١٣٢٤ هـ) » التي جعلت مبدأها وهدفها بث فكرة القومية العربية ونشر اللغة العربية .

لقد أحسن الاستاذ ظافر القاسمي بنشر تراث هذا الشاب الألمعي إحساناً كبيراً لا لعمه وانما لهذا الجيل من شباب العرب .. عساه يخفف من غلوائه وكبريائه ويستمسك بأصالته ولغته ويرحض عن نفسه الخلق البرجوازي المهين ليستبدل به خلق الايمان والتبصر والعمل المنظم الدائب واغفال « الأنا » شيئاً ما في سبيل هذه الأمة المعذبة المتخبطة في أحابيل من المؤامرات قديمة منذ قرون .

عبد الكريم زهور

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ « حسني سبح
٦ « حكمة هاشم
٧ « سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ الاستاذ عز الدين التنوخي
١١ الدكتور عدنان الخطيب
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ « محمد كامل عياد
١٥ « امجد الطرابلسي
١٦ الاستاذ محمد المبارك
١٧ الدكتور شكري فيصل

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الاستاذ عمر ابوريشة
٣ « محمد سليمان الأحمد
٤ الدكتور قسطنطين زريق
٥ الاستاذ [illegible]

الجمهورية العربية المتحدة

٦ الاستاذ احمد حسن الزيات
٧ الدكتور احمد زكي
٨ الاستاذ احمد لطفي السيد
٩ « خليل ثابت
١٠ الدكتور طه حسين
١١ الاستاذ عباس محمود العقاد
١٢ الأمير يوسف كمال
١٣ الاستاذ أنيس المقدسي — لبنان
١٤ « بشارة الخوري — «
١٥ الدكتور صبحي المحمصاني — «
١٦ « عمر فروخ — «
١٧ الأستاذ مارون عبود — «
١٨ الأب أ.س. مرمرجي الدومنكي — فلسطين
١٩ الاستاذ قدري حافظ طوقان — «

٢٠ الاستاذ محمد الشريقي المملكة الهاشمية

٢١ 〃 أحمد حامد الصراف العراق

٢٢ 〃 ساطع الحصري 〃

٢٣ 〃 عباس العزاوي 〃

٢٤ الشيخ كاظم الدجيلي 〃

٢٥ الاستاذ كوركيس عواد 〃

٢٦ الشيخ محمد بهجة الاثري 〃

٢٧ الاستاذ محمد رضا الشبيبي 〃

٢٨ الدكتور مصطفى جواد 〃

٢٩ الاستاذ منير القاضي 〃

٣٠ الشيخ محمد نور الحسن السودان

٣١ الأستاذ حمد الجاسر المملكة السعودية

٣٢ 〃 خير الدين الزركلي 〃

٣٣ 〃 علي الفقيه حسن ليبية

٣٤ 〃 حسن حسني عبدالوهاب تونس

٣٥ 〃 محمد الطاهر بن عاشور 〃

٣٦ 〃 محمد البشير الابراهيمي الجزائر

٣٧ 〃 عبد الحي الكتاني المغرب

٣٨ 〃 عبد الله كنون 〃

٣٩ 〃 علال الفاسي 〃

٤٠ 〃 احمد اتش تركية

٤١ الدكتور علي أصغر حكمت ايران

٤٢ الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند

٤٣ الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي الهند

٤٤ 〃 عبد العزيز الميمني باكستان

٤٥ 〃 يوسف البنوري 〃

٤٦ الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسة

٤٧ الأستاذ كولان (جورج) 〃

٤٨ 〃 لاوست (هنري) 〃

٤٩ 〃 ماسه (هنري) 〃

٥٠ 〃 ماسينيون (لويس) 〃

٥١ 〃 أربري (أ٠ ج٠) بريطانية

٥٢ 〃 جيب (هـ٠ا٠ر٠) 〃

٥٣ 〃 غليوم (الفرد) 〃

٥٤ 〃 ريتر (هلموت) المانية

٥٥ 〃 هارتمان (ريشارد) 〃

٥٦ 〃 ديدرنغ (س٠) السويد

٥٧ الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة

٥٨ الاستاذ فيليب حتي 〃

٥٩ 〃 غومز (اميليو غارسيا) اسبانية

٦٠ الدكتور اشتولز (كارل) النمسة

٦١ الاستاذ موجيك (هانز) 〃

٦٢ 〃 جبرايلي (فرنشيسكو) ايطاليا

٦٣ الدكتور شخت (يوسف) هولاندة

٦٤ الاستاذ بدرسن (جون) الدانيمرك

٦٥ 〃 كرسبكو (يوحنا اهتنن) فنلاندة

٦٦ 〃 رشيد سليم الخوري البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ 〃 سليم البخاري
٣ 〃 مسعود الكواكبي
٤ الاستاذ الياس قدسي
٥ 〃 أنيس سلوم
٦ 〃 جميل العظم
٧ 〃 سليم عنحوري
٨ 〃 عبد الله رعد
٩ 〃 رشيد بقدونس
١٠ 〃 اديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ 〃 محمد البزم
١٦ 〃 سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الاستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ 〃 جرجس منش
٢٣ الاستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ 〃 راغب الطباخ
٢٨ 〃 عبد الحميد الجابري
٢٩ 〃 عبد الحميد الكيالي
٣٠ 〃 محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الاستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطوس افرام

الجمهورية العربية المتحدة

٣٦ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٣٧ 〃 رفيق العظم
٣٨ 〃 احمد كمال
٣٩ 〃 احمد تيمور
٤٠ 〃 احمد زكي باشا
٤١ الدكتور يعقوب صروف
٤٢ السيد محمد رشيد رضا
٤٣ الاستاذ حافظ ابراهيم
٤٤ 〃 احمد شوقي
٤٥ الشيخ احمد الاسكندري
٤٦ الاستاذ اسعد خليل داغر

٤٧	الاستاذ داود بركات	
٤٨	الدكتور امين المعلوف	
٤٩	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	
٥٠	الشيخ عبد العزيز البشري	
٥١	الدكتور احمد عيسى	
٥٢	الأمير عمر طوسون	
٥٣	الشيخ مصطفى عبد الرازق	
٥٤	الاستاذ انطون الجميل	
٥٥	〃 خليل مطران	
٥٦	〃 ابراهيم عبد القادر المازني	
٥٧	〃 محمد لطفي جمعة	
٥٨	الدكتور احمد امين	
٥٩	الاستاذ عبد الحميد العبادي	
٦٠	الشيخ محمد الخضر حسين	
٦١	الدكتور عبد الوهاب عزام	
٦٢	〃 منصور فهمي	
٦٣	الاستاذ حسن بيهم	لبنان
٦٤	الأب لويس شيخو	〃
٦٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٦٦	الاستاذ جبر ضومط	〃
٦٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٦٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٦٩	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٧٠	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٧١	الاستاذ بولس الخولي	〃
٧٢	الاستاذ امين الريحاني	لبنان
٧٣	الامير شكيب ارسلان	〃
٧٤	الشيخ ابراهيم المنذر	〃
٧٥	الاستاذ جرجي يني	〃
٧٦	الشيخ احمد رضا	〃
٧٧	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	〃
٧٨	〃 فيليب طرازي	〃
٧٩	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٨٠	الدكتور نقولا فياض	〃
٨١	الشيخ سليمان ظاهر	〃
٨٢	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٨٣	الاستاذ نخلة زريق	〃
٨٤	الشيخ خليل الخالدي	〃
٨٥	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٨٦	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٨٧	〃 عادل زعيتر	〃
٨٨	〃 محمود شكري الآلوسي	العراق
٨٩	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٩٠	〃 معروف الرصافي	〃
٩١	〃 طه الراوي	〃
٩٢	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٩٣	الدكتور داود الچلبي	〃
٩٤	الاستاذ طه الهاشمي	〃
٩٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٩٦	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش

٩٧ الاستاذ زكي مغامز تركية
٩٨ الشيخ ابوعبد الله الزنجاني ايران
٩٩ الاستاذ عباس إقبال «
١٠٠ الحكيم محمد أجمل خان الهند
١٠١ الاستاذ فران (جبرئيل) فرنسة
١٠٢ « هوار (كليان) «
١٠٣ « بوفا (لوسيان) «
١٠٤ « مالنجو «
١٠٥ « كي (ارتور) «
١٠٦ « باسه (رينه) «
١٠٧ « ميشو بلشير «
١٠٨ « مارسيه (وليم) «
١٠٩ « دوسو (رينه) «
١١٠ « مرجليوث (د٠س٠) بريطانية
١١١ « بفن «
١١٢ « براون (ادوارد) «
١١٣ « كرينكو (فريتز) «
١١٤ « هومل المانية
١١٥ « ساخاو (ادوارد) «
١١٦ « هوروفيتز (يوسف) «
١١٧ « هارتمان (مارتين) «
١١٨ « ميتفوخ (اوجين) «

١١٩ الاستاذ بروكلمن (كارل) المانية
١٢٠ « غولدصيهر (اغناطيوس) المجر
١٢١ « ماهلر (ادوارد) «
١٢٢ « ماكدونالد (د.ب.) الولايات المتحدة
١٢٣ « هرزفلد (ارنست) «
١٢٤ « سارطون (جورج) «
١٢٥ « كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
١٢٦ « برتلز (ايفيكين) «
١٢٧ « آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
١٢٨ « لوپس (دافيد) البرتغال
١٢٩ « جويدي (اغنازيو) ايطالية
١٣٠ « نالينو (كارلو) «
١٣١ « غريفيني (اوجينيو) «
١٣٢ « مونته (ادوارد) سويسرة
١٣٣ « هس (ج٠ ج٠) «
١٣٤ « كوفالسكي (ت٠) بولونية
١٣٥ « موزل (الوا) تشكوسلوفاكية
١٣٦ « هورغرنيه (سنوك) هولاندة
١٣٧ « اراندوك (ك٠) «
١٣٨ « هوتسما (م٠ ت٠) «
١٣٩ « بوهل (ف: م٠ ب٠) الدانيمارك
١٤٠ « استروب (ج٠) «
١٤١ « ستترستين (ك٠ ف٠) السويد
١٤٢ « سعيد ابو جمرة البرازيل

استدراكات وإضافات على الطبعة الثانية

لمعجم الألفاظ الزراعية

« وذكر بعض من اقتبسوا منه »

طُبع « معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية » بدمشق طبعة أولى سنة ١٩٤٣ م ، ثم طُبع سنة ١٩٥٧ طبعة ثانية منقحة ومزيدة ، في « مطبعة مصر » ، وهي من أكبر مطابع القاهرة ، كان أسسها الفقيد طلعت حرب أب الاقتصاد المصري ، في جملة ما أسس من شركات . وعلى الرغم من أنني مكثتُ نحو سنتين من الزمن أشرف على الطبع ، وأصلح الأغلاط المطبعية ثلاث مرات ، عثرتُ ، عند تقليب المعجم ، على غلطات لم انتبه إليها ، ولم أصلحها ، فاستدركتها في هذا المقال ، وجلّ من لا عيب فيه .

ثم وجدت أيضاً بضع كلمات سهوت عن إدخالها في الجزازات التي سلمتها إلى المطبعة ، فأشرت الآن إليها .

وأخيراً لعله من الإنصاف أن أنوه ببعض معجمات وكتب نقل أصحابها من معجمي المذكور مصطلحات وضعتُها ، أو ألفاظاً حققتها ، أو تعريفات علمية صغتها ، من دون أن يسهوا عن ذكر النبع الذي استقوا منه . ولعله أيضاً من الإنصاف لي أن أشير إلى أصحاب معجمات أخرى نقلوا عن معجمي مئات ومئات من المصطلحات والتعريفات التي لم يسبقني إليها أحد ، ومع هذا لم يجشموا أنفسهم ذكر المرجع الذي نقلوها منه إلى معجماتهم .

ومن المسلم به أن معجمات الألفاظ العلمية إنما تصنَّف لـكي يستعمل المؤلفون ألفاظها في كتبهم . ولا يُطلب إلى كل من يؤلف كتاباً علمياً عربياً أن

بذكر المرجع أو المراجع التي اقتبس منها مصطلحات كتابه (وإن يكن ذكر تلك المراجع أجمل به وأدعى إلى تحليه بصفات العلماء) .

ولكنه لا يجوز لمن يصنف معجماً عربياً حديثاً ، أو لمن يعيد طبع معجم كهذا ، أن يقتبس مئات وألوفاً من مصطلحات معجم آخر حديث ما لم يشر إلى ذلك الاقتباس ولو في جملة قصيرة من مقدمة معجمه .

ومن المؤسف أن تكون بلادنا العربية في هذا الزمن خالية من علماء يتتبعون المصطلحات العربية الحديثة وتطوراتها ، ويؤرخون لها ، ويعزون وضع كل مصطلح إلى واضعه . فالغربيون قد سبقونا وجالوا كثيراً في التأريخ لألفاظ لغاتهم ، علمية كانت أو غير علمية .

(١) استدراكات على أغلاط مطبعية وهفوات .

مادة المعجم

Aplombs du cheval جاء في المعجم وَقفة الفرس . والصحيح وِقفة الفرس بكسر الواو . ويقال أيضاً توازُنُ الفرس .

Allium سقط الحرف (l) من الكلمة الفرنسية (Ail) .

Balsamier جاء فيها (V.Gommiphora) والصحيح (V.Commiphora)

Bouquet (الثانية) . قلت عَصفة الخمر . وسقطت كلمة السَّميط وهي بهذا المعنى .

Auge, Crèche, Mangeoire وردت فيها كلمة « مِزْوَد » بالزاي . وأصلح منها « مِذْوَد » بالذال أي معلف الدابة ، وهو المقصود . أما المزود فهو وعاء الزاد عامةً .

Basilic velu وردت كلمة قَرَنْجَمُشك وفيها النقاء ساكنين وميم مفتوحة ، على حين أنها رسمت في الجزء الخامس من

كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ذَرَنْبَجْمُشْك بجيم مفتوحة وميم مضمومة . وهذا هو الصحيح ، لأن أبا حنيفة هو الحجة في صحة أسماء النبات . ووردت « أصابع القَتَيات » نقلتها عن شرح أسماء العقار لابن ميمون القرطبي ، والصحيح أصابع القَيْنات كما جاءت في كتاب أبي حنيفة المذكور وفي مفردات ابن البيطار نقلاً عنه .

Acore odorant — سُهي عن ذكرها في مكانها . وذُكرت في مادة Roseau odorant وهي على ما قلت : وَجّ وأُقُوْرُون وعِرْق أَكَر ، واسمها العلمي Acorus calamus .

Chardonneret — يضاف إلى الشرح أن كلمة حَسُّون وردت في نهاية الأرب للنويري (ج ١٠ ص ٢٥١) ، وفي حياة الحيوان للدميري ، وأنها فيهما غير معرفة بأل التعريف .

Compost — سَماد المزرعة

السَّماد الخليط . وهي أصح من سَماد المزرعة .

Coulure — جاء في آخر الشرح « . . . وهي الصَّاصاء » والصحيح الصَّئْصاء .

Cyme — قُمّة والصحيح قِمّة بقاف مكسورة . أما المضمومة القاف فلها معنى آخر .

Friche — تضاف كلمة صَلَب (ج أصلاب) إلى كلمة بُوْر . ففي التاج : يقال للأرض التي لم تُزرع زمناً إنها أصلاب منذ أعوام وصَلُبت منذ أعوام .

Halo — جاء فيها : هالة . دارة . طَفاوة . والصحيح طُفاوة بالضم .

Hordeum cœleste هو الشعير السماوي . ومرت في الشرح كلمة Siegle والصحيح Seigle .

Glacier في الشرح : جمد متراكب عظيم يكتون ... الصحيح يتكوّن ...

Hysope قلت «زُوفابابس» بالألف ، نقلاً عن كتب المفردات (ابن البيطار ، ابن ميمون ، الأنطاكي) ، ولكنني وجدتها زُوفى كطوبى في القاموس والتاج . ولم أجدها في اللسان .

Jet جاء في الشرح : « والطَرَد في اللغة فرخ النخل الخ . » والصحيح فراخ النخل بالخاء . وفي المخصص « والطَرْد فراخ النخل وجمعها طُرُود » . وعلى هذا تكون كلتا الطَرْد والطَرَد بمعنى Jet و Pousse في النبات عاميتين مشهورتين في الشام .

Mouche bleue de la viande خوتمع . والصحيح خوتع بالتاء . وجاء في الشرح : « عن المخصص ج ٨ ص ٨٤ » ، والصحيح ج ٨ ص ١٨٤ .

Pimpenella anisum الصحيح Pimpinella anisum . وهي صحيحة في مادة Anis أي الأنيسون .

Rhamnus frangula لم يذكر هذا النوع من النبق في مادة Nerprun ولكنه ذكر في مادة Bourdaine حيث سمي الجلهم والعوسج الأسود .

Rongeurs جاء في شرح القوارض : من فصائلها ... الشبيهمية والصحيح الشُيَهْمِيَّة .

Safran cultivé وهو الزعفران الزراعي والجساد والجاديّ . لقد سُهي عن ذكر اسمه العلمي وهو (Crocus sativus) .

Sedum لم يُذكر هذا الجنس النباتي في مكانه ، ولكنه ذُكر في مادة Orpin الفرنسية .

Tonneau بَرْميل . الصحيح بِرْميل بكسر الباء ، على ما جاء في مستدرك التاج . ولكن الفتح هو الشائع .

Vulve سقطت بعد هذه الكلمة كلمات (Lèvre de la) بين قوسين . فالفرج Vulve ، والشُفْر والشافِر Lèvre de la vulve

جُشَيْئات جاء في فهرس الألفاظ العربية أنها في الصفحة ٤٧٨ ، والصحيح ٤٧٧ .

(٢) ألفاظ جزازات سُهي عن تسليمها إلى المطبعة :

مُحَيْضات . مُحَمَّضات . حوامض . حَمْضِيّات . مَوالح Agrumes (اسم شامل لثمار جنس الليمون . والعربيتان الأوليان هما في كتاب قوانين الدواوين لابن مَماتي [1] ، والثالثة والرابعة في الشام ، والمواليح في مصر) .

مَوْزَة . مَمازة Bananeraie .
(بستان الموز)

علم الثَّمَر . ثَمَرِيّات Carpologie .
(جزء من علم النبات خاص بدراسة الثمر)

ثَمَرِيّ Carpologique
(المنسوب إلى علم الثمر)

(١) انظر بحثي في هذه المجلة ج ٣٣ ص ٥٥٦ .

ثِمَارِيّ · إخصائي بالثمر Carpologue

(نباتي مختص بدراسة الثمر)

نباتات الصُّخُور Chasmophytes

(نباتات تعيش في التراب الذي يجتمع في شقوق الصخور)

فاكهاني Fruitier

(بائع الفاكهة · وتطلق الفرنسية على بائع الفاكهة والخضر وغيرها · وتطلق أيضاً على بستان الفواكه أي بستان شجر الفواكه · وذكرتُ في المعجم أنها تطلق على المَثْمَرة وعلى رَفّ الثمر أي أماكن حفظ الثمار)

جِذْل Fût (Syl.)

(ساق الشجرة مجردةً من الفروع والأغصان · وجُمل الجذع أمام Tronc تخصيصاً)

مَدْلَبَة Platanaie

(أرض تُغرس الدلب فيها)

(٣) الذين نقلوا من معجم الألفاظ الزراعية ·

وهم فريقان ، فريق ذكر المعجم المذكور في جملة المراجع ، وفريق أهمل ذكره · فمن عرفت أنهم ذكروه في أمانة : الشيخ أحمد رضا في معجمه « متن اللغة » ، وكُتّاب الأجزاء التي صدرت من طبعة « دائرة المعارف » الجديدة للبستاني ، والبطرك مار اغناطيوس أفرام في كتابه « الألفاظ السريانية في المعاجم العربية » ، ولجنة « المعجم العسكري » الذي صدر بدمشق ، والقائمون على « المجلة الزراعية » وعلى « دائرة المعارف الزراعية » في القاهرة ، وعدد من أساتذة الجامعة السورية ومدرسي علم النبات والعلوم الزراعية في كتبهم ومحاضراتهم الخ ·

أما الفريق الذي أهمل ذكر المعجم فقد عرفت منه حتى الآن : الذين طبعوا في بيروت طبعة سنة ١٩٦٠ من القاموس « المنجد » للأب لويس المعلوف اليسوعي ، والذين طبعوا فيها طبعة سنة ١٩٥٣ من « القاموس الفرنسي — العربي « للأب بلو » اليسوعي ، وأخيراً المشرفين على إصدار الجزء الأول من « المعجم الوسيط » لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

طبعة سنة ١٩٦٠ من « المنجد » . — هذه الطبعة الجديدة أصلح بكثير من طبعات المنجد السابقة ، فقد اشتملت على مصطلحات علمية كثيرة ، وعلى أسماء نباتات وحيوانات وحشرات لم تعرفها العرب ، وعلى تعريفات علمية موجزة لعدد كبير منها .

ويسرني أن أقول إن القائمين على إصدار هذه الطبعة النفيسة قد نقلوا إليها من معجمي معظم ما وضعته أو حققته من أسماء أجناس النباتات والحشرات ، وأسماء الفصائل النباتية والحيوانية ، وأسماء التصنيف في النبات والحيوان ، ومصطلحات مختلف العلوم الزراعية ، والتعريفات العلمية الموجزة لها . وجملة ذلك مئات ومئات من الألفاظ والتعريفات نقلوها على الأخص من الطبعة الأولى لمعجم الألفاظ الزراعية . وهاكم على سبيل التمثيل كلمات قليلة مما نقلوه :

فمن أسماء النباتات التي وضعتها : كَبَدِية ، مكحلة ، كَتّانية ، حافرية ، جَبّارة ، جَرَيِيّة ، أُسطَر الصين ، زهرة الغِمْد ، زهرة الحواشي ، زهرة الآلام ، أرزية ، راتِينَجية ، الفطر الزراعي ، تَبغية ، رمادية ، ساغوتية ، قِمَعِيّة ، قَمَرية ، فُوَيْسة ، قَنْدية ، خالدة ، بَهشِيّة ، جُرَيْس ، جَبّارة ، جار النهر ، حَوضِيّة ، عَفصِيّة ، عَناقية ، الخ . ومثل ذلك كثير ، دع أسماء النبات القديمة التي حققتها ونقلوها عني .

ومن أسماء الفصائل النباتية التي وضعتها : بُلَيْحاوِيّات ، آلاميّات ،

ربيعيات ، قطانيات ، قطيفيات ، بنفسيات ، مازريونيات ، كنباثيات ، حزماريات ، لبلابيات ، طيقيات ، بطباطيات ، حيمحيات ، قمريات صقلابيات ، قلسيات ، مشتركات ، الخ .

ونقلوا كذلك جميع أسماء الفصائل النباتية التي وضعها غيري وحققتها ، واقتبسوا كل ما رجحته أو حورته منها ، ورسموها كما رسمتها ، وهي كثيرة . ومثل ذلك فعلوا بأسماء فصائل الحشرات والحيوانات السائرة فنقلوها عني حرفاً بحرف .

ونقلوا التعريفات العلمية الموجزة التي عرّفت بها أجناس النبات والحيوان ، فجنس الشورنجان مثلاً قلت فيه : « جنس نباتات عشبية معمرة بصلية من فصيلة السورنجانيات ... » ، فنقلوا ذلك التعريف بقولهم : « جنس نبات عشبي بصلي معمر من فصيلة السورنجانيات ... » .

وقلت في السرطان النهري : « حيوان نهري من القشريات العشارية الأرجل الذيالة » . فقالوا فيه حرفياً : « حيوان نهري من القشريات العشارية الأرجل الذيالة ... » . ومثل هذه التعريفات العلمية التي اقتبسوها من معجمي تعد بالمئات . وقد تركوا بعضها على حالها ، وحوروا بعضها تحويراً طفيفاً ، وأضافوا إلى بعضها إضافات تناسب « المنجد » . ولكنهم لم يحوروا قط اسم الفصيلة التي ينتمي إليها النبات أو الحيوان ، فنقلوا ذلك الاسم كما وجدوه في معجمي .

ونقلوا حتى ما غلطت به في الطبعة الأولى وعدلته في الثانية مثل عدس الأسد ، والصحيح أسد العدس ، ومثل المصطكى ، والصحيح المصطكا بالألف كما وردت في القاموس والتاج واللسان والمخصص .

طبعة سنة ١٩٥٢ من المعجم الفرنسي العربي للأب بيلو اليسوعي . — النقل

من معجم إفرنسي — عربي سابق إلى معجم إفرنسي — عربي لاحق شيء من

أسهل الأمور . فالطبعة الأولى من معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية صدرت سنة ١٩٤٣ ، وآخر طبعة من معجم بيلّو المذكور صدرت سنة ١٩٥٢ ، فكان من اليسير على مصدريه أن ينقلوا إليه كل ما وجدوه في معجمي من ألفاظ ومصطلحات عربية خلت منها طبعات معجمهم السابقة . وهاكم بضعة أمثلة تغني عن ذكر مئات من الألفاظ التي وضعتُها أو حققتها ، وجعلتها أمام الكلمات الفرنسية ، فنقلوها جميعاً إلى معجمهم كما وجدوها في معجمي حرفاً بحرف .

بَشَق . رَصَع (في النبات) Asphyxie

شَقِران . مرض الصدأ Rouille

تجرّد خارجي Jarde

تَزَيُّد Exostose

إرْمداد Oïdium

نَسّاف . غربال الهواء Tarare

غربال الاصطفاء . مُصطفِية Trieur

مِئبَر . مئبار Anthère

خِباء Carpelle

الخ . الخ . فجميع الألفاظ العربية المذكورة ومئات مثلها (كالتي ذكرتُ أنهم نقلوها إلى المنجد) هي من وَضعي أو تحقيقي ، نقلوها حرفياً إلى معجمهم فجاءت فيه وكأنها من صنعهم . ومما نقلوه ألفاظ مرجوحة عدّلتها في الطبعة الثانية من معجمي ككلمة Abcès مثلاً فقد نقلوا عن الطبعة الأولى أنها الخُراج والدُّمّل على حين أنني ذكرت في الطبعة الثانية أنها الخُراج فقط ، وأن الدمل توضع أمام Furoncle . ومثل كلمة Hachoir فقد سميتها في الطبعة

الأُولى مُقَطَّعة ومُهَشَّمة فنقلوهما . ولكنني قلت في الطبعة الثانية إن المُهَرَّمة والمَرْأَمة أصح وأصلح . وهكذا .

وبعد يسرني أن يثق بي العلماء اليسوعيون المحترمون في بيروت هذه الثقة الكبيرة ، وأن ينقلوا من معجمي إلى معجميهم حاصل ثلاثين سنة من الجهد ، وأن يذيعوا مصطلحاتي في ذينك المعجمين ، لكثرة انتشارهما ، ولا سيما « المنجد » . ولكن ألا يرى هؤلاء العلماء الأجلاء مثلي أن العرف لدى العلماء على الأقل يقتضيهم أن يذكروا معجم الألفاظ الزراعية وغيره في مقدمة معجميهم ؟ وأن لا يكتفوا في مقدمة طبعة سنة ١٩٦٠ من المنجد بذكر أسماء بعض من ساعدوهم قائلين : « ولا يخفى أنهم جميعاً قد أفادوا مما صنفه العلماء واللغويون في البلدان العربية من معاجم اختصاص وأبحاث وترجمات » . فالذي ينقل مصطلحات معجم اختصاص برمتها أقل ما يُطلب منه تسمية ذلك المعجم باسمه .

أما الجزء الأول الذي صدر من « المعجم الوسيط » فموضوعه مختلف ، لأنني أنا الذي كنت أشرت على مجلس مجمع القاهرة وعلى لجنة ذلك المعجم بأن تنقل عن معجمي تعريفات علمية موجزة للأجناس النباتية والحيوانية ولبعض المصطلحات بدلاً من التعريفات السقيمة التي وردت في معجماتنا العربية القديمة . وسأذكر في فرصة أخرى ما نقلته اللجنة المذكورة وما لم تنقله من معجمي ، إلى الجزء الأول من « المعجم الوسيط » ، وكذلك سأذكر التعريفات التي أعطيتُها إياها في أوائل سنة ١٩٦١ لكي تثبتها في جزئه الثاني . ولعل اللجنة الموقرة تشير الى ذلك في مقدمة هذا الجزء الذي قرب أوان صدوره .

مصطفى الشهابي

ملاحظات على المصطلحات العلمية المعروضة على المؤتمر الرابع للاتحاد العلمي العربي (١)

— ٢ —

بنجر Beet (Beta)

يضاف شَوَنْدَر ، وهي من أصل فارسي ، تستعمل في الشام والعراق ، والبَنْجَر من التركية تستعمل في مصر . وهما عاميتان تطلقان على النبات المشهور المسمى بالفرنسية Betterave . ومن المعروف عند علماء الزراعة وعلماء النبات أن السلق Bette والشوندر نوع نباتي واحد وهو Beta vulgaris ، فالزراعة على كر السنين غلّظت جذور الشوندر كما غلّظت ورق السلق على حسب استعمال كل منها ، أما تحليتها السائرة فواحدة .

البجونيا Begonia

يضاف بَغُونية ، بالغين ، فعلماؤنا القدماء لم يعربوا الحرف (g) الا غينا . وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة هذا التعريب ، كما أقر التعريب بالجيم مسايرةً لسكان الوجه البحري في مصر الذين يلفظون الجيم حلقيةً على حين أن تسعة أعشار البلاد العربية يلفظون هذا الحرف جيماً شجرية ، كسكان صعيد مصر ، أو جيماً مخففة ، كسكان الشام .

(١) تقتصر ملاحظاتنا على جزء من الأغلاط والهنات المدرجة في قسم علم النبات من مجموعة المصطلحات المذكورة . واستقصاء جميع الأغلاط والهنات يحتاج الى وقت طويل . ومن الغريب أن يظل بعض أعضاء الاتحاد العلمي العربي جاهلين بأعمال من تقدموهم في وضع المصطلحات الصحيحة .

تامول Betula (Birch)

هو البتولا وشجر القضبان (يراجع تعليل ذلك في معجمي) . أما التامول والتنبول والتانبول فهي تدل على نبات آخر هو (Piper betel) .

ثنائي الغلفة Bicapsular

ثنائي العُلَيبة . ذو عُلَيبتين . والعُلَيبة ترجمة Capsule ، وأصح منها لغوياً الجِرْو ، ولكنها لم تشع .

ثنائي الحول — محول Biennial

يُكتفى بمُحوِل ، فقد أقرها المجمع بناء على اقتراحي . والنبات يكون حولياً او مُحوِلاً او مُعمّراً . (وقد يكون مستمراً . يراجع تفسير Perenne في معجمي) .

مشقوق Bifid

ثنائية التجزيء . وهي من نعوت الورقة . وهناك ثلاثية التجزيء Trifide ، وخماسية التجزيء Quinquéfide ، والريشية المُجزّأة Pennatifide الخ .

مشطور Bipartite

ثنائية التشريم . وهي أيضاً من نعوت الورقة . وهناك أيضاً ثلاثية التشريم Tripartite ، وخماسية التشريم Quinquépartite والريشية المُشرّمة ، والكفية المشرمة الخ .[1]

جنس البجنونيا Bignonia

يضاف بجنونية . بالنبين . وبناء على اقتراحي قرر مجمع اللغة العربية أن هذا الاسم المعرب وأشباهه يرجّح انتهاؤها بالتاء ، فيقال مثلاً جيولوجية وبيولوجية وبجنونية ، ترجيحاً على جيولوجيا وبيولوجيا وبجنونيا وهكذا .

(١) ذكرت في مادة Feuille من معجم الألفاظ الزراعية ٧٦ لفظاً فرنسياً لورقة النبات وأجزائها ونعوتها مع ما يقابلها بالعربية من ألفاظ مترجمة ترجمة دقيقة .

بلاسم حيوي Bioplasm

جِبلة حَيَوِيَّة . والجبلة ترجمة Plasme وهي اصطلاح مجمعي آخذ يشيع .

عوامل أحيائية — عوامل حيوية Biotic factors

يُكتفى بالعوامل الأحيائية في هذا المقام .

ذو بتلتين Bipetalous

ذو تُوَيْجِيَّتَين . والتويجية Pétale أقرها المجمع بناء على اقتراحي . ولا حاجة إلى التعريب .

توت شوكي Blackberry

ثمرة عُلَّيْقِيَّة . تُوتة العُلَّيْق . والعليق هو بالفرنسية Ronce واسم جنسه العلمي Rubus . وثمار هذا الجنس تسمى العُلَّيْقِيَّة . وذهاب بعضهم في مصر إلى أن العُلَّيْق هو العَصَب أي اللبلاب الصغير Liseron ، أو هو العَشَقَة أي اللبلاب الكبير Lierre خطأ وقع به العالم أحمد ندى في القرن الماضي فنقلوه عنه .

فصيلة لسان الثور Borraginaceae

هي الفصيلة الحِمْحِمِيَّة . والحمحم هو لسان الثور . والنسبة إلى كلمة واحدة أرجح .

تعريشة Bower

عَرِيش . أما التعريشة هنا فهي عامية . والعريش بالفرنسية Berceau و Tonnelle . ومن ضروب العُرُش الظُّلَّة أطلقتُها على ما يسمى بالفرنسية Pergole و Pergola . وأطلقتها أيضاً على Couvert في علم الحراج .

جنبة — شجيرة Bush

يُكتفى بجَنْبَة للشجرة تظل صغيرة وإن شاخت وهي بالفرنسية Arbuste .

أما الشُجَيرة فتصغير شجرة ، وهي اسم للشجرة تكون صغيرة في بدء حياتها ثم تكبر فتصبح شجرة ، فهي إذن غير الجُنَيْبة .

الفصيلة الشوكية Cactaceae

هي الفصيلة الصبّارية ، أي فصيلة ما يُسمى الصبّار والصَّبِر في الشام ، والتين الشوكي في مصر . ونباتات هذه الفصيلة مجلوبة من أميركة . وليس لها أسماء عربية . وتسمية الفصيلة بالصبّارية هو الأصلح وإن تكن كلمة الصبار (بفتح الصاد) مولدة . أما تسميتها بالشوكية فلا وجه له ، لأن الشوك كلمة عامة ، ولأن أسماء النباتات التي تبتدئ بكلمتي شوك وشوكة كثيرة . وهي منسوبة إلى فصائل أخرى مثل شوك الجمال ، وشوك الدراج ، وشوك مريم ، وشوكة الصباغين والشوكة الصفراء ، والشوكة القبطية الخ .

ميتسرة السقوط Caducous

مُعَبِّلة . ساقِطة ، تطلقان على كل عضو نباتي يسقط في مدة ما من الزمن . والورق المُعْبِل أي الساقط يسمّى العَبَل ، وهو الذي يسقط أي يتبدل في كل سنة . وإعبال الورق (سقوطه) اصطلاح استُعمل في مصر منذ سنة ١٩٢٠ على الأقل ، في « كتاب علم النبات الزراعي » المطبوع بالمطبعة الأميرية في القاهرة . ولا حاجة في الإعبال إلى ذكر كونه ميتسرا .

جنس المرموزة (دمشقية) Calceolaria

لم أسمع بالمرموزة ولا بالدمشقية . وهما منقولتان من معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى . ولا أدري من أين أتى بهما ، وهما فيه : زَمَرْموزة (الشام) — دمشقية . وهذا الجنس النباتي يطلق على أزهار مشهورة من أصل أميركي ، فليس لها اسم عربي . والاسم العلمي من Calceolus أي الحافر الصغير تشبيهاً لزهرتها به . ولذلك سميتها في معجمي حافِريّة . وعربتُ أيضاً الاسم العلمي فقلت كَلْسيُولارية .

قابل للجير Calcicole, Calciphilous

أليف الكلس — أليف الجير . أقرهما المجمع ، وهما من وضعي . وكذلك إِلْفُ الكلس أو الجير .

تكلس Calcification

تَكَلُّس — تكليس ، للازم والمتعدي

رافض للجير Calcifuge, Calciphobe

عَدُوُّ الكِلْس — قالي الكلس (أو الجير) . والكاسعة Phobe في الأعجمية الأولى تدل على الخوف . والكاسعة Fuge في الثانية ، تدل على الفرار . وكلا النعتين يطلقان على النبات الذي يخاف الأتربة الكلسية ، ويفر منها ، أي لا ينمو فيها مطلقاً أو لا ينمو فيها نمواً طبيعياً . ولذلك يُنعت بعدو الكلس ، أو خائف الكلس أو مبغض الكلس ، أو ماقت الكلس ، أو قالي الكلس . وعلى المجمع أن يستقر على واحدة منها .

كأس — كِمّ (ج أكمام) Calyx

يُكتفى بالكأس . أما الكِمّ فيقابلها Périanthe أي جماع الكأس والتويج ، وهو غلاف الزهرة .

كمبيوم Cambium

هو القُلْب اصطلاحاً ، من قلب النخلة . ويسمى الطبقة المولِّدة . وعلى هذا تحوَّر في المجموعة الكلمات المتصلة بالقلب .

ناقوسي الشكل Campaniform, Campanulate

جُرَيْسِيُّ الشكل . وقد أقر المجمع ترجيح الجرس على الناقوس في ترجمة مثل هاذين اللفظين . وليس للناقوس دائماً شكل الجرس وهو بالفرنسية Cloche

نويقيس — جريس Campaniola

يكتفى بجُرَيْس

الفصيلة الناقوسية Campanulaceae

الفصيلة الجُرَيْسية

مخدود البذرة Campylospermous

منحني البزرة

هامة — نظام رأسي Capitulum, Caput, Head

رُؤَيْس . وهي الترجمة الصحيحة للأولى اللاتينية الدالة على أحد أشكال الازهرار .

علبي — محفظي Capsular

عُلَيْبي . (انظر مادة Bicapsular) . وتطلق كلمة عُلَيْبي أيضاً على كلمة Capsuliferous وغيرها مما يُنسب إلى عُلَيبة أو له معنى ذي علبة .

جنس البابا ظ Carica

جنس البَبَّايا . وهي من لسان قبائل كارائيب في جزر أنتيل . والنوع المثمر المعروف هو Carica papaya ، وبالفرنسية Papayer . واسمه المعرب الصحيح بَبَّايا . ويسمى دُبْاء الهند . أما البابا ظ والباباز المستعملان في مصر فتعريبها غير صحيح ، ولذا توضعان بين قوسين .

فصيلة البابا ظ Caricaceae

فصيلة البَبَّايا — الفصيلة البَبَّاياوية . (أنظر المادة السابقة) .

جنس كاربينوس Carpinus

نِيْرية — شجرة النِّيْر — كَرْبِينُوس — قَرْبِينوس . يجب اتقاء الساكنين في المعرّبة ، فلا يقال كارْبينوس . وتعريبها بكسر الراء غير صحيح . وفي معجمي تفسير النيرية .

حامل الكرابل Carpophore

حامل الأخبية . واستعمال الخباء التي أقرها المجمع بناء على اقتراحي أصلح من استعمال الكربلة المعربة التي يستسهل بعض أساتيذ النبات استعمالها كثائر ما يعربونه بلا تعب ولا مراجعة !

جنس الكاريا Carya

جنس الجوزية — جنس القارية . وهذه من اليونانية بمعنى الجوز أطلقت على هذا الجنس من النبات ، وهو غير الجوز المعروف . ومن أنواع القارية نوع يزرع لثمره اسمه بالإفرنجية Pacanier يراجع في معجمي .

برة — حبة Caryopsis

برة ، لحسب . وهو ما أشرت به على المجمع في القاهرة فأقره .

جنس الحامول Cascuta

كلتا الأعجمية والعربية مغلوط فيها . فالأولى هي Cuscuta ومكانها في غير هذا المكان ، بين الكلمات الموضوعة على حروف الهجاء . واسم هذا الجنس بالعربية الكَشُوث والكَشُوثى، والكَشُوثاء، والأَكْشُوث،والكُشُوث . وفي التاج أن الأكشوث بالألف ، والكُشوث بالضم مرذولتان . وهو يسمى الحامول في مصر ، وهي عامية . والكلمة العلمية ، وكذلك الفرنسية ، هما من الكلمة العربية ، أي المعربة قديماً من السريانية . وقد ذكرت في معجمي لهذا الجنس ثمانية أنواع كلها طفيلية .

جنس الكستناء — أبو فروة Castanea

جنس القَسْطَل — جنس الشاهبَلُّوط . هما الاسمان القديمان الصحيحان . والأول من اليونانية ، والثاني من الفارسية ، ومعناه بلوط الشاه . أما الكستنة فهي حديثة من اللاتينية ، تستعمل في الشام ، وأما أبو فروة فعامية مصرية . ولم نسمع بالكستناء بالمد . ولم نرها في كتاب .

جنس الكازورينا Casuarina

كَزْوَرِينة – كَزورينا

جنس كاتالبا – جنس كَتلبة Catalpa

يُكتفى بكلمة كَتَلْبة

كلازة Chalaza

هذه المعربة شاعت في مصر . وأصلح منها الدَّرْز تشبيهاً بدرز الثوب .

كرز Cherry

قَراصيا – كَرَز . القراصيا هي الكلمة التي تدل في كتب النبات القديمة على هذا الشجر .

أما الكرز فهي أحدث ولكنها أشيع ، ذكرها البدري صاحب « نزهة الأنام في محاسن الشام » وهو من رجال القرن التاسع للهجرة . والكلمتان من اليونانية .

كستنا Chestnut

قَسْطَلة – شاهبلوطة – كَسْتَنَة . هي ثمرة القسطل أو الكستنة .

أنظر Castanea التي مرت .

كيتين Chitin

خِيتين . بالخاء كما يُنطق الأصل اليوناني . أما الفرنسية فتنطق بالشين .

غلافي Chlamydeous

كِمّي . هي بالفرنسية Chlamydé ، وهي مرادفة لكلمة Périanthé ومعناها ذات الكم ، تطلق على النباتات التي لها كُمّ (Périanthe) بسيط أو مركب .

بوغ كلاميدي Chlamydospore

بَوْغٌ كِمّيّ . (تراجع المادة السابقة)

« كُلورنشيمة » Chlorenchyma

النسيج اليَخْضُوري · تدل الأعجمية على جملة الأنساج اليخضورية في عضو من الأعضاء ·

بلاستيدة خضراء Chloroplast, Chloroplastid

حُبيبَة اليَخْضُور – حُبيبَة يَخْضُورية · ومن المرادفات الفرنسية للأعجميتين المذكورتين Chloroleucite ; Corps chlorophyllien · والحُبَيلة تصغير حبلة ، كما أن Plastide التي تقابلها هي تصغير Plasma (تراجع التفصيلات في معجمي) ·

شحوب يخضوري Chlorosis

يَرَقان – أرقان · وهو من أمراض النباتات الزراعية المعروفة والمذكورة في المعجمات العربية · وهو غير الإغراب والخَشَبة أي Albinisme

سائب (سائبة البتلات) (Choripetalous (Polypetalous

كثير التُوَيجيَّات · ولا وجه هنا لكلمة سائب وسائبة ·

سائب السبلات (Chorisepalous (Polysepalous

كثير الكُأَسيَّات

كروماتين — صباغ Chromatin

صِبْغين — صِبْغيَّة · والصبغية عن مجمع القاهرة ·

الحبيبات الملونة المصبوغة Chromatin granules

حُبيبات الصِّبْغين (أو الصبغية)

بوصية — حامل اللون Chromatophore

مُلَوِّنة · عن مجمع القاهرة ·

بلاستيدة ملونة Chromoplast

جُبيلة ملوّنة . وتسمى أيضاً بالفرنسية Chromoleucite (أنظر شرح كلمة Chloroplast السابقة) .

جنس الكريزانثيم (الأُراولة) Chrysanthemum

جنس الأُقحوان .

كانت كلمة أقحوان تدل عند القدماء على أنواع من الكريزنثيم ، ومن البهار Anthemis ، ومن البابونج Matricaria ، ولا سيما على نوع الكريزنثيم المسمى Chrysanthemum parthenium وعلى أنواع من هذا الجنس مقاربة . ولذلك لا يغلط من يطلق اسم الأقحوان على جنس الكريزنثيم هذا تخصيصاً . وهو أفضل من التعريب ، لشهرة الكلمة العربية في الأدب العربي ، ولعدم استعمالها اليوم اسماً للبابونج أو للبهار .

والعامة في مصر تسمي جنس الأقحوان هذا (أراولة) ، وتسميه العامة في دمشق (الغريب) ، والاسم العلمي معناه زر الذهب .

جنس الموالح — جنس الحمضيات Citrus

جنس اللَّيمون . أما الموالح في مصر ، والحمضيات والحوامض في الشام ، والمُعَسِّضات والمُحَمَّضات في بعض الكتب القديمة فهي كلمات عامة لا يُسمى بها جنس نباتي كهذا الجنس ، وهي بالفرنسية Agrumes . وكل من كلمة Citrus اللاتينية وليمون العربية المقابلة لها قد سُمي بهما هذا الجنس من قبيل تسمية الكل باسم الجزء ، وهو كثير في اللغة ، وفي المصطلحات العلمية ، ولا سيما في المواليد الثلاثة . ففي النبات يقال مثلاً جنس الثوم Allium على حين أن هذا الجنس يشمل أنواع الثوم والبصل والكراث والقفلوط وغيرها . وفي الحيوان يقال جنس الكلب Canis على حين أنه يشمل أنواع الكلب والذئب وابن آوى . وجنس الليمون Citrus الذي نتكلم عليه يشمل أنواع الليمون

الحامض والليمون الحلو وليمون الجنة والليمون المندي والأترج والنارنج والبرتقال واليوسفي وغيرها . وأشباه هذه التسميات كثيرة في اللغة العلمية .

جنس كلاركيا Clarkia

إقلَرْقية (أو بالكاف)

جنس ياسمين البر — كلمانس Clematis

جنس الظَّيَّان . والظيان وياسمين البر مترادفان .

عوامل مناخية Climatic factors

عوامل إقليمية . أما المناخ بهذا المعنى فعامية (تراجع Climat في معجمي ، ولا سيما بحثي في ج ٣٣ ص ٣٣٩ من هذه المجلة) . والإقليم والـ Climat كلاهما من كلمة يونانية .

ذروة Climax

لعل القِمّة أو الأَوْج أصلح

كوليوس (نجدة) جنس النجدة Coleus

جنس فُوْليوس أو كوليوس . والاسم العلمي من اليونانية بمعنى الغمد ولهذا سُمي زهرة الغمد . وسُمي عند العامة بدمشق زهرة السَّجّاد . ولا معنى للنجدة ولم يذكرها أحمد عيسى . ولعلها عامية مصرية ؟

كولنشيمة Collenchyma

لُحمة غِراوِيّة (أنظر الشرح في المقال الأول المنشور في ص ٦٨٥ من عدد المجلة السابق) .

الوعلانية Commelinaceae

الكُمَّلِينِيّة . وهي منسوبة الى عَلَم فتعرّب . والوعلانية التي ذكرها أحمد عيسى لأحد أنواع كلينة لا وجود لها .

ورقة مركبة راحية Compound palmate leaf

ورقة مركبة كفيّة . الكف الراحة مع الأصابع وهو المراد (تراجع الكف في لسان العرب) . والنعت Palmatus اللاتيني و Palmé الفرنسي وُضعا لتصل الورقة الجزأ أجزاء تجتمع في مركز ، وذلك تشبيهاً بأصابع اليد التي تجمعها الراحة . والكف بهذا المعنى مستعملة منذ أول النهضة الحديثة إلى يومنا هذا [1] في الشام على الأقل .

الفصيلة العليقية Convolvulaceae

الفصيلة اللبلابية أو المحمودية . أنظر المادة التالية .

العليق Convolvulus

جنس اللبلاب . هو جنس اللبلاب الصغير ، والقلقاس الهندي ، وشب النهار ، والمحمودة أي السقمونيا وغيرها . أما العُلّيق فهو نبات من جنس آخر وفصيلة أخرى فهو بالفرنسية Ronce من جنس Rubus . وإطلاق اللبلاب في مصر على نوع من اللوبيا شيء حديث . وتسمية اللبلاب الصغير أي العَصَب والعصب ، واللبلاب الكبير أي العَشَقة باسم العليق غلطة غلطها أحمد ندى فنُقلت في مصر عنه .

نورة مشطية Corymb

عِذْق . هو أصلح اصطلاح لهذا الشكل من الازهرار .

مقروضة — مجذوذة Crenate

---

(١) أنظر الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع لأنطون نيجري بك (ص ٢٥) ، وهو مطبوع في القاهرة سنة ١٢٥٧ للهجرة أي في زمن محمد علي الكبير . وانظر كتاب مبادىء علم النبات للدكتور بوست (ص ٥٩) وهو مطبوع في بيروت سنة ١٨٧١ للميلاد ، ومقال الدكتور أمين المعلوف في هذه المجلة (مجلد سنة ١٩٢٨ ص ٣٣٠) .

مُفَرَّضة . من نعوت الورقة

تزويج Crossing

تهجين . الذي نعلمه أن الإنكليزية هذه هي Croisement بالفرنسية أي التهجين .

برغل — فريك Crushed wheat

جَريش . والبرغل عامية من بلغور التركية . والفريك غير الجريش .

سحق Crushing

جَرْش .

جنس المقات Cucumis

جنس الخيار . تعميما . وهو جنس الخيار والقثاء والبطيخ (أي البطيخ الأصفر في الشام والشمام في مصر) . واللاتينية Cucumis تدل على الخيار . (انظر وجه تسمية الكل باسم الجزء في مادة Citrus) . والمقات المذكورة لا معنى لها . ولعلهم أرادوا أن يقولوا مقاثئ جمع مقثأة وهي مزدرع القثاء . ولا وجه لها هنا .

أدمة Cuticle

جُلَيْدة . هي الترجمة الصحيحة للأصل اللاتيني . وكان مجمع القاهرة سماها بَشَرة وإهاب . وأطلق الأدمة على Epiderme . وهذه الفرنسية تسمى عندنا أدمة خارجية ، خلافاً للأدمة الداخلية وهي Endoderme . وعلى هذا تكون الأدمة مقابلة للكلمة Derme .

كيوتين Cutin

جُلَيْدين . وإذا عربتَ فقل كُوتين باستعمال النطق الأصل في تعريب الكلمة الفرنسية لا الإنكليزية ، وذلك وفقاً لقرار المجمع في القاهرة بناءً على اقتراحي .

نورة محدودة Cyme

سَنَمة . هي الاصطلاح الذي قبله مجمع القاهرة لهذا الشكل من الازهرار بناءً على اقتراحي .

صبسلة Cypsela

فقيرة سفلى . وهي بالفرنسية Akène infère

علم الخلية Cytology

علم الخلايا

سيتوبلازم Cytoplasm

حشوة . عن مجمع القاهرة . وهي ما يكون خارج النواة من جبلة الخلية .

مصطفى الشهابي

تصويبات في هذا الجزء من المجلة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	السطر الأخير	تمت	تحت
٣٦	٧	إذا لز الأمانة	إذا لزم الأمانة
٤٢٠	١٩	ويعمل تعميمه	ويعمل على تعميمه
٥١	٧	« اختلطت بعض الحروف الفرنسية للمصطلح ١٣٠٥٩ وصحتها كما يلي : 13059 Syndrome d'anurie traumatique (chez les accidentés de l'écrasement)	
٦٤	٣	(المقتطف، ابريل ١٩٢٣)	(المقتطف، ابريل ١٩٣٢)

تصويب

وقع في مقالي عن أبي الحسن المسفر المنشور بالجزء الرابع من المجلد السادس والثلاثين في الصفحة ٦٢٥ خطأ مطبعي نصه : وحلق في سماء العقل فيرود ، وصوابه : ويحلق الفن في سماء العقل فيَرُود . .

عبد الله كنون

استدراك وتعليق
ونظرة الى تاريخ بني العبّاس

— ٤ —

ابراهيم بن المهدي [١] : مولده سنة ١٦٢ هـ – بيعته : ٢٠٢ – خلعه ٢٠٣ .

---

(١) كانت له اليد الطولى في الغنـــاء ، والضرب بالملاهي ، وحسن المنادمة . وكان أسود اللون ، لأن أمه كانت جارية سوداء ، اسمها شكلة ، ولُقّب بـ (التنين) لعظم جثته .

وكان وافر الفضل ، غزير الأدب ، واسع النفس ، سخي الكف ، ولم يُرَ في أولاد الخلفاء قبله ، من كان أفصح منه لسانا ، ولا أحسن شعراً .

بايعه أهل بغداد بالخلافة بعد أن خلعوا المأمون . ولُقب بـ (المبارك) . والمأمون يومئذ بخراسان . وكان السبب في خلع المأمون والبيعه لإبراهيم . أن المأمون وهو بخراسان ، جعل ولي عهده علي بن موسى الرضى ، وأمر الناس بترك السواد : وهو شعار بني العباس ولبس الخضرة .

فلما بلغ المأمون ماحدث في بغداد عاد إليها : فاختفى ابراهيم ، ولم يزل متوارياً إلى أن أمسك به حارسٌ أسود . وابراهيم مع امرأتين متنقب في زي امرأة . وأحضر بين يدي المأمون فشاور فيه وزيره : أحمد ابن خالد الأحول :

فقال له :

يا أمير المؤمنين : إن قتلته فلك نظراء . وإن عفوت عنه ، فما لك من نظير ؟ فعفا عنه .

ودخل ابراهيم على المأمون يوماً فقال له المأمون :

أنتَ الخليفة ؟! . .

قال : أنا لذاي مننتَ عليه بالعفو .

ومما قاله وأجاد :

عوجا بمغنى الطلل الداثر بالخُلد ذات الصخر والآجر
والمرمر المسنونِ يُطلى به والبابِ بابِ الذهب الناضر
عوجا بها فاستقينا عندها على يقين قُدرة القادر
وابلغا عني مقالاً الى المولى عن المأمور والآمر
قولا له : يا ابنَ ولي الهُدى طهّرْ بلادَ الله من طاهر
لم يكفِه ان حزّ أوداجه ذَبْحَ الهدايا بمدى الحازر
حتى أتى يحسب أوصاله في شطن هذا مدى السائر
قد بردّ الموتُ على جفنه فطرفُه منكسرُ الناظر

ومن شعره يمدح المأمون ويستعطفه بعد أن عفا عنه :

يا خيرَ من رَقلت يمانيةٌ به بعدَ النبي لآيسٍ أو طامع
وأبر من عبد الاله على التقى غيباً وأقولَه بحق صادع
عَسَل الفوارع ما أُطعت فان تُهج فالصابُ يمزُج بالسمام الناقع
متيقظاً حذراً وما تَخشى العدى نبهان من وسَنات ليلِ الهاجع
مُلئت قلوبُ الناس منك مخافةً وتَبيتُ تَكلأهم بقلب خاشع
بأَبي وأُمي فديةٌ وبنيهما من كل مُعضلة وذنبٍ واقع

ما اليمنَ الكَنَفَ الذي بَوَّأتني وطناً وأمرعَ ربعَه للراتع
للصالحات أخاً جُعلت وللتقى وأباً رؤوفاً للفقـــير القانع
نفسي فداؤُكَ اذ تضل معاذري وألوذ منك بفضل حلم واسع
أملاً لفضلك والفواضلُ شيمةٌ رفعت بنائك للمحل اليافع
فبذلتَ افضلَ ما يضيق ببذله وُسعُ النفوس من الفَعال البارع
وعفوتَ عمن لم يكن عن مثله عفوٌ ولم يشفع اليك بشافع
ألاّ العلوَّ عن العُقوبة بعد ما ظفِرت يداك بمُستكين خاضع
فرحمت أطفالاً كأفراخ القطا وعويلَ عانسة كقوس النازع
وعطفت آصرة عليَّ كما وهى بعد انهياض الوثي عظم الظالع
اللهُ يعلم ما أقول فإنهـــا جهدُ الاليَّةِ من حَنيف راكع
ما إن عصيتُك والغُواة تقودُني اسبابُها الا بنيـــةِ طائع
حتى اذا علِقت حبائلُ شقوتي بردًى الى حَفر المهالك هائع
لم أدرِ أن لمثلِ جُرميَ غافراً فوقفتُ أنظر أيَّ حَتف صارعي
ردَّ الحياةَ عليَّ بعد ذهابها ورعُ الإمامِ القادر المتواضع
أحياك من ولاّك أفضلَ مدةٍ ورمى عدوكَ في الوَتين بقاطع
كم من يدٍ لك لم تحدثني بها نفسي اذا آلت اليَّ مطامعي

أسديتها عفواً إليَّ هنيئةً وشكرت مُصطنعاً لأكرم صانع
إلا يسيرا عندما أوليتني وهو الكثيرُ لديَّ غيرُ الضائع
إن أنت جُدتَ بها عليَّ تكنْ لها أهلاً وان تمنعْ فأكرَمُ مانع
ان الذي قسم الخلافةَ حازها من صُلب آدم للإمام السابع
جمعَ القلوبَ عليك جامعُ أمرِها وحوى رداؤُك كلَّ خير جامع

المعتصم [١] : ولادته سنه ١٨٠ ـ خلافته سنة ٢١٨ (٨٣٣ م) ، وفاته ٢٢٧ (٨٤٢ م) .

---

(١) كان المعتصم ذا شجاعة وقوة وهمة . وكان عريًّا من العلم . كان في الكُتّاب غلام يتعلم معه ، فمات . فقال له أبوه الرشيد : يا محمد ! (اسم المعتصم) مات غلامك . قال : نعم يا سيدي ! واستراح من الكتّاب ! فقال الرشيد ، وإنّ الكتاب لَيبْلُغُ منك هذا ؟ دعوه لا تعلموه . فكان يكتب ويقرأ كتابةً وقراءةً ضعيفتين .

وكان ـ على هذا ـ من أعظم الخلفاء وأهيبهم . كثير المناقب لكنه كان إذا غَضِب لا يبالي من قتل ، وما فعل .

ذكره أحمد بن أبي دُؤاد فأسهب في ذكره ، وأكثر من وصف طيب أعراقه ، وسعة أخلاقه ، وكريم عشرته . قال : أخذت منه لأهل الشاش ألفي ألف درهم لعمل نهر كان لهم اندفن في صدر الإسلام فأضرَّ بهم . وقال تصدق المعتصم ووهب على يدي مئة الف الف درهم . وحكي : ان المعتصم انقطع عن أصحابه في يوم مطر . فرأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك . وقد زلق وسقط . والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيُعينه . فنزل المعتصم عن دابته ، ليخلّص الحمار ويرفع عليه حمله . فقال الشيخ : لا تبال ـــ

ـــ ثيابك وطيبك . فقال له : لا عليك . ثم انه خلص الحمار وجعل الشوك عليه ، وغسل يده ، وركب . فقال له الشيخ غفر الله لك يا شاب ! .. فلما لحق به أصحابه ، أمر له بأربعة آلاف درهم ، ووكل به من يسير معه الى بيته .

وللمعتصم الفتوحات العظيمة : منها فتح عمورية . وهو من أعظم الفتوحات وحكايته مشهورة . وهي أن امرأة ـ قيل هاشمية ـ سباها الروم بعد ان فتحوا زبطرة فصاحت وامعتصماه ! وبلغ المعتصم ذلك ، وما فعله الروم بالمسلمين . فجمع عسكره ، وتجهز تجهيزاً لم يتجهز بمثله خليفة . وأحضر قاضي بغداد وثلاث مئة وثمانية وعشرين رجلاً من أهل العدالة . فأشهدهم على ما وقف من الضياع . فجعل ثلثاً لولده ، وثلثاً لله تعالى ، وثلثاً لمواليه . ثم سار بعساكره . ورتبهم جيشاً جيشاً وجعل على كل جيش قائداً من قواده ، وجهه وجهة اختارها له . وأمر أن يطم خندق عمورية بجلود الغنم مملوءة ترابا . وعمل دبابات كباراً تسع الدبابة عشرة رجال يدحرجوها على الجلود إلى السور . وأمر فصنعت سلالم ومنجنقات . فهدم أسوار المدينة ودك أبراجها وحصونها . فكان على ماقال أبو تمام :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب
تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب في الله مرتغب
لم يغز قوماً ولم ينهد إلى بلد ... إلا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها في جحفل لجب
رمى بك الله برجيها فهدمها ... ولو رمى بك غير الله لم يصب
لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
أجبته معلناً بالسيف منصلتاً ... ولو أجبت بغير السيف لم تجب
حتى تركت عمود الشرك منقعراً ... ولم تعرج على الأوتاد والطنب

ـإن كان بين صروف الدهر من رحم ... موصولةٍ أو ذِمامٍ غيرِ مُنقَضِب
فبين أيامك اللاتي نُصرت بها ... وبين أيام بدر أقربُ النَسَب
أبقت بني الأصفر المِمراض كاسمهم ... صُفرَ الوجوه وجلّت أوجهُ العَرَبِ!

قال اسحق بن ابراهيم المُصبعي . قال لي المعتصم : يا اسحق ! إن في قلبي أمراً أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة . وأنا مفشيه اليك . فقلت : قل يا أمير المؤمنين ! فإنما أنا عبدك . قال نظرت إلى أخي المأمون ، وقد اصطنع أربعة . فأفلحوا . واصطنعت أنا أربعة فلم يفلـــح أحد منهم . قلت : ومن الذين اصطنعهم المأمون : ؟

قال : طاهر بن الحسين . وهو مَن رأيت ومَن سمعت . وابنه عبد الله ابن طاهر ، وهو الرجل الذي لم يُرَ مثله . وأنت ، وأنت - والله ــ الرجل الذي لايتعاصى السلطان عنك أبـــدا . وأخوك محمد بن ابراهيم ، وأين مثلُ محمد ؟ !

وأنا اصطنعت الأفشين ، وقد رأيت إلى ماصار اليه أمرُه . واشناس ، ففشل . وايتاخ فلا شيء . ووصيف فلا معنى فيه .

فقلت : يا أمير المؤمنين أجيب على أمان من غضبك ؟ قال : نعم ! قلت : نظر أخوك إلى الأصول ، فاستعملها ، فأنجبت . واستعمل أمير المؤمنين فروعاً فلم تنجب . إذ لا أصول لها .

فقال : يا اسحق : لَمقاساةُ مامرّ بي طول هذه المدة ، أيسرُ علي من هذا الجواب .

ومن قول المعتصم لما احتُضر : ذهبتِ الحيلة فليس لي حيـــلة . اللهم انك تعلم اني أخافك من قِبلي ، ولا أخافك من قِبلك . وأرجوك من قبلك ، ولا أرجوك من قِبَلي . »

وبما روي له :

قرب النّحام(١) واعجل يا غلام واطرح السرج عليه واللجام
أعلم الأتراك أني خائض لجة الموت فكم شاء أقام

قال محمد بن عمر الرومي : كان للمعتصم غلام يقال له عجيب ، كان مشغوفاً به . نعمل به أبياتا . ثم دعاني وقال : قد علمت أني دون اخوتي في الأدب لحب أمير المؤمنين لي ، وميلي إلى اللعب ، وأنا حدث ، فلم أنل مانالوا . . وقد عملت في عجيب أبياتاً . فإن كانت حسنة ، وإلاّ فاصدقني حتى أكتمها . ثم أنشد :

لقد رأيت عجيبـــا يحكي الغزالَ الربيبا
الوجهُ منـــه كبدرٍ والقدُّ يحكي القضيبا
وإن تناول سيفـــاً رأيت ليثاً حريبـــا
وإن رمى بسهامٍ كان المُجيد المصيبـا
طبيب ما بي من الحب لا عَدِمْتُ الطبيبـا
إني هويتُ عجيبـــاً هوًى أراه عجيبـــا

قال الرومي : فحلفت له بأيمان البيعة ، إنه شعر مليـــح ، من أشعار الخلفاء الذين ليسوا بشعراء . فطابت نفسه . وأمر لي بخمسين ألف درهم .

«لها بقية» عارف النكدي

(١) النحام بالتشديد من معانيه الكثير النحيم . والنحيم صوت يخرج من الجوف . وقد كني به عن الجواد .

الجزء الثاني — المجلد السابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان « أبريل » سنة ١٩٦٢ م — ٢٦ من شوال سنة ١٣٨١ هـ

بعض المؤلفات الحديثة

في المصطلحات العلمية

ذكرتُ غير مرة في هذه المجلة وفي غيرها أن عدد المتصدين لوضع المصطلحات العلمية في اللغة العربية أصبح كبيراً ، وأن اختلاف المصطلحات التي يضعونها للمعنى الواحد أمسى داءاً من أدواء لساننا . فانفصال الأقطار العربية بعضها عن بعض سياسياً جعل الأساتذة والمؤلفين والمترجمين في بعض الأقطار العربية يضعون في العلوم الحديثة مصطلحات تختلف عما يضعه غيرهم في الأقطار الأخرى . وكل أستاذ أو مدرس أو مثقف يدرك ما يكون في هذا التباين من بلبلة يحدثها عدم معرفة ما تدل عليه الاصطلاحات العربية المتباينة باللغات الأعجمية المشهورة .

ووضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها من أشق الأمور وأدعاها إلى الجلد

والصبر والأناة والتخصص الواسع بعلم واحد حتى بفرع من علم واحد . ورب كلمة علمية أعجمية واحدة تحتاج أحياناً في وضع مقابل عربي لها إلى الدرس والتنقير ساعات من الزمن أو أياماً تمر في التفتيش عن معناها الأصلي باليونانية أو اللاتينية ، وعن واضعها وماذا أراد من وضعها ، وعن مرادفها، إذا كان لها مرادف الخ . أما الكلمة العربية التي ستوضع أمام الأعجمية فليس من السهل إيجادها أو اختيارها . فهناك تراث علمي قديم لنا يجب مراجعته بغية العثور على لفظ عربي سائغ له معنى اللفظ الأعجمي ، أو له معنى مقارب لمعناه ؛ وهناك مادة لغوية واسعة يجب الاطلاع عليها في معجمات اللغة وكتبها المشهورة ، لانتقاء الصالح من ألفاظها ؛ وهناك التمرس بوضع المصطلحات أو تحقيقها مدة طويلة لاكتساب الخبرة اللازمة ؛ وهناك ذوق أدبي خاص ، مضافاً إلى تلك الخبرة الواسعة ، يجعل واضع المصطلحات العربيـة مطلعاً حق الاطلاع على مدى الاشتقاق ، ومدى التضمين والمجاز ، ومدى النحت ، ومدى التعريب ، ويجعله أيضاً قادراً على معرفة أصلح وسيلة من هذه الوسائل يجب الرجوع إليها في وضع كل مصطلح عربي جديد .

وإذا كانت الترجمة الصحيحة أمراً صعباً يفوق في صعوبته التأليف أحياناً (١) ، فوضع المصطلحات العلمية للعلوم الحديثة هو أشق الأعمال التي تؤتى في نقل تلك العلوم إلى لغتنا الضادية . وعندما يكون النَقَلة عرضة لهـذه الصعوبات الجمة فكيف تكون حال الذين يتصدون لوضع معجمات أعجمية عربية في مصطلحات علم أو فن من العلوم أو الفنون الحديثة ؟ بل ماذا تكون حال أولئك الذين لا يكتفون بعلم واحد أو بفن واحد ، بل يسوّل لهم غرورهم تناول مصطلحات

(١) أنظر في مقوّمات الترجمة الصحيحة مقالاً ماتعاً للأديب البحاثة وديع فلسطين نُشر في الجزء الأول من هذا المجلد السابع والثلاثين .

جملة علوم وجملة فنون في معجمات كبيرة أو صغيرة يضعونها ويلقونها على الناس وكأنها سلعة صالحة للتجارة ؟

ومهما يكن من أمر هؤلاء الناس فالعلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع جوانبنا ، ومجامعنا اللغوية والعلمية بطيئة في وضع المصطلحات العربية ، ولذلك سيظل هذا العمل في أيدي الصالحين والطالحين من الأفراد ، إلى أن يفتح المسؤولون في الأقطار العربية عيونهم ، ويأخذوا بالطريقة التي ذكرتها منذ سنة ١٩٥٤ في المؤتمر الحادي والعشرين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والتي أشرت إليها في مناسبات شتى ، وهي الطريقة التي تؤدي بنا إلى وضع معجم إنكليزي عربي ومعجم إفرنسي عربي لأهم المصطلحات العلمية والفنية والمخترعات الحديثة ، وتقضي بأن يتم هذا العمل في أقل من أربع سنوات ، وأن تتفق عليه دول الجامعة العربية ، وتعتمده في مدارسها ومؤسساتها [1] .

وانتظاراً لتحقيق هذه الأمنية سأذكر في هـذه العجالة بعض ما صدر في السنوات الأخيرة من مجموعات ومن معجمات اشتملت على مصطلحات عربية في علوم مختلفة ، وسأبين في أمثلة قليلة جداً ما في بعضها من شوائب ، وأبين كيف تعددت فيها المصطلحات العربية للمعنى العلمي الواحد .

(١) في صناعة النفط :

وردتني ثلاث مجموعات في اصطلاحات هذه الصناعة : الأولى لشركة أرامكو المعروفة ، وفيها على وجه التقريب ١٥٠٠ مصطلح بالإنكليزية والعربية ؛ والثانية

(١) أنظر بحثي في « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » المنشور في الجزء الحادي عشر من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وبحثي في « تصنيف معجم إنكليزي إفرنسي عربي في المصطلحات العلمية » ، وقرار مؤتمر المجامع اللغوية والعلمية العربية في هذا الموضوع (الجزء الأول من المجلد ٣٢ من هذه المجلة) . وانظر أيضاً ما ذكرته في خاتمة كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » .

لشركة شل المعروفة أيضاً ، وفيها ما يقارب ١٤٠٠ مصطلح بالإنكليزية والفرنسية والعربية ؛ والثالثة للمجمع العلمي العراقي وهي تشتمل على نحو ١٤٠ مصطلحاً بالإنكليزية والعربية .

ووردني أيضاً تقرير وضعه بالإنكليزية والعربية بحاثة أميركي اسمه بيتر سبيرس Peter C.Speers وقدمه إلى المؤتمر العربي الأول للبترول المعقود في القاهرة سنة ١٩٥٩ . والسيد سبيرس يعرف العربية ؛ وهو موظف في شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ؛ وعنوان تقريره « اللغة العربية والمصطلحات الفنية لصناعة الزيت » .

ومن المعلوم أن القدماء كانوا يعرفون شيئاً عن النفط والزفت والقار والحُمَر وما إليها ، ولكن صناعة النفط الحديثة وما اشتملت عليه من ألوف المصطلحات في الجيولوجية والفيزياء والكيمياء والهندسة الميكانيكية وغيرها هي كلها من مولّدات المدنية الحاضرة . وعندما ظهر النفط في عدة أماكن من بلادنا العربية ، وأخذت الثقافة تنتشر فيها ، واضطرت شركات النفط إلى مخاطبة عمالها وإلى مراسلة الحكومات العربية بلساننا ، برزت الحاجة إلى وضع قوائم بأهم المصطلحات العربية للصناعة المذكورة ، فكان أن وضعت شركتا النفط القائمتين الملمع إليهما ، ووضع مجمع العراق مصطلحات عربيـة أمام ألفاظ إنكليزية بعثت بها إليه « مديرية شؤون النفط العامة ومصلحة مصافي النفط في وزارة الاقتصاد »

وإقدام الشركتين على هذا العمل شيء تُحمدان عليه . ولكنه كما ذكرت عمل صعب جداً لا يتيسر إلا لمختص ينقطع إليه ، ويكون مطلعاً على المراجع المهمة ، وقادراً على وضع مصطلحات عربية جديدة . وهذه الصفات لم تجتمع لواضعي مصطلحات الشركتين فجاء فيها كثير من الأغلاط والشوائب ، وكثير من الألفاظ المخالفة لما هو معروف في مجمع اللغة العربية ، أو في جامعة دمشق ، أو في الاتحاد العلمي العربي مثلا . وها كم على سبيل التمثيل بضع كلمات :

Accumulator هو عند شركة شل « مجمع الكهرباء أو حاشد كهربي »، على حين أن الكلمة التي كان أقرها مجمع القاهرة واشتهرت هي المركم . وكانت تسمى المدّخرة في الشام .

Adsorption هو الاندماج السطحي في قائمة أرامكو . وهو الامتزاز في مجمعي مصر والعراق ، والاستجذاب في معجم كليرفيل الطبي .

Gravimeter هو في قائمة أرامكو « جهاز قياس جاذبية الأرض » ولو قالوا مقياس الجاذبية لكفى

Coke Chamber هو عند أرامكو « حجرة فحم الكوك الناتج من البترول » . وهي حجرة الكوك فقط .

Coagulants هو في مصطلحات أرامكو « عوامل مساعدة على التخثر » . قلت هي المخثِّرات . الخ . الخ . فمعظم مصطلحات الشركتين يحتاج إلى فحص وتعديل . ومن الطبيعي القول بأن مصطلحات مجمع العراق القليلة لا تقاس من حيث الصحة والدقة بهذه المصطلحات . ومع هذا وجدت أن مجمع العراق قد خالف مجمع القاهرة في بعض الكلمات مثل :

Catalyst فهي الآزّ في المجمع الأول والحفّاز في الثاني

Structure فهي التراكُب في الأول والبِنْية والبناء في الثاني

Accumulator سماها المجمع الأول كَامة . وهي في الثاني المركم على ما مرّ ذكره .

Anticline الخنيْرَة في الأول ، القبْوة في الثاني (وفي الحاشية : طيّة مُحَدّبة — قبْو)

Syncline القَعيرَة في الأول ، والرَّقبة في الثاني (وفي الحاشية : طيّة مقعرة)

Geology — جيئولوجية في الأول وجيولوجية في الثاني وفي معظم البلاد العربية . وكان الترك في الدولة العثمانية يضيفون هذه الهمزة . فهل يجب إضافتها يا ترى ؟ وما هي هذه الضرورة ؟

Condenser — المكثفة (على وزن المزرعة) في الأول ، والمكثف (غير مشكلة) في الثاني

Hydrogenation — المدرجة في الأول ، والدرجنة في الثاني . والمدرجة هي التي يستعملها الدكتور صلاح الدين الكواكبي في جامعة دمشق .

Percolation — التوشيل في مجمع العراق ، والخلخلة أو الترحيل في جامعة دمشق . ولا يتسع الوقت لذكر أمثلة أخرى فهي كلها تدل على ضرورة التوحيد . ومجموعات شركتي النفط ومجمع العراق ليس فيها إلا مفردات ، أما تقرير سبيرس المشار إليه فهو دراسة دقيقة ومفيدة لتطور المصطلحات المتصلة بصناعة النفط على أقسامها ، وذكر لوسائل الاشتقاق أو التعريب المتبعة في وضع بعضها ، وبيان لألفاظ مهمة لا يزال هنالك اختلاف عليها ومنها مثلاً :

Exploration — فهو التنقيب عند بعضهم والاستكشاف في مجمع العراق .

Oil — زيت في المملكة العربية السعودية ، ونفط في العراق والكويت .

Refinery — قال : الشائع معمل التكرير . والمصفاة شائعة نسبياً . ولكن استعمال المصفاة خطأ لأنها اسم آلة تدل على آلة أو أداة واحدة ، ولذلك يكون استعمال المصفى أصح وهو اسم مكان . قلت : هو إما مَصْفَى أي اسم مكان من صفا الثلاثي اللازم ، وإما مُصَفًّى أي اسم مكان من صَفَّى المتعدي وهو الأصح .

وقد استشهد صاحب التقرير بمراجع كثيرة ذكرها في الحواشي كمجلات مجامع دمشق والقاهرة والعراق ، وكمؤلفات بعض من عانوا شؤون المصطلحات في بلادنا . ومما استوقف نظري في إحدى الحواشي قوله : « يحتوي قاموس البترول « Petroleum Dictionary » للسيدة بون على زهاء ٦٠٠٠ لفظة ، ونشر معهد البترول الأمريكي معجماً يشتمل على نحو ٢٠٠٠ مصطلح في موضوع التكرير وحده » فتأمل !

(٢) معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات لمؤلفه كليرفيل :

يشتمل هذا المعجم على نحو ١٤٥٠٠ لفظة غير معرّفة ، نقله إلى العربية سنة ١٩٥٦ ثلاثة من أساتذة جامعة دمشق وهم الفقيد مرشد خاطر ، وأحمد حمدي الخياط ، ومحمد صلاح الدين الكواكبي . والثلاثة مشهورون في العالم العربي ، أولهم بالمصطلحات الطبية ، وثانيهم بمصطلحات الجراثيم وفن الصحة ، وثالثهم بمصطلحات الكيمياء على الأخص .

وأعرف في ناحية ثانية أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وضع بضعة آلاف من المصطلحات العربية في فروع الطب والكيمياء ، وأن بين زملائي في ذلك المجمع ثلاثة أطباء يعدون من فطاحل المصطلحات الطبية وهم أحمد عمار ، ومحمد كامل حسين ، وعلي توفيق شوشة . فالذين قرؤوا في هذه المجلة سلسلة انتقادات الأستاذ البحاثة حسني سبح لعدد من ألفاظ المعجم الطبي المذكور ، لا بد من أن يكونوا قد لاحظوا مثلي وجود اختلاف بين مصطلحات المعجم ومصطلحات المجمع في عدد غير قليل منها . ومن المعلوم أن ألفاظ المعجم الطبي الملمع إليه هي التي تستعمل في جامعة دمشق ، وأن ألفاظ مجمع القاهرة هي السائدة في جامعات مصر ، فهل يجوز أن يبقى مثل هذا الاختلاف مدة طويلة ؟

(٣) المعجم العسكري :

وُضع هذا المعجم في دمشق على قسمين قسم إفرنسي عربي يحتوي على نحو أربعين ألف كلمة ، وقسم إنكليزي عربي تكاد كلماته تبلغ خمسين ألف كلمة . والأساس الذي بُني عليه معجمنا هذا هو المعجم العسكري الكندي ، وهو أتم معجم في بابه . وقد تألفت لنقله إلى العربية لجنة كنتُ رئيسها ، فانقطعت له في دؤوب مستمر حتى أنجزته في نحو سنتين ونصف سنة ، وطبع قسماه في دمشق سنة ١٩٦١ .

والعلوم العسكرية واسعة تتصل بعلوم أخرى كثيرة ، ولذلك اقتبست اللجنة عدداً كبيراً من الألفاظ التي أقرها مجمع القاهرة ، والتي اشتملت عليها مجلدات مجمع دمشق ، والتي تستعمل في جامعة دمشق وفي المعجمات العسكرية السابقة الخ . وعندما كانت تجد مصطلحين أو أكثر للمعنى الواحد كانت تثبتها وتعتمد أحدها ترجيحاً له على غيره . واحتاجت اللجنة إلى وضع عدد غير قليل من المصطلحات التي لم تجدها في أحد المراجع . ومن الواضح أنه لا بد من أن يكون في مثل هـذا المعجم الكبير ألفاظ تحتاج إلى توحيدها في معجم المصطلحات العلمية المرتقب الذي ما برحنا ندعو إلى تصنيفه منذ سنين .

(٤) قاموس التعاريف والمصطلحات الحرجية العربية ومرادفاتها بالإنجليزية والفرنسية :

هذا هو الاسم الذي أطلقه أربعة موظفين مختصين بالحراج انتُدبوا من سورية والأردن والعراق ولبنان لكي ينقلوا إلى العربية مجموعة من مصطلحات الحراج وتعريفاتها إعتمدتها دائرة الحراج في هيئة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة . وتبلغ ألفاظ هذا القاموس نحو ألف لفظة معرفة تعريفاً علمياً موجزاً . والأصل

إنكليزي ، وله ترجمة إفرنسية دقيقة . وقد تمّ نقلها إلى العربية سنة ١٩٥٧ ، وطبع من الترجمة العربية عدد قليل على « الستنسل » ، وسميت اصطلاحات موقتة . وقد تبين لي من النسخة التي كانت أهديت اليّ أن أغلاط الترجمة العربية كثيرة جداً سواء في المصطلحات أو في تعريفاتها . وانتبهت دائرة الحراج في هيئة الأغذية والزراعة إلى ذلك ، أو نبهها بعض الحراجيين إليه ، فكتب اليّ مديرها في السنة الماضية من رومة كتاباً رسمياً يرجو فيه أن أصلح أغلاط المصطلحات، وأن أقوّم التعريفات ، فأجبته أن وفرة الأغلاط والترجمات الركيكة الغامضة تجعل من الضروري القيام بترجمة هذه المجموعة ترجمة مستقلة تامة ، وأنني باشرت هذا العمل بصفة كوني مختصاً هاوياً فحسب ، وأنني أتوقع إنهاءه في نيسان من سنة ١٩٦٢ ، وأن المجمع العلمي العربي في دمشق سيطبع هذا المعجم الصغير بنفقته ويوزعه على الدوائر والمؤسسات المختصة في الأقطار العربية وفي هيئة التغذية والزراعة .

(٥) المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية :

ألفه حسين حسين فهمي ، ونشرته مكتبة النهضة المصرية في القاهرة سنة ١٩٥٨ . وهو كتاب مفيد كان مجمع اللغة العربية في القاهرة أوصى بنشره . وهو يشتمل على بحوث في طرائق نقل المصطلحات الفنية إلى اللغة العربية . وكان مؤلفه قابلني في المجمع المشار إليه وذكر لي أنه انتفع كثيراً بكتابي المسمى « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » ، ومع ذلك لم يذكر هذا الكتاب ولا غيره من المراجع التي انتفع بها أو اقتبس منها !

وفي الكتاب بضع مئات من ألفاظ الهندسة الميكانيكية التي يظهر أن المؤلف الفاضل مختص بها . والكتاب مقتصر عليها . والشيء المفيد كون المؤلف لم يقتصر على وضع ألفاظ عربية أمام الألفاظ الإنكليزية ، بل بحث

في معاني الألفاظ العلمية ، وذكر ما قيل فيها بالعربية ، وقايس بين بعض الألفاظ وبعض ، وانتهى إلى بيان رأيه في أصلح كلمة عربية تقابل الكلمة الأعجمية .

ومن الطبيعي أن يكون للمؤلف رأي في بعض المصطلحات العربية يخالف رأي غيره . فهو مثلاً يسمي كلمة Alloy الخليط ، وكلمة Elasticity الرجوعية وكلمة Plasticity المرونة ، وكلمة Tenacity الشدة ، على حين أنها في مجمع القاهرة على التتابع : الأشابة ، والمرونة ، والمطاوعة ، والاستعصاء . ومثل ذلك كثير يحتاج إلى توحيد .

(٦) معجم المصطلحات العلمية في علوم الحشرات والحيوان والتشريح والنبات والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء والرياضة والتربية وعلم النفس :

لمؤلفيه عبد العزيز محمود ، ومحمود عبد الرحمن البرعي ، ومحمد حسن ريحان . إلتزمت طبعه ونشره المكتبة الأنجلو المصرية في القاهرة . وصدرت له طبعة سنة ١٩٦٠ . وهو معجم مفردات إنكليزية وعربية غير معرّفة .

يكفي إلقاء نظرة على مختلف العلوم التي اشتمل عليها هذا المعجم لتقدير ما يمكن أن تكون عليه مصطلحاته من حيث الصحة أو الدقة . فهو في الحقيقة معجم تجاري جمع مصنفوه ألفاظه جمع حاطبي ليل ، فأغلاطه الشائنة لا تخلو منها صفحة من صفحاته وهي ٤٤٨ صفحة في كل منها ما معدله ثلاثون كلمة . وهاكم بعضها للتمثيل :

في علم الحشرات :

الاسم الإنكليزي	الاسم في المعجم	الاسم الصحيح	ملاحظة
Family gryllidae	عائلة الحفار	الفصيلة الجُدْجُدِيّة	
« cicadidae	عائلة البق متشابهة الأجنحة	فصيلة الزِّيزان	مفردها زيز
« Coccinellidae	عائلة أبو العيد	فصيلة الدعاسيق	مفردها دُعْسُوقة
« tabanidae	عائلة ذباب مسري أو ذباب الخيل	فصيلة النُّعَر	

ومثل ذلك كثير .

وهاكم في قسم النبات بعض ما وجدته في صفحة واحدة :

Aesculus hippocastanum أبو فروة الحصان والصحيح قَسْطَل الحصان . وأبو فروة عامية

Agaricus	فطر	والصحيح غاريقون وأغاريقون
Agrimonia	نبات وردي	« غافث
Alder	شجرة الحور الرومي	« النَّغْت وجار الماء . وهو شجر مشهور في لبنان وأنواع الحور غيره
Albagi	العاقول	« Alhagi (ومكانها مع Alh)
Alfalfa	البرسيم الحجازي	« الفِصْفِصة والرَّطبة والقَتّ والقَضْب أما البرسيم الحجازي فعامية مصرية

وفي الصفحة نفسها خمس غلطات أخرى . والأغلاط كثيرة في جميع العلوم التي ذكروا مصطلحاتها العربية . وهم لا يصيبون الا عندما ينقلون من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مثلا . أما عندما ينقلون من المراجع السقيمة فهم يكررون الأغلاط التي فيها أو يزيدون عليها .

(٧) دليل مصطلحات علم الحيوان :

للدكتور عطا الله خلف الدوبني والدكتور حلمي ميخائيل بشاي – كلية

العلوم بجامعة القاهرة . التزمت طبعه ونشره مكتبة العالم العربي في القاهرة .

هذا المعجم أصلح من الذي مر ذكره . وأغلاطه أقل . وهذا طبيعي لأن مصنفيه اقتصرا على ألفاظ علم الحيوان ، ولم يتناولا ألفاظ علوم أخرى ، خلافاً لما فعل مصنفو المعجم السابق . وقد ذكرا أنه يشتمل على نحو ٥٠٠٠ مصطلح عربي وضعت أمام الألفاظ الإنكليزية . ويلاحظ أنهما عربّا بعض الألفاظ العربية وأنهما ذكرا أصول بعض الألفاظ العلمية . ومما استوقف نظري كونهما لم يتبعا سلسلة ألفاظ التصنيف التي أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة بناء على اقتراحي وهي من الأعلى إلى الأدنى : العالَم فالشعبة فالطائفة فالرتبة فالفصيلة فالقبيلة فالجنس فالنوع فالسلالة فالصنف « أو الضرب » . وما يقابلها بالإنكليزية أو الفرنسية معروف . وكذلك لم يتبعا ألفاظ تصنيف الطبقات الجيولوجية التي أقرها المجمع . وعمدا إلى النحت والتركيب المزجي فشوها معجمهما في مثل قولهم الرأسشوكيات والجلدشوكيات والتحتبشرة والشبهدهن والحاجز البينعضلي والقبلفم بدلاً من شوكيات الرأس وشوكيات الجلد وتحت البشرة وشبه الدهن والحاجز بين العضل وقبل الفم . وفي المعجم كثير من مثل هذه الرطانات التي يجب تجنبها على قدر المستطاع كما يفعل مجمع القاهرة . والمعجم مقتصر على الألفاظ المستعملة في علم الحيوان ؛ أما اسماء الحيوانات نفسها والأسماء العلمية لرتبها وفصائلها وأجناسها وأنواعها فهي فيه جد قليلة . ومع هذا لو راجعا معجم الألفاظ الزراعية أو معجم الحيوان للفقيد الدكتور أمين المعلوف لتجنبا عدداً من الأغلاط هاكم على سبيل التمثيل بعضاً منها :

Crawfish سلطعون (جمبري الماء العذب) والصحيح سرطان النهر وسرطان نهري

Maturation نضوج والصحيح النَّضج والنُّضْج

Larva يرقة والصحيح يرقانة

Osmosis أزموز . وهي التناضح في مجمع القاهرة والتحالّ في جامعة دمشق

Diptera ثنائية الأجنحة والأصلح ذوات الجناحين

Anguilla أنجويللا — جنس من ثعابين السمك . والصحيح أنقليس وإنقليس « وتردان بالكاف »

ومثل ذلك غير قليل . والمعرّبات كثيرة . وكثير منها وُضعت لها ألفاظ عربية أصبحت معروفة . والتعريب غير محظور ، ولكن له مدى . والإفراط فيه غير محمود .

(٨) المصطلحات العلمية التي عُرضت على المؤتمر العلمي العربي الرابع :

تكلمت عليها في جزءي هذه المجلة السابقين . ولعلي أستطيع الدوام على ذكر قليل مما في هذه المجموعة من ألفاظ غير صحيحة أو ألفاظ مرجوحة .

(٩) قاموس إنجليزي — عربي للمصطلحات الدبلوماسية والسياسية والدولية :

ألفه الدكتور م . منصور أحد أساتذة جامعة وسكونسن بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقدم له الأستاذ جيب مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفارد ، وطبعته سنة ١٩٦١ شركة مطابع ماك غرو — هل التي لها فروع في نيويورك وتورنتو ولندن .

هذا آخر ما وصلني من معجمات ومجموعات حديثة في المصطلحات العربية . وهو قاموس مفردات ليس فيه تعريف للكلمات ، ورقه صقيل ، وطبعه متقن ،

وكلماته العربية مضبوطة بالشكل ، وعدد صفحاته ٣٥٣ صفحة في كل منها ٢٧ — ٣٠ كلمة . ومع أن قسماً كبيراً من كلماته يجدها المرء في المعجمات الإنكليزية العربية ، أو الإفرنسية العربية المعروفة ، فان فيه تفصيلات كثيرة لألفاظ لم يتضمنها حتى الآن معجم اختصاصي كهذا المعجم ، وفي ذلك تبرز فائدته .

وعلى الرغم من ذكر المؤلف لأسماء ٣٦ شخصاً (معظمهم من الأجانب) شجعوه أو أرشدوه أو أعانوه ، ففي المعجم هفوات كثيرة حتى في المصطلحات الدبلوماسية نفسها . وهاكم بضعة أمثلة على ذلك تبين الفرق بين بعض ألفاظ هذا المعجم والألفاظ الدقيقة التي اختارها الدكتور مأمون الحموي في كتابه المسمى المصطلحات الدبلوماسية في الإنكليزية والعربية . وهو كتاب صغير ، ولكن المؤلف درس فيه كل لفظة ، وذكر ما قيل فيها وما يجب أن يقال في رأيه :

	مصطلح الدكتور منصور	مصطلح الدكتور الحموي
Pact	ميثاق — إتفاقية — حلف	ميثاق
Convention	مؤتمر — معاهدة — إتفاقية — اتفاق	إتفاقية
Agreement	إتفاق — إتفاقية — ميثاق	إتفاق
Treaty	معاهدة	معاهدة
Arrangement	ترتيب — نظام	تسوية
Coalition	إئتلاف — إندماج	تضافر أو تكتل

ويرى القارىء أن كلمة إتفاقية قد أوردها الدكتور منصور أمام ثلاث كلمات إنكليزية ، وكلمة معاهدة أمام كلمتين ، ومثل ذلك كلمة ميثاق . وكل ذلك لا يجوز في معجم مصطلحات . ثم إن كلمات حلف ومؤتمر وترتيب

ونظام وائتلاف واندماج كلها لها ما يقابلها من الكلمات الإنكليزية الأخرى .

وفي المعجم أغلاط لغوية ، ومخالفات لبعض ما اتخذه مجمع اللغة العربية من القرارات تسهيلاً لعمل واضعي المصطلحات ، وفيه أغلاط في تشكيل الحروف مثل لُبناني فقد جاءت مفتوحة اللام ، ودِعاية جاءت مفتوحة الدال ، على حين أن دالها مكسورة وإن تكن هذه الكلمة مولدة ، ومثل عَمِلَ الماضي فقد جاءت ميمه مفتوحة الخ .

وأغرب ما استوقف نظري ، في تمهيد المؤلف لقاموسه ، قوله حرفياً :

« هذا وإننا نفكر في وضع سلسلة من القواميس العربية — الإنجليزية ، والإنجليزية — العربية في حقول الأدب والعلم والصناعة المختلفة ، وان القواميس التالية تحت التحضير الفعلي : الاصطلاحات التجارية والاقتصادية والمالية ، الاصطلاحات الإدارية والوثائقية والشرعية ، الاصطلاحات الجغرافية ، الاصطلاحات العلمية » .

ثم قال : « ... وغاية هذه القواميس على العموم هو تمكين مستعمليها المتكلمين باللغة العربية أو باللغة الانجليزية على السواء لفهم أحدهم الآخر بسهولة ونشر المصطلحات المقبولة الآن في جميع أنحاء العالم العربي » .

فمن هم يا ترى الذين يضعون في أميركة قاموساً للمصطلحات العسكرية بعد الذي أشرت إليه في هذا البحث ؟ ومن هم الذين يضعون فيها قاموساً للمصطلحات العلمية ، وما هي هذه العلوم ، وما هو مبلغ اختصاصهم بها وبمصطلحاتها العربية ؟

الخلاصة :

لقد كثر كما قلت المتصدون لوضع المصطلحات العلمية بلساننا : فهذا يعمل تلبيةً لهوى في نفسه وتمشقاً لهذه اللغة ، وثان يعمل مدفوعاً بالغرور وحب الظهور ، وثالث للتجارة وما فيها من كسب للمال : ورابع تلبيةً لرغبات دول أجنبية تريد بث نفوذها بطريق الثقافة ، وهلم جرا .

ودولاب هذه الأعمال يدور ، والسنون تمر يتلو بعضها بعضا ، فلا مجمع اللغة العربية في القاهرة يوطد النفس على تصنيف معجم أعجمي عربي للمصطلحات العلمية بالطريقة السريعة التي كنت شرحتها في مؤتمره ، ولا جامعة الدول العربية تنهض لجمع المال من الدول العربية بغية تحقيق هذا العمل القومي . وبلغ بنا الأمر أن راحت بعض الدول والمؤسسات الأجنبية تسعى لسد هذا النقص في لساننا . وهل يسعنا – ما دمنا غارقين في سباتنا – الا أن نقول لها « كثر الله خيرك ! » ، مهما يكن الغرض السياسي أو التجاري الذي ترمي إلى بلوغه في مسعاها ، ومهما تكن الشوائب والهنات التي نتوقع العثور عليها في مصنفاتها ؟

مصطفى الشهابي

قراءة المعجمات!

لا أدري لماذا لا نقرأ كلّ يوم صفحة من صفحات المعجم على الأقل، ولست أريد هذه القراءة لمجرّد التبحّر في اللغة أو الاطلاع على مفرداتها أو الانتفاع بألفاظها، وإنما أريدها لأمور أبعد، وإذا كان أحد أئمة الأدب في الغرب قد رأى في معجم اللغة روح الوطن ولحمه ودمه، وكتب في هذا المعنى صفحة تكاد تكون أبلغ ما كتب في مقادير المعجمات، فإني أرى في المعجم مرآة الأمة تعكس علينا مختلف أخلاقها وأمزجتها وطبائعها وصفاتها، وترينا كل ما يتصل بحركاتها وسكناتها وانتقالها من طور إلى طور على تراخي السنين، وتعرض علينا مظاهر حضارتها من كل الوجوه؛ فقد يذهب عصر ويأتي عصر، فيأخذ الآخر عن الأول ما تركه له من العبارات والأفكار والصور، ثم ينقل هذا كله إلى العصر الذي يأتي بعده، ولذلك نستطيع أن نقرأ كل تاريخنا في معجم من معجماتنا، لأن هذا التاريخ قد أبقى في بطون المعجم ما خلّفه لنا من علم وأدب وفن فلسفة وسياسة واجتماع، ومن قصور وآثار في العمران مختلفة، حتى اننا نستطيع أن نقول إن علم اللغة انما هو أكبر معوان للتاريخ.

إلاّ أن هذه المرآة قد ترينا فضلاً عن كل ما ذكرت قوانين الحياة مثل قانون تنازع البقاء أو الانتخاب الطبيعي أو التطور وما شابه ذلك، فنشهد هذه القوانين على أكمل وجه، ولو ذهبتُ إلى إحصاء ما يخطر على البال من الخواطر في أثناء قراءة المعجم من حين إلى آخر لفاتني شيء كثير من هذه الخواطر

لكثرتها وازدحامها ؛ واذا فتشتُ عن كلمة جامعة أصف بها اللغة فهل أستطيع أن أقول إنها مرآة الأمة في كل أفق من آفاقها ، ولو كنت عالماً من علماء الأخلاق أو الاجتماع أو النفس لاعتمدت على اللغة في الاهتداء إلى كثير من أسرار هذه العلوم . من هذا كله يتبين لنا أن قراءة صفحة من صفحات المعجم تزيد في بياننا من جهة ، وتطلعنا من جهة ثانية على ما خفي من بواطن الأمة التي ننتسب إليها ، حتى نكاد نرى بأعيننا كيف تدرجت هذه الأمة من صحاري جزيرتها إلى قصور حضارتها في الشام والعراق ومصر والأندلس وسائر أقطارها .

لا بأس بعد هذا كله بضرب أمثال من الخواطر التي تمرّ بالبال وأنا أطالع صفحة من معجم اللغة من حين إلى آخر .

نجد في مادة الناطر ما يلي :

« وابن الناطور صاحب إيليا وصاحب هِرَقل كان منجّماً ، سُقّف على نصارى الشام » .

ونجد في مادة سُقّف تسقيفاً : صُيّر أسقفاً ، والأُسقفّ رئيس للنصارى في الدين فوق القسيس ودون المطران ، وجمعه أساقفة وأساقف ...

على أي شيء تدلنا هذه الصيغة ؟ إنها تدلنا على أن اللغة لا تجمد على شكل من الأشكال ، فليس بها يبوسة وجفاف ؛ مرّت بها مادة الأسقفّ وهي غريبة عنها ، فأدخلتها في مفرداتها ، ولينتها حتى هضمتها ، واشتقت منها فعلاً على جمود هذه المادة ، كما مرّت بها في هذا العصر مادة الأمة فاشتقت منها مادّة التأميم ، وأريد بهذه الصيغة جعل الشيء تساهم فيه الأمة ، ويكون لها منه نصيب .

اني لم أهتمّ بهذه الخصائص فلست من علماء اللغة ، وإنما استنتجت من هذه

الاشتقاقات كلها لين اللغة وطراوتها ، كما استنتجت منها لين الأمة وطراوتها ؛ فاللغة القابلة للتليين إنما هي مرآة الأمة القابلة لمثل هذا التليين ؛ فكما أن لغة العرب طيعة تطاوع العصر في مظاهره ، فكذلك العرب كانوا طيّعين يطاوعون عصورهم في مظاهرها ، على نحو ما طاوعوها في انتقالهم من مضارب البدو إلى قصور الحضارة ، وفي هجرهم في هذه القصور لألفاظ ألفوها في مضاربهم ، ولجأوا إلى ألفاظ اقتضتها حضارتهم التي دخلوا فيها .

لقد نشأت لغتنا في البادية فكان لها خشونة هذه البادية في أوّل نشأتها ، ثم انتقلت إلى الحضر فكانت لها نعومة هذا الحضر .

فلنأخذ طائفة ثانية من الأمثال ؛ إنّا نجد في باب الأخلاق هذه المادّة : المَقَلَّسُ ، ومعناها السّيء الخلق والمِلَقْسُ الرديء الأخلاق والمِجْرِسُ اللئيمُ والمَيْجَبُوس الأهوج الجافي ...

هذه ألفاظ لم أفتش عنها تفتيشاً وإنما مررت بها عرضاً وأنا أطالع المعجم على عادتي ، فكنت أقف عند هذه الموادّ فأتأمل ، وقد يطول تأملي ، إنها توحي اليّ أشياء كثيرة ، توحي اليّ قبل كل شيء خشونة البيئة التي نشأت فيها وترعرعت ، ثم ماتت هذه الألفاظ بمجرّد هجرتها من بيئة خشنة إلى بيئة ناعمة ، كما أنها توحي اليّ قانون الحضارة التي لا تقبل في مفرداتها الا الألفاظ السهلة الرقيقة اللينة ، فكيف تحتمل الحضارة موادّ من هذا القبيل : المَقَلَّسُ .. المِلَقّسُ .. المَيْجَبُوس وأضرابها ، ان الحضارة لا تحتمل أشباه هذه المفردات اليابسة ، الجافة ، لذلك طرحتها وخلقت لها مفردات تناسب رقة الحضارة ونعومتها مثل : سيء الخلق ... رديء الخلق ... أهوج .. التي شاعت على ألسن العامة فضلاً عن الخاصّة .

فهذا دليل آخر على أن أهل هذه اللغة وهم العرب بانتقالهم من البدو إلى الحضر

رغبوا عن كل مظاهر البدو ومالوا إلى مظاهر الحضر ، معنى ذلك أنهم خلقوا للتطور ، فلم يجمدوا على شكل من الأشكال .

ومثل هذه المشاهد نشهدها في كثير من مفردات اللغة ؛ في كل باب من الأبواب ، في الحركات والصفات وغير ذلك ؛ ولا أقلَّ من ذكر مواد يسيرة في هذا المعنى .

يقولون : الحزْباقُ المرأة السريعة المشي . والحَفَقْتَقُ كَسَمَنْدَرٍ وكَجَحْمَرٍ : الضعيف الأحمق ... والدُّعْشُوقة الصَّبيّة ... والدُّعْلُوق الغلام الخفيف الروح ، الحارّ الرأس ...

فأيّ ذوق في عصرٍ من عصور الحضارة يلجأ إلى هذه المواد الثقيلة ويتخلّى عن موادّ ثانية مثل : المرأة السريعة المشي ، والضعيف الأحمق ، والصبيّة ، والخفيف الروح وغيرها وغيرها ... ونحمد الله على أن العرب لم يعوزهم في ماضيهم ذوق سليم .

وإذا انتقلت من هذا الباب إلى باب آخر ، إذا انتقلت من قانون الانتخاب الطبيعي في اللغة إلى قانون تنازع البقاء ظفرت بمظاهر غير قليلة من هذا القانون وأرجو أن يُسمح لي بنقل صفحة في هذا المعنى من كتابي : أنا والنثر :

« كنت شديد الاهتمام بالمصادر وتطور معانيها ، فكنت أراقب بعض هذه المصادر ، فأرى ثبات بعضها على أصل معناه وأرى انتقال بعضها من معنى إلى معنى ، كما أرى موت بعضها ، من ذلك مادة : سأل ، فإنا نجد في محيط الفيروزابادي : سأله كذا وعن كذا وبكذا بمعنى ، سؤالاً وسآلة ومسألة وتَسْآلاً وسألة ، فنحن الآن بحضرة من خمسة مصادر غلب منها ثلاثة : السؤال والمسألة والتسآل ، وكاد يختفي في معجمات اللغة المصدران الآخران : السآلةُ والسَّألة . وإذا وجدنا

من يستعملها في هذا العصر فانا نجد أن استعمالها يكاد يكون غير مألوف ؛ أمّا المصادر الثلاثة الباقية فقد اشتق عنها مصدر واحد واستقل بحياته وأصبح له معنى خاص غير معنى أخويه ، وأعني بهذا المصدر المستقلّ : المسألة ، فقد ظفرت هذه المادة بمعنى لا نراه للسوآل ولا للتسآل ، فاذا قلنا في تاريخنا السياسي الحديث : المسألة الشرقية فاننا نعني بذلك قضية خاصة من قضايا هذا التاريخ · وهي قضية معروفة ؛ ولا نستطيع أن نستعمل في هذا المقام السوآل فنقول : السوآل الشرقي ، فان مثل هذا الاستعمال لا يكاد يفهمه أحد · وقد بقي المصدران الآخران : السوآل والتسآل ، أمّا التسآل فأكثر ما يرد استعماله في الشعر لاستقامة وزن من الأوزان ، فان استعمال هذا المصدر في النثر قليل جداً ، وأمّا السوآل فهو المصدر الوحيد الذي حافظ على معناه الأول ، وغلب على كل المصادر في هذا المعنى » ·

لا أريد التبسط في أشباه هذه الاستشهادات ، والذي أرمي إليه انما هو بيان ما توحيه إلى الإنسان مطالعة المعجمات مما يتصل بتاريخ الأمة في كل مظهر من مظاهر أذواقها وعقولها وشعورها وحسّها ونظائر هذه الأمور ·

والذي أعتناه بعد هذا كله إنما هو الوصول إلى معرفة كيف نشأت هذه اللغة حتى بلغت ما بلغته من الكمال ؛ فقد يرى بعضهم أن بين الأرض وبين لغة البشر صلة محكمة الأواصر ، وهم يريدون بذلك أن اللغة نشأت من شقوق الأرض ، أي من الفلاحة والحراثة ، وإذا كانت المدن قد أضافت شيئاً إلى لطف اللغة فان هذه اللغة قد استمدت قوتها من البادية حيث نشأت وترعرعت · أنقل هذا الكلام كما مررت عليه في بعض كتب الأدب الفرنسي ، ولا رأي لي فيه ، فلست أجزم أو أقطع ، فهل نشأت لغتنا من الفلاحة

والخرافة ؟ لا ريب في أنها جاءتنا من جاهليتنا ؛ ولسنا نعلم شيئاً عنها قبل هذه الجاهلية ، وإذا كان علماء اللغة قد انتهوا إلى معرفة شيء من أصولها ونشأتها فهل تكون هذه المعرفة من باب الحدس والتخمين ؟ وفي كل حال اني لا أكتمُ أسفي على جهلي أوليّة لغتنا المباركة ، كيف ولدت وكيف نشأت وترعرعت حتى وصلت إلى ما انتهت إلينا من أيام امرىء القيس ومَن قبله من الشعراء ، ولقد أمرّ بكتاب فرنسي يبحث صاحبه عن مفردات الفرنسية ، كيف ولدت وكيف عاشت أو ماتت ، فيردّ كثيراً من هذه المفردات إلى بعض أصولها اللاتينية ، فآسف الأسف كله على أني لا أجد مثل هذا الكتاب في لغتنا ينقع الغليل فيردّ هذه اللغة إلى أصولها ، ويوضح لنا كيف ولدت لغتنا وكيف عاشت مفرداتها أو ماتت على تعاقب العصور .

شفيق جبري

تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح

تأليف احمد ابن يوسف اللّبْلي

طالعت في الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المجمع تعريفاً بقطعة من الكتاب المسمى « تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح » لأحمد بن يوسف اللّبْلي الأندلسي .

نشر التعريفَ بهذه القطعة العلاّمة البحاثة الأستاذ الميمني ، ذاكراً أن هذه القطعة تنتهي إلى آخر سطرين من شرح الشارح لقول صاحب الفصيح « وانقُطع بالرجل فهو منقطَع به » ، وهـذا السطر يقع في أواخر رابع الأبواب من كتاب الفصيح وهو باب فعُل بضم الفاء وذلك قرابة خُمس الكتاب . وأشار إلى أن هذه القطعة توجد بدار الكتب وأنها بخط الشنقيطي (ولعله العلاّمة اللغوي محمد محمود الشنقيطي التركزي نزيل القاهرة ودفينها المتوفى سنة ١٣٢٢) ، وأنها في ١٦٨ صفحة .

وأثبت في ديباجة الكتاب المحتوية على ذكر من أشار عليه بتأليفه ، ومن جعل الكتاب برسمه ، دون تعليق ولا تحليل ، فأحببت أن أقفي عليه بما لديّ من المعلومات عن هذا الكتاب ومؤلفه وهل توجد نسخة أخرى منه ؟ إذْ كان لمؤلفه صلة متينة بتونس فهو نزيل تونس ودفينها .

فأما مؤلف الكتاب فهو على ما عُرِّف به ابن جابر في فهرسته : أبو جعفر ، ولقب فيما نشره الأستاذ الميمني في مجلة المجمع بلقب صدر الدين (ولم أرَ

من حلاه بذلك) أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللبلي (نسبة إلى لَبلة بلام مفتوحة فموحدة ساكنة فلام مفتوحة فيها تأنيث وتعرف بلبلة الحمراء وهي قصبة كُورة تعرف باسم لَبلة أيضاً من عمل إشبيلية من بلاد الأندلس واقعة على النهر المسمى بالوادي الكبير غربي قرطبة بطريق إشبيلية بينها وبين مدينة إشبيلية اثنان وأربعون ميلا) .

وسكان لَبلة من قبيلة إياد بن مَعدّ إحدى قبائل جيش الفتح .

وُلد صاحب تحفة المجد الصريح في مدينة لَبْلَة سنة ثلاث عشرة وستمائة كما قال عنه ابن جابر الوادي آشي في فهرسته [١] ، وقال في بغية الوعاة سنة ثلاث وعشرين وستمائة والأصح ما في فهرسة ابن جابر .

وتوفي بتونس في المحرم [٢] سنة إحدى وتسعين وستمائة ، ودفن بداره بتونس [٣] قال ابن جابر في تحليته : « الفقيه الأستاذ الراوية المفيد » .

وقال أخذ ببلده عن يحيى بن عبد الكريم الفندولايي . وباشبيلية عن أبي علي عمر بن علي الشلوبين ، وأبي الحسن الأُبّاج . [٤] وبسبتة عن محمد بن عبد الله الازري ، وعبد الرحمن ابن رحمون ، ومحمد بن محمد الغنسي . وببجاية عن أحمد بن محمد ابن السراج . وبتونس عن أحمد بن علي الحميري البلاطي . وبالاسكندرية عن شرف الدين ابن ابي الفضل المرسي . وبمصر عن شرف الدين عبد الله بن يحيى الفهري التلمساني ، وناصر الدين ابي الفتوح بن ناهض المصري وبالقاهرة عن محمد ابن لب بن خيرة ، ومحي الدين محمد بن محمد سراقة ،

---

(١) نسخة من مخطوط مصور بالمكتبة الكتانية بفاس .
(٢) بغية الوعاة .
(٣) ابن جابر .
(٤) كذا في فهرسة ابن جابر وفي بغية الوعاة الدبّاج .

وعز الدين بن عبد السلام ، والحافظ عبد العظيم المنذري . وبدمشق عن الحسن ابن إبراهيم الدربلي ، وعبد الحميد الخسروشاهي شمس الدين أخذ عنه بالمشرق المعقولات . وأخذ عن الأعلام ، والبطليوسي أبي اسحاق . وطوّف البلاد وأخذ عنه ابن جابر الوادي آشي ، وأبو حيان ، وابن رشيد (لعله أحمد بن محمد بن رشيد الفهري المتوفى في سنة ٧٧٩ ترجمه في نيل الابتهاج بذيل الديباج باختصار . وضبط في نسخة من كفاية المحتاج بضمة على الراء وفتحة على الشين في أثناء ترجمة أحمد بن البناء) . وممن أخذ عن اللبلي محمد بن عبد الله القيسي المعروف بابن العطار[1] . ولم أقف على تعيين وقت قدومه إلى تونس . ويظهر انه هاجر إلى تونس عند أخذ الأسبان بلده . وكان سقوط لبلة بيدهم سنة ٦٣٤ . وسقطت إشبيلية في منتصف القرن السابع ، وهاجر أهل إشبيلية إلى تونس لِما كان بين إشبيلية وتونس من اتصال بسبب ولاية أبي حفص الهنتاتي جد الحفصيين والياً على إشبيلية وغرب الأندلس من طرف عبد المؤمن بن علي ، ثم ولي عبد الواحد بن أبي حفص عليها ، ثم ابنه أبو زكرياء . وقد كان زمن وجوده بتونس مدة السلطان المشتهر الثاني عمر بن الواثق الحفصي .

مؤلفاته قال ابن جابر : من تآليفه تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، واختصره في مجلد ؛ وبغية الآمال في النطق بجميع مستقبلات الأفعال ؛ والكرم والصفح والغفران والعفو ، واختصره غيره في أقل من مجلد ؛ ووشي الحلل في شرح أبيات الجمل وفهرسته . وذكر البغدادي في خزانة الأدب في المقدمة أنه اطلع على شرح أدب الكاتب للّبلي ، وشرح إصلاح المنطق ، وشرح أبيات أدب الكاتب له .

---

(١) بغية الوعاة في ترجمة ابن العطار .

صفة كتاب تحفة المجد الصريح قال في كشف الظنون عند ذكر كتاب الفصيح وشرحه تحفة المجد الصريح : « قال ابن الحنائي هو كتاب لم تكتحل عين الزمان بمثله في تحقيقه وغزارة فوائده ، ومنه يعلم فضل الرجل الذي ألفه وبراعته اهـ » .

كتاب الفصيح وما عليه من الشروح .

كتاب الفصيح مؤلفه أبو العباس أحمد المشهور بثعلب الكوفي المتوفى سنة ٢٩١ وقد نسب كتاب الفصيح إلى يعقوب بن اسحاق السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ صاحب اصلاح المنطق فقيل أن ثعلبا استعار من ابن السكيت كتاب اصلاح المنطق ونظر فيه فلما ظهر كتابه الفصيح قال ابن السكيت « جدع كتابي جدع الله انفه » وهذا لا يفيد أكثر من دعوى ابن السكيت أن ثعلبا نقل مسائل إصلاح المنطق في كتابه الفصيح وبقطع النظر عن صحة ظن ابن السكيت فان منهج كتاب الفصيح غير منهج إصلاح المنطق وليس يبعد أن يكون ما توافقا فيه هو من آثار الاتفاق في الانتقاء من كتب العلماء الذين سبقوهما . وقد قيل أن كتاب الفصيح أصله لابن الاعرابي ذكره في كشف الظنون عن ابن باقياء (أحد شارحي الفصيح يظهر أنه بياء موحده في أول الاسم)

قال ثعلب في أول كتابه : هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها ومنه ما فيه لغتان وأكثر فاخترنا أفصحهن . ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا ؛ وبوّب الأفعال بحسب حركة العين في الماضي وذكر فروقها المشهورة وما يختلف مصدره باختلاف معنى الفعل وأبوابه ثمانية وعشرون بابا .

وقد شرح شروحاً كثيرة عد منها صاحب كشف الظنون تسعة عشر شرحاً فقال : شرحه أبو العباس محمد ابن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ وعبد الله ابن درستويه المتوفى سنة ٣٤٧ ويوسف الزجاجي المتوفى سنة ٤١٠ وعثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ ومحمد بن علي الهروي المتوفى سنة ٤٢١ (وسمى شرحه التلويح)

واحمد بن يوسف اللبلي المتوفى سنة ٦٩١ شرحه شرحين . وعبد الكريم السكري . وحسين ابن احمد الاستربادي . وأبو البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦ .

وعبد الله ابن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥١١ . ومحمد بن علي الاصفهاني كان حياً سنة ٤١٦ . وعمر بن محمد القضاعي المتوفى في حدود سنة ٣٧٥ . ومحمد بن هشام اللخمي (السبتي) كان حياً سنة ٥٥٧ واحمد المعروف بابن المأمون المتوفى سنة ٥٥٦ . وعبد القادر بن مكتوم المتوفى سنة ٧٤٩ . وعبد الله أو عبد الباقي بن ناقيا (كذا بنون في أوله ولعل صوابه بباء موحدة) ويقال داود الشاعر (كذا) المتوفى سنة ٤٨٥ ومحمد بن ادريس القضاعي المتوفى سنة ٧٠٧ . وزاد اللبلي في ديباجته خمسة شروح وهي شروح : ابن خالويه . والمطرز . ومكي . والتندفيري (بالتاء أو بالنون) وابن طلحة الاشبيلي .

وزاد البغدادي في خزانة الأدب شرح المرزوقي فصارت خمسة وعشرين . والذي رأيته من هذه الشروح هو التلويح للهروي و توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبتنا العاشورية بخط نسخي عتيق يظهر أنه من القرن السابع وفيها تحريفات كثيرة ولا يوجد هذا الشرح في مخطوطات مكتبة جامع الزيتونة ولا المكتبة العبدلية ولا المكتبة العمومية بسوق العطارين وهو موجود في بعض المكتبات بالاستانة وباسبانية ، وقد طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٥ عن نسخة

منسوبة إلى الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري ذكر أنه ضبطها وقرأها على شيخه الأستاذ محمد محمود التركزي الشنقيطي وقد جاءت صحيحة الضبط إلا أن فيها زيادات على النسخة المخطوطة يظهر أنها كانت تعليقات من املاء العلامة الشنقيطي ادخلها الطبع في صلب الكتاب بدون تنبيه إلا في مواضع ثلاثة في صفحة ٧٥ وفي صفحة ٧٩ وفي صفحة ٨٦ مثال ذلك ما وقع في صفحة ٦ في السطر ١٣ « لعبيد الله بن قيس الرقيات » والذي في المخطوطة هكذا « لأبي زبيد الطائي في لحم شبابين وهما في مغارة » .

أما تحفة المجد الصريح الذي نحن بصدد التعريف به فقد قال مؤلفه اني الفته باشارة الوزير أبي بكر ابن الوزير أبي الحسن ؟ حين استحسن ما شاهده من تفسيري غريبه وشرح معانيه واستصوب تنبيهي عند الاقراء على سهو من نسب السهو لمؤلفه — قال — فشرحت الكتاب شرح استيفاء واستيعاب وتكلمت على شواهد أبياته واستدركت ما يجب استدراكه الخ . وذكر أسماء الكتب التي أخذ منها فعد واحداً وتسعين كتاباً عدا شروح الفصيح . أما ما ذكره من الباعث له على تأليفه هذا الشرح فقد قال انه أشار عليه بذلك إشارة النصيح الوزير أبو بكر ابن الوزير أبي الحسن لما شاهده من تفسيره لغريبه وتنبيهه عند الاقراء على سهو من نسب السهو إلى مؤلفه فأجابه وبادر إلى امتثال أمره . ويظهر أن الوزير أبا بكر هذا كان يحضر مجالس درسه فلعله كان من طلبته أو من الذين يأوون إلى مجالس محاضرته واملائه . ويظهر انه وأباه من وزراء اشبيلية .

وقال أن الوزير أبا بكر — رأى أن يكون هذا الكتاب مرفوعاً إلى ذي الوزارتين أبي القاسم ابن ذي الوزارتين أبي علي . ويظهر أنه كان من

قرابة الوزير أبي بكر لقول المؤلف « حرس الله وجودهم — . . وأبقاهم للعلم يرفعون علمه ومناره — . . فعملت بالرأي الارشد في رفعه إلى محلهم العالي — . . فصار باسمهم المرفع مجموعاً وبخزانتهم الجليلة مرفوعاً » .

وأشار إلى وجه تسميته فقال « وعندما جمل المقصد . وآن أن يتحف به السيد الاسعد . انتقيت له اسماً يوافق المسمى . وينطق بالنجابه للمحل الاسمى . نسميته تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح » فهو قد كنى بالمجد الصريح عن صاحب المجد وهو الوزير أبو القاسم ابن الوزير ابن علي .

وهؤلاء الوزراء الاربعة من بيت واحد فيما يظهر وهم وزراء لأمراء اشبيلية في عهد الدولة الموحدية .

هل توجد نسخة أخرى من كتاب تحفة المجد الصريح ؟ في حدود سنة ١٣١٥ بيعت نسخة من شرح اللبلي على فصيح ثعلب بتونس ولم أشعر ببيعها ولا عرفت من اشتراها ولم يخطر ببالي منذ ذلك أن أبحث عن مصيرها اكتفاء بأن شرح الهروي يغني عن هذا الشرح ولم أكن قد اطلعت على العبارات التي جاءت في كشف الظنون عن ابن الحنائي .

والآن إذ لفت بحث العلامة الميمني عين ذهني إلى هذا الكتاب حاولت التنقيب عن مظان وجود تلك النسخة وبحثت عنها في المكتبات العامة والخاصة فلم أعثر على وجودها في مظانها وغلب على ظني أنها غير موجودة الآن بالمكتبات التونسية . فتعين انها لما ابتيعت نقلت إلى بلد آخر وقد أخبرني صديقي الأستاذ الجليل السيد حسن حسني عبد الوهاب أنه اطلع على نسخة من شرح اللبلي على الفصيح بخط أندلسي عند أحمد خيري المصري وسألت الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب هل يتذكر أن

تلك النسخة . تحفة المجد الصريح أو اختصاره فلم يتحقق في ذلك . وليس يبعد أن تكون هذه النسخة هي التي كانت في تونس وصارت إلى مصر مباشرة أو تناقلتها الأيدي بواسطة بعض تجار الكتب الذين كانت لهم صلة مع القاهرة وغيرها من البلاد وللسيد أحمد خيري مكتبة ثرية كائنة بروضة خيري وقد كتب عنها السيد عبد السلام محمد النجار مقالاً في الجزء الأول والثاني من المجلد السادس من مجلة معهد المخطوطات العربية الصادر في جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ صفحة ٥٩٠ ووعد باتباعه بمقالات أخرى لوصف مهمات من مخطوطات مكتبة روضة خيري يخص كل مقال بوصف عشرة كتب .

فلو يعتزم الأستاذ اليمني على الاطلاع على نسخة مكتبة السيد خيري فلعلها تكون نسخة من تحفة المجد الصريح ويرجى أن تكون تامة فيقع نشر هذا الكتاب الذي كانت له سمعة بين أهل العربية وقد استتر عنا بالمغرب فلعله يطلع من المشرق .

محمد الطاهر ابن عاشور

تعليق على مقال

نصير الدين الطوسي (1)

كنت ذكرت الخواجه نصير الدين الطوسي في (تاريخ علم الفلك في العراق) سنة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . واوضحت عن مؤلفاته وبيّنت انه :

« يعدّ من أكابر المشتغلين بالفلك والرياضيات من فروع الفلسفة الأفلاطونية الحديثة . قطع الاسماعيلية بصحة هذه العلوم واعتبروها عقيدة فلم ينفك منها الطوسي . والغرض المعرفة العلمية ، وهي حاصلة . وكان هولاكو يعتقد بصحة التنجيم مثلهم ، ولذا قرّبه هولاكو خان . وتظهر قيمة مؤلفاته من عناية كثير من العلماء بها . وإذا فقدت هذه العلوم مكانتها العلمية بعض الشيء فانها لم تفقد مكانتها التاريخية ، ولا صلتها بالعقائد الغالية . وعلاقة الخواجه الطوسي بالعراق تبدأ من ايام اكتساح هولاكو العراق سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م . ودامت متصلة ، فنال منصب صدر الوقوف في بغداد بعد الأستاذ صفي الدين الأرموي . وورد العراق مراراً وأخذ كتبها لخزانة رصد مراغه » اهـ (2) .

ومن هذا يفهم انني قلت (قطع الاسماعيلية بصحة هذه العلوم واعتبروها عقيدة فلم ينفك منها الطوسي . والغرض المعرفة العلمية وهي حاصلة) . لم ينفك من هذه العلوم واستمر بها من تاريخ اتصاله بهولاكو إلى أن توفي فكانت المعرفة

(1) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣٦ ص ٢٤١ ــ ٢٤٧ .

(2) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق لسنة ١٩٥٣ ص ٨٩ .

هي المطلوبة سواء عدّها عقيدة أو لم يعدها . والمسلمون حاولوا أخذ هذه المعرفة منه . وهو شارح (كتاب الإشارات) لابن سينا من كتب الإسماعيلية أو الباطنية . وما زال يدرس إلى ما بعد سقوط بغداد . ولم يبدل منه إلا مقدمته التي قدمها إلى أحد أمراء الإسماعيلية .

ثم ذكرت ذلك في (تاريخ علم الفلك في العراق) المطبوع سنة ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م بتفصيل . وكنت قلت فيه (بعد أن ترجمته ترجمة وافية) :

« وحياته الأولى بعد أن أتم تحصيله كانت بين الإسماعيلية . وأظهر فيها من المؤلفات : روضة القلوب ، ورسالة في التولي والتبري ، وتحرير المجسطي ، وتحرير اقليدس ، وتحرير أكرمانالاوس ، وأخلاق ناصري ، وروضة التسليم ، ومطلوب المؤمنين ، وشرح الإشارات ، وكتب التنجيم ، وأخرى في الفلك . وكتب باقي مؤلفاته بعد أن فتح هولاكو بغداد . وتوفي في ١٨ ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ — ١٢٧٤ م في بغداد ، ودفن في الكاظمين . وكان قد تم الرصد في السنة التي توفي فيها الخواجه الطوسي [(١)] » اهـ .

ومن هذه يفهم انه كتب في عقائد الاسماعيلية روضة القلوب ، ورسالة في التولي والتبري ، وروضة التسليم ، ومطلوب المؤمنين ، وشرح الإشارات . وهذه الكتب الأخيرة من روضة التسليم وما بعدها قد طبع . وهي في عقائد الإسماعيلية . وكتبت باللغة الفارسية ما عدا كتاب شرح الإشارات لابن سينا . وإن كتاب أخلاق ناصري كتبه بالفارسية ، وقدمه إلى محتشم قهستان الاسماعيلي ، وأيد فيه مذهب الإسماعيلية ؛ فقد قضى بين ظهرانيهم ربع قرن . وبعد أن أتم تحصيله التحق بهم . ومن مؤلفاته في عقائدهم ما طبعه الآغاخانية في هذه الأيام . وإنهم عدّوه من أكابر علمائهم ، وإنه مات على المذهب الإسماعيلي وأظهر غيرَهُ تقيةً .

(١) تاريخ علم الفلك في العراق ص ٣٤ طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨ م .

أعلن عقيدته الإمامية في طهران عند مجيء هولاكو إليها . وبقي على هذا المذهب إلى أن توفي سنة ٦٧٢ هـ ؛ إلا أنه خلال ذلك أي بعد اكتساح بغداد قدم كتاب (أوصاف الأشراف) إلى علاء الدين عطا ملك الجويني ، وفيه ما يؤيد عقائد غلاة التصوف من وحدة واتحاد وحلول ، وهي عين عقائد الإسماعيلية ؛ كما تأيد ذلك بما قاله ابن دحية الكلبي في كتابه النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس قال :

« وكانت لهم — للعبيديين — أيام مأثورة ، ومواقف منظومة ومنثورة ، غير أنهم تمذهبوا بمذهب الباطن الباطل ، وتحلوا من اعتقاد التعطيل ، بالاعتقاد العاطل ، وقالوا بتناسخ الأجساد والحلول والاتحاد ، وأتوا من شنيع الأقوال الفادحة في المعاد بصريح الإلحاد ، واحتقبوا بالكفر معنى واسماً ، وتنوّعوا في مظالم العباد ، وقد خاب من حمل ظلما [1] . » اهـ

وإننا في هذه الحالة لم نشأ التوغل في تحقيق (عقيدة الخواجه الطوسي) لأنها ليست موضوع بحثنا في علم الفلك ، وإنما كان محل ذلك تاريخ العقيدة ، سوى أننا نقول إن المدرس الرضوي من أساتذة دانشگاه إيران أبدى أنه لم يتمكن من معرفة عقيدة الطوسي لأنه كان متكلماً مع المتكلمين وصوفياً مع المتصوفة ، فأراد أن يضرب في كل سهم ولم يقطع في اتجاه ديني واحد ، والملحوظ كونه أعلن أنه اثنا عشري ، وكتابه التجريد يدلّ على ذلك ، وهو آخر ما كتب ؛ ويُعد أيضاً من كتب العقائد عند أهل السنة لاشتراك في العقيدة ما عدا الإمامة .

وقلت في تاريخ علم الفلك في العراق :

« كان اشتغال الرجل في علم الأوائل مهماً ، ويعد أصلاً في الثقافة الفلكية

(١) كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ١٦١ .

في عصره . وكذا في العلم الرياضي وفي التنجيم ، فيعتبر من أكابر المشتغلين بها وبالفلسفة الإشراقية (الافلاطونية الحديثة) . ولا شك أن انصراف الباطنية إلى هذه العلوم كان كبيراً جداً ، أو بالتعبير الأولى اعتقدوا بصحة هذه العلوم أو اعتبروها عقيدة فمالوا إليها ميلة واحدة . والآن لم تبق لها الا قيمتها التاريخية للثقافة وتطوراتها لمختلف العصور . والغرض معرفة العلم . ولا يهم إذا اعتقد القوم أو لم يعتقدوا . وكان على كل حال أثرها في الباطنية كبيراً . وموضوع بحثنا اشتغال الخواجه بهذا العلم وما يتعلق به ولعله السبب الأكبر في تقدمه لدى هولاكو فتمكن من إقناعه في (بناء الرصد) .

وتظهر قيمة مؤلفات الخواجه الطوسي بما نالت من عناية من علماء كثيرين ، بالنقل إلى العربية وبالشرح والتعليق ، واكتسب شهرة ومكانة علمية . والاشتغال العلمي بهذه العلوم لم ينقطع من جراء أن المؤلف أدرك دقائق الفن . وزادت الاشتغالات وتكاملت من آخرين عملوا معه في الرصد . ولم تترك العلاقة بآثاره ، ومنها بتكون مجموع عظيم . وإذا كانت فقدت اليوم مكانتها العلمية فانها لم تفقد قيمتها التاريخية ، ولا التطور في تاريخ الثقافة ، فكان لها الأثر في التكامل إلى أن بلغ مدى بعيداً في هذه الأيام سواء في إتقان الآلات ، أو إيجاد آلات جديدة ، أو إثارة بحوث في طبقات الجو ، وفي علاقة أرضنا بالمجموعة الشمسية ، أو المجموعات والمنظومات الأخرى ، فالعرب مهدوا البحوث ، وطبقوا علم البحار على الفلك ، وظهر سليمان المهري وابن ماجد واضرابهما .

وهنا نقول : إن الخواجه الطوسي لم يستبد فيه ، وإنما استخدم علماء الأقطار ، واستفاد من خبرتهم ومكانتهم العلمية ، فكان الاشتغال عظيماً ، واستخدم تلاميذ التدريب واستطلع آراءهم فتمرنوا على تقوية المعرفة ؛ وللمذاكرة والمداولة عملها في الكشف والإيضاح عن الأغراض العلمية . ومباحث الطوسي ومن معه

تستند إلى بناء الفكرة على ما عند العرب من مخلفات جمعتها خزانة مراغه ... [1] » اهـ

ثم اني ذكرت في (التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان في العراق) ونصلت ترجمته وأوضحت عن رسالته التاريخية في (واقعة بغداد) ومما قلته هناك ما نصه :

« اشتهر الخواجه نصير الدين الطوسي بالعلم في مختلف الثقافات فبذل جهوداً كبيرة في تمكين ثقافات عديدة كان العراق بحاجة إلى انكشافها والتطلع إليها مثل الفلك والرياضيات والفلسفة الإشراقية (الأفلاطونية الحديثة) والعقائد وسائر ما قدم به من تأسيس رصد في (مراغة) وجمع العلماء لأجله ، وتأسيس خزانة كتب ... وتوفي في الجانب الغربي من بغداد ودفن في الكاظمين في ١٨ ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ .

وجرى مهرجان لإحياء ذكراه لمرور سبعمائة سنة على وفاته فقامت جامعة طهران بالأمر في يوم السبت ٥ خرداد سنة ١٣٣٥ هـ . ش ودام المهرجان إلى يوم السبت ١٣ منه . ونشرت الجامعة ما قيل في حياته ، وبينت مؤلفاته ، وطُبع بعضها ، ونُقلت بعض رسائله إلى اللغة الايرانية ، فرأينا من الأساتذة محمد دانش پژوه والمدرس الرضوي وآخرين كتبوا ما كشف كثيراً عن حياته ومؤلفاته ومنها (رسالة في فتح بغداد) على يد هولاكو .

وهذه الرسالة المهمة هي موضوع بحثنا ولم يقطع المؤرخون في صحة نسبتها إليه فلا تزال بين الأخذ والرد (وذكرت هناك تفصيلات) .

ومن أراد التوسع في حياة الخواجه الطوسي فليرجع إلى كتاب الأستاذ المدرس (الرضوي) وإلى الكتب الأخرى المطبوعة بمناسبة مهرجانه بالجامعة .

---

(١) تاريخ علم الفلك في العراق ص ٥٩ .

ولا تدعو الحاجة إلى بيان ما وقع من التحامل من جراء مصاحبته هولاكو في الفتح وذكره ما يترتب على الطالع بالنظر لمخالفته (حسام الدين المنجم) ، فان الجيش أراد الهجوم على بغداد والمسارعة في أمرها ولعل هذا ما يسهل فتواه في الحرب . و (البخشية) كانوا في جهته وهم رجال الدين عند المغول .

هذا وإن حياته في مختلف صفحاتها يتكون منها تاريخ ثقافي عظيم من جراء اشتغالاته العلمية المتواصلة ، وعلاقاته بعلماء كثيرين ، وصلاته بالأقطار ، وتأثيره في العصور التالية له . ولا يكفي هذا فقد ضرب في كل نوع من الثقافة بسهم وصح أن يقال عن لسان حاله :

من بهر جمعيتي نالان شدم ... جفت خوش حالان وبدحالان شدم

هر كسي ازظن خود شديارمن ... وزدرون من نجست اسرارمن

لا يزال سرّه مكتوماً لم يطلع على كنهه من اعتقد أنه صديقه الوفي أو خليله المخلص وإن كان شاركه في السرّاء والضراء وفرح لفرحه وتألم لألمه كما هو فحوى النظم المعروف لجلال الدين الرومي صاحب المثنوي أو كما قال المتنبي :

وللسرّ مني موضع لا يناله ... نديم ولا يفضي إليه شراب

وعلى هذا رأى الأستاذ (المدرس الرضوي) في بيان عقيدته مما لا محل لتفصيله [1] . » اه

— نعم إنه بعد أن أكمل التحصيل رافق الإسماعيلية مدة خمس وعشرين سنة ، فلا يقال إنه أكره على البقاء معهم ، وإنما قام بتآليف كثيرة لنصرة العقيدة الإسماعيلية ، وقد طبع منها كتاب روضة التسليم ، وكتاب مطلوب المؤمنين ، وكتاب شرح الإشارات . ولا يوجد ما يدل على الإكراه ، بل تقديم هذه الكتب يدل على روابط عظيمة . وكتب أيضاً بعد احتلال بغداد

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٨٨ — ٩٠ .

بعض الكتب الدالة على نزعته الأولى أو عقيدته مثل (أوصاف الأشراف) الذي قدمه إلى علاء الدين عطا ملك الجويني والي بغداد وفيه غلو لا يختلف عن غلاة التصوف ، ولا عن عقائد الإسماعيلية ، ولا عن عقائد النصيرية كما أشار إلى ذلك صاحب النبراس وصاحب سمط الحقائق الذي هو من كتب الإسماعيلية فلم يكن هناك إكراه أيام هولاكو أيضاً .

وهنا لا أمضي دون الإشارة إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية فانه عدّه من الإسماعيلية ، وهـذا واضح مما تقدم فهو صادق فيما قال . عاشر الإسماعيلية النزارية مدة طويلة ، وكتب في عقائدهم مؤلفات عديدة ، أما قوله بأنه نصيري فهذا يستند إلى أن التفريق بين النصيرية وبين الإسماعيلية غير واضح من جهة الاعتقاد بالوحدة والاتحاد والحلول ؛ إلا أن الوثائق الكثيرة برهنت في أيامنا وأوضحت أن الفريقين الإسماعيلي والنصيري يشتركان في الوحدة والاتحاد والحلول ؛ إلا أن الإسماعيلية يقصرون الأمر على أئمتهم ، والآخرون يقولون بهذه الأمور لكل من نالته الصفوة . ومثل هؤلاء المتصوفة والنصيرية فإنهم لا يقصرون الأمر على الأئمة وانما يشملون ذلك على كل من نالته الصفوة ؛ فمن نقطة الاشتراك نرى شيخ الإسلام ابن تيمية صادقاً في قوله إسماعيلي نصيري في رسالته (الوصية) ، ومثله صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ذكر في كتابه الوافي بالوفيات عند ذكر ترجمة الخواجه الطوسي أنه اسماعيلي نصيري فلا وجه لاستغراب العلامة الأستاذ سليمان الظاهر .

ومن هذا كله نعلم أنه عاش مع الاسماعيلية ربع قرن ولم يكن مكرَهاً بدليل مؤلفاته ، وأنهم لا يزالون يعتقدون بأنه اسماعيلي ، وأنه منهم . ومات على الإسماعيلية وأظهر المذهب الإثني عشري تقيةً كما في كتاب الحبل المتين وكتاب الكواكب الدرية لهم . ولم يُكرهه هولاكو ، بل ألتى بلزوم

الدوام على حرب الخليفة ، وخالف ندّه حسام الدين النجم . ومع هـذا كله نرى الحق كل الحق لمن يعتقد في الخواجه الطوسي ما شاء . ولنا أن نبدي رأينا كما علمنا من الوثائق أنه من رجال الاسماعيلية وهم يقولون بذلك ، والمؤرخ في هذه الحالة لا يغفل النصوص للجهتين أي أن بعضهم يدعي أنه اسماعيلي مات على الإسماعيلية ، واظهر المذهب الاثنى عشري تقيةً ، وآخرون على خلاف هذا يعتقدون بأنه جعفري اثنا عشري .

اننا لا يسعنا التدخل في عقيدة الرجل ، والتفتيش عنها ، ومسئوليته من أجلها ، كما مرّ ، فله أن يعتقد ما شاء ، ولكل أن يعتقد فيه ما أراد ، فلا ننازع أحداً في ما يعتقد ، وإنما يهمنا أن نكتب ما قيل في عقيدته كما عُرف عنه . فلو قلنا إنه اثنا عشري بدليل أنه أعلن في همذان أنه كذلك و كتب كتاب التجريد في العقائد الإمامية لكنا أغفلنا ناحية أخرى يدعيها الإسماعيلية وهي أنه اسماعيلي وأنه أظهر التشيع الاثنى عشري تقيةً ، أو لو قلنا إنه من غلاة التصوف بكتابه أوصاف الأشراف وإنه يشترك به مع النصيرية لما عدونا الحقيقة ، فمن الضروري أن نقول : إنه اسماعيلي مع الإسماعيلية ومتصوف مع غلاة التصوف ونصيري مع النصيرية واثنا عشري مع الاثنى عشرية . ونزيد أنه متكلم من أهل السنة مع المتكلمين الا في الإمامة فانه خالف فيها أهل السنة . أو نقول كما قال الأستاذ المدرس الرضوي : إننا لم نقف على حقيقة مذهبه ، ولكنه يصح أن ننسب إليه كل هذه المذاهب بصفتنا مؤرخين فلا نغفل أمراً من أمور هذه المذاهب التي يعتقدها ولم يمكن ترجيح واحد منها . وإذا أضفنا إلى ذلك قول جماعة من الإمامية الاثنى عشرية في ذمه من جهة العقيدة زدنا في الطين بلة . والحكم عليه بعقيدة ما ليس من شأننا وانما ندوّن ما قيل .

وكان الأولى بالأستاذ أن يلاحظ جميع ما قيل ويحقق ويثبت أو ينفي ما أراد وما أدى إليه تنبّهه دون أن يقطع في أمر بلا تفنيد ما عارضه من آراء وله الفضل في إثارة هذا المطلب . وقد أحببت بسطه للقراء الأفاضل ليروا رأيهم في الخواجة الطوسي .

وهذا لا يهمّني وليس من شأني الحكم بما يعتقد في نفس الأمر .

هذا ولم نقف على كتاب في الشريعة للخواجه الطوسي ويسرنا جداً أن نقف على ما عنده من مؤلفات في هذا الموضوع .

ويلاحظ أن علماء كثيرين من السنة طعن فيهم بعض العلماء منهم . ولا ننظر في هذه الحالة الا الى الأدلة الظاهرة والتوجيه فنرى الترجيحات متضاربة ومن هذا القبيل مترجمنا . والسبب في ذلك أنه لازم الفلسفة الإشراقية طول حياته وهي أصل عقيدة الأبطان أو الاسماعيلية والمتصوفة كما أكدها في كتاب أوصاف الأشراف وبمراسلاته لصدر الدين القونوي المتصوف المعروف بغلوه .

ومن جهة أخرى إنه أذاع كتب الاشراق . وفي أيامه ظهر منهم الشهرزوري صاحب (الشجرة الآلهية) و (أخبار الحكماء) وآخرون عديدون في حين أنه كان معاقباً على هذه العلوم ومطارداً أهلوها .

(بغداد) عباس العزاوي

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا · ل · كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ١٤ -

رقم المصطلح			رقم المصطلح
١٣٦٢٦	مُحَوِّلة — مُوَسِّعة الكُمُون مُحَوِّسعة الكُمُون	Transformateur — amplificateur de potentiel	13626
١٣٦٢٧	مُحَوِّلة — مُرَجِّعة الكُمُون مُحَوِّجعة الكُمُون	Transformateur — réducteur de potentiel	13627

وأرجح في الأولى مُحَوِّلة موسعة الكُمون (١) وفي الثانية محولة مرجعة الكُمون .

١٣٦٢٨	تَحَوُّل الى مُهْل او مِدَّة ، إصْدَاد تَحَوّل الى صديد	transformation en sanies en ichor, devenir sanieux ichoreux	13628

(١) الصفحة ٢٩٦ من الجزء الثاني من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

وأرجع تحوّل الى قيح أو صديد أو مدة [1]

١٣٦٣٩ تحوّل 13639 Transition

ودرجت على ترجمة اللفظة بانتقال ، وأكثر ما تستعمل في تبدل علامات بعض العلل كقولنا طور الانتقال بين الشلل الرخو والشلل التشنجي بحيث يبقى العليل مبدياً علامات الشكل الأول مع ظهور بعض علامات الشكل الثاني .

وسبق للجنة ان استعملت لفظة تحوّل ترجمة لـ Transformation .

١٣٦٤١ مُوصِل ، انظر ناقل 13641 Transmetteur

وأقر مجمع اللغة المُرْسِلة

١٣٦٤٥ سارٍ (مُخمِج) بالماء 13645 Tarnsmise (infection) par l'eau

١٣٦٤٦ سارٍ (مُخمِج) بالحشرات 13646 transmise (infection) par des insectes

١٣٦٤٧ سارٍ (مُخمِج) باللبن 13647 transmise (infection) par le lait

١٣٦٤٨ سارٍ (مُخمِج) بالجرذان 13648 transmise (infection) par les rats

١٣٦٤٩ سارٍ (مُخمِج) بالدم 13649 transmise (infection) par le sang

ودرجت على ترجمة اللفظة بمنتقل ، فأقول منتقل (انتان) [2] بالماء وهلمجرا

(١) سبقت الملاحظة عن كلمة مهل في الصفحة ٥٠٨ من الجزء الرابع من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ١٥ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة

وسبق للجنة ان استعملت لفظة سارٍ وَمُسْرٍ بارِث ترجمة لِـ (Contagion) و (Contagieux) (اللفظتان ٤١٤٦ و ٤١٤٧)

13650 Transmissible سارٍ ١٣٦٥٠

13651 Tranmissible hériditairement سارٍ بالوراثة ١٣٦٥١

وأرجح قابل الانتقال في الأول وقابل الانتقال بالوراثة في الثانية

13652 Transmissibilité سراية ١٣٦٥٢

وأرجح قبول الانتقال ، وقد استعملت اللجنة لفظة انتقال في ترجمة (Transmission) في المصطلحات التي تلي السابقة .

13658 transplantation cutanée, greffe cutanée, غرز جلدي ، تطعيم جلدي ١٣٦٥٨

13659 Transplanter غرّز ، طعّم ١٣٦٥٩

والصحيح غَرْس جلدي [1] ، تطعيم جلدي في الأول وغَرَس ، طعّم في الثانية .

13660 transportable نقول (قابل النقل او الانتقال) ١٣٦٦٠

وأرجح قبول النقل أو نقول ، تاركاً لفظة انتقال ترجمة لِـ (Transmission) (اللفظة ١٣٦٥٢)

13662 Transposition تبديل الوَضع ، انعكاس الوَضع ١٣٦٦٢

وأرجح تبدل الوَضع لأن أكثر استعمال اللفظة في تبدل وَضع الأحشاء خِلقة .

14665 Transvasement كَزْت ، إبانة ، نقل من وعاء الى آخر ١٣٦٦٥

---

(١) في اللسان غَرَس الشجر والشجرة يغرسها غرساً والغَرْس الشجر الذي يُغرس والجمع اغراس . غَرَزَ الإبرة في الشيء غَرْزاً وغرّزها أدخلها .

١٣٦٦٦ كَلَّتَ ، أبانَ السائل — 13666 Transvaser

وأرجح أن تكون ترجمة اللفظة الأولى بنقل من وعاء أو إناء الى آخر أو الاصفاق والتصفيق [1] وفي الثانية نقل من وعاء أو إناء الى آخر أو التصفيق .

١٣٧٠٣ لَوْلَبية — 13703 Tréponème

وأقر مجمع اللغة بَرَيْمي وبَرِيميات

١٣٧١٥ شُعَرِية الرأس — 13715 Trichocéphale

وأقر مجمع اللغة : الدودة السوطية (تريكو سفالس)

١٣٧٥٠ بالِغُ النُّضج ، مبالَغٌ في نضجه — 13750 Trop cuit

ولعلَّ لفظة يَنيع تفيد المعنى المطلوب [2]

١٣٧٦١ اضطرابات تأثُّرية — 13761 troubles affectifs

وأرجح اضطرابات عاطفية [3]

١٣٧٦٣ اضطرابات ناشئة عن نقص الهيولينات — 12763 troubles dus à une carence de protéine

---

(١) في اللسان : والتصفيق تحويل الشراب من دنّ الى دَنّ (وقد استعمل مجمع اللغة الاصفاق لنقل الدم) . والكالِت الصاب وقال وسمعت أعرابياً يقول أخذت قَدَحاً من لبنٍ فكَلّته في آخر . أما إبانة وأبان فلم اعثر في اللسان ولا في القاموس المحيط على دلالة اللفظتين ما يشير الى المعنى المطلوب وكل ما جاء في اللسان في هـذا الصدد : التأبين ان يُفصد العِرْق ويؤخذ دمه فيُشوى ويؤكل .

(٢) في اللسان : ويقال أينَعَ الثَمَر فهو يانِعٌ ومُونِعٌ كما يقال أيْنَع الغُلام فهو يافِعٌ ، وقد يكنى بالايناع عن إدراكِ المَشْويّ والمطبوخ ومنه قول أبي عمَّال الطباخي : هل لك في رؤوس جذعانٍ كَرِشٍ من اول الليل الى آخره قد اينَعت وتَهرّأت ؟

(٣) الصفحة ٣١١ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح اضطرابات ناشئة عن عوز [1] البروتينات [2]

١٣٧٦٩ اضطرابات الفطرة troubles de l'instinct 13769

وأرجح اضطرابات الغريزة .

١٣٧٧٣ اضطرابات الحركة trouble de la motilité 13773

وأرجح اضطرابات الحراك ، تاركاً الحركة ترجمة للفظة (Mouvement) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة اللفظة الأخيرة (الرقم ٨٦٩٥) .

١٣٨٨١ غفوة ، بهت Tuphos 13881

والصحيح خور [3] وفتور [4] الوعي . فقد عرفت اللفظة بحالة فتور الوعي الشديد والخمود البادين في الحمى التيفية وفي التيفوس [5] . وجاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي Great prostration, great weakness, (typhod state) أي الخور الشديد والضعف الزائد والحالة التيفية . ولا أرى في لفظي غفوة وبهت [6] أي صلة في معنى اللفظة .

١٣٨٨٨ طليعة الخزب بدء الخزب Turgor, préœdème 13888

(١) الصفحة ٦٣٣ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٧٠ من الجزء الثالث من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٤٦٩ من الجزء الثالث من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٤٦ من الجزء الأول من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) معجم غارنيه ودولامار M. Garnier et V. & J. Delamare. Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine

(٦) في اللسان : غفا الرجل وغيره غفوة اذا نام نومة خفيفة . بهت الرجل يبهته بهتاً وبهتاً وبهتاناً فهو بهات أي قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت وبهته بهتاً اخذه بغتة الى ان قال والبهت الانقطاع والحيرة رأى شيئاً فبهت ينظر نظر المتعجب .

وأرجح تورم ، احتقان [1] وبدء الوذمة [2]

13898 Tympanite (distension de l'abdomen) حُباج (تَوتّر البطن وانتفاخه) ١٣٨٩٨

وأرجح انتفاخ البطن (توتر البطن) [3] وأقر مجمع اللغة التطبل .

13900 Type نمط ، طِراز ، مثال ١٣٩٠٠

والشائع ترجمتها بنموذج .

13901 Typhique تيفي ، غَفْوي ١٣٩٠١

وأرجح تيفومي وتيفي فقط لأن النسبة هنا الى كل من الحمى التيفية والحمى النمشية معاً .

13904 Typoïde تيفي ، شبه غَفْوي ١٣٩٠٤

وأرجح الحمى التيفية فقط واللفظة هنا صفة لحمى محذوفة (F. typhoïde)

13905 Typhose aviaire, diarrhée blanche, diarrhée, épizootique des volailles. داء غَفْوي طَيري ، اسهال أبيض ، اسهال الطيور الدواجن الساري أو الوبائي ١٣٩٠٥

وأرجح في ترجمة هذه اللفظة : تيفوس الطيور ، الاسهال الأبيض ، اسهال الدواجن الوبائي الحيواني .

(١) هكذا ورد معنى اللفظة في معجم بلاكستون

(٢) الصفحة ١١٤ من الجزء الأول من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان : وحَبِجَتْ الابل بالكسر حَبَجاً فهي حَبِجى وحَباجى مثل حَبَطى وحَباقي وحَبِجَة وَرِمَتْ بطونها من أكل العَرْفج واجتمع فيها عُجَرٌ حتى تشتكي منه فتمرّغت وزحَرت .

13907 typhus exanthématique, historique pétéchial — حمى نمشية ، تاريخية ١٣٩٠٧

وأرجح حمى نمشية ، تاريخية وتيفوس نمشي ، وأقر مجمع اللغة تعريب تيفوس

13909 Typique — نمطي ، جنسي ، راموزي ١٣٩٠٩

وأرجح نموذجي .

U

13940 Unipare — أوّلية الولادة ١٣٩٤٠

وهي البِكر (1)

13949 Unité de maturation — وحدة نضوجية ١٣٩٤٩

والصحيح وَحدة النضج

13954 Univitellain, ne — وَحيد المُحين ١٣٩٥٤

وأرجح وحيد الويتللوس ووحيدة الويتللوس .

13963 Urémie — تَبَوّلن الدم ١٣٩٦٣

13964 Urémique — مُتَبولن الدم ١٣٩٦٤

وأفضل في الأول أوريميا تعريباً وفي الثانية مصاب بالأوريميا وأوريميائي .

13966 Uréopoïèse, uropoïèse — تَبَوّلُن ، تكوُّن البولة ١٣٩٦٦

fonction uréopoiètique — وظيفة التَبَوّلن

وأرجح تولد البولة والوظيفة البولية .

13975 Uricémie, hperuricémie — تَبَوّلت الدم ، فرط التَبَوّلت الدموي ١٣٩٧٥

(١) في اللسان : والبِكْرُ المرأة التي ولدت بطناً واحداً وبكرها ولدها .

وأرجع اوريسيميا ، وفرط حمض البول الدموي أو فرط الأوريسيميا .

١٣٩٧٦ النَّوبات الدَّموي (نوبة) Uricémie (crise) 13976

الأوريسيميا (نوبة) .

١٣٩٨٠ تَبوّان العَرَق Uridrose 13980

وأرجع التعرق البولوي .

١٣٩٩٤ صفراوين البَوْل Urobiline 13994

١٣٩٩٥ بيلة صفراوين البول Urobilinurie 13995

وأرجع في الأول أوروبيلين وفي الثانية بيلة الأوروبيلين .

١٣٩٩٨ وَرْديّة البول Uroroséine 13998

وأرجع روزئين البول

V

١٤٠٥٢ شَبْهم (مُشبِه بالمُبهم) Vagomimétique, 14052

شَبْهمي parasympathicomimétique

وأرجع عماثل للمبهم (عماثل لنظير الودي)

١٤٠٥٤ توَتّر المُبْهم ، توتر الشَّبهم Vagotonie, parasy- -mpathicomimétique 14054

ودرجت على ترجمة اللفظة باشتداد المبهم (اشتداد نظير الودي)

١٤٠٥٦ مَزاجٌ مُبهَمي ، مَجاز الى المبهم Vagotropisme 14056

وأرجع انتظام مُبهَمي (١)

١٤٠٥٧ تَبايُنُ (العَيْنَيْن) Various (yeux) 14057

(١) الصفحة ٨١ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

والصحيح الخَيَف (١)

14061	vaisseaux vitellins	عُروق مُحِّية	١٤٠٦١

وأرجع عروق الويتللوس .

14063	Valériane	حشيشة القط ، فَلَريانَة	١٤٠٦٣

ناردية في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

14078	Valvule mitrale, valvule bicuspide	مصراع تاجي ، مصراع ذو شُرفتين	١٤٠٧٨

وأرجع مصراع اكليلي (٢)

14093	Vapeurs	رياحٌ رَحِمية	١٤٠٩٣
14094	Vapeureux	متعلق بالرياح الرَّحمية	١٤٠٩٤

والصحيح ان ليس لهاتين اللفظتين أي صلة بالرحم . فقد استعملت اللفظة الأولى في الطب القديم (٣) بمعنى الخلط أو المزاج البخاري والذي يخيل به الى صاحبه ان ابخرة تصعد الى دماغه . كما انها كانت تستعمل للدلالة على بعض الاضطرابات العصبية التي تبدو في جانب المعدة (الجشاء) سواء رافقها خلل عضوي في المعدة أو لم يرافقها (٤)

هذا وقد جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي ما يشير إلى دلالة اللفظة على الهستريا (٥) . فاذا كان لهذه اللفظة ان تترجم (وقد

(١) في لسان العرب: خيف البعير والانسان والفرس وغيره خَيَفاً وهو أخيف بيّن الخَيَف والانثى خيفاء اذا كانت إحدى عينيه سوداء كحلاء والأخرى زرقاء .

(٢) الصفحة ١٠٣ من الجزء الأول من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) لاروس القرن العشرين في لفظة (Vapeur) Larousse du XX ème. siècle

(٤) لاروس الطبي (Larousse médicale) .

(٥) جاء ترجمة اللفظة الى الانكليزية بـ (Winds) أي رياح و (Vapors) أي أبخرة ثم (Hypochondriasis) أي داء المراق . وفي الترجمة الألمانية استعملت اللفظة الفرنسية (Vapeurs) ثم اعقبت بـ (Hysterische Launen) أي المزاج او الخلط الهستيري .

بطل استعمالها) فهو بالابخرة الميستريائية أو الجشاآت في الأولى والنسبة الى الأبخرة الميستريائية في الثانية . إلا ان الترجمة الألمانية في اللفظة الثانية جاءت نسبة الى البخار او الضباب (بخاري وضبابي) .

١٤٠٩٦ فارَك ، فُوقس Varech, Goëmon, fucus 14096

١٤٠٩٧ الفوقس (رماد) Varech (cendres de) kelps 14097

تَوْقَس في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

١٤١١٣ خاطوف Varron 14113

والصحيح النَّغَف دعموص النَّبْر كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي . فقد قال في شرح لفظة نِبْر (œstre) (ج نِبار وأنبار . اجناس من الذباب الكبار من الفصيلة النَّبْرية ورتبة ذوات الجناحين . وهي لا تلسع ولا تضر . والضرر يحصل من يرقانها التي تُسمى النَّغَف Varons (٢) فنغف الفرس يعيش في معدته ونغف الضأن في غشاء التجاويف من عظم الجبهة الخ) .

اما الخاطوف فقد جاء في القاموس وفي لسان العرب انه شِبْه المِنْجل يشد بحبالة الصيد فيختطف به الظبي .

١٤١١٩ إرواء ، ري Vascularité 14119

وأرجح وعائية اشتقاقاً من وعاء وأن تخصص لفظة ارواء وري ترجمة للفظة (Irrigation) شأن ما فعلته اللجنة رقم (٧٥٣٤) بقولها ري دَمَوي (Irriga-tion sanguine) .

(١) Drustig, Nebelhaft

(٢) لقد ضبطت اللفظة في لاروس القرن العشرين هكذا Varron وقال في الشرح منها اسم عامي ليرقانة نغف البقر (Hypoderme du bœuf) والتي تعيش تحت جلد الحيوان المذكور محدثة نوعاً من الأورام متقرحة القمة .

14121 Vasectomie ١٤١٢١ قَطعُ الأسهرين

وأرجح قطع القناتين ناقلتي المني أو الناقلتين [1]

14133 Vecteur, v. Hôte vecteur ١٤١٣٣ نَبريٌّ ، انظر ضيف ناقل

وأرجح ناقل ثم ضيف ناقل [2]

14139 Végétations ١٤١٣٩ إنبات ، نامية

14140 Végétations adenoïdes ١٤١٤٠ناميات نظيرة الغدة ، شبغدية

والمعروف عن اللفظة الأولى ترجمتها بتنبتات وأقر مجمع اللغة نوابت (نابتة) والثانية تنبتات أو نوابت نظيرة الغدة .

14144 Veine basilique ١٤١٤٤ وَريدٌ ملكي

والمشهور تعريبه بالوريد الباسليقي ، او باسليق [3] ويسمى خطأ بالوريد القاعدي .

14146 Veine céphalique ١٤١٤٦ وريد رأسي

وأقر مجمع اللغة تعريبه واستعمال ما دعاه به أطباء العرب [4] فيقال .

14148 Veine grande azygos ١٤١٤٨ وريد فَردي كبير

(١) لقد جاء في اللسان : والأسهران عرقان يصعدان من الأنثيين حتى يجتمعا عند باطن القيشلة وهما عرقا المني ، وقيل هما العرقان اللذان ينذران من الذكر عند الإنعاظ وقيل عرقان في المتن يجري فيهما الماء ثم يقع في الذكر ، الى ان قال والأسهران عرقان في الأنف وقيل عرقان في المنخرين من باطن ، لذا اغتلم الحمار سالا دماً أو ماء . ومنه يتضح الالتباس في تسمية الأسهرين للقناتين الناقلتين .

(٢) الصفحة ٤٧٩ من الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) هكذا ورد اسمه في قانون ابن سينا (الصفحة ٣٣ من الكتاب الأول طبع رومة)

(٤) الصفحة ٣٣ من الكتاب الأول من قانون ابن سينا .

والأفضل الوريد الفرد الكبير كما أقره مجمع اللغة .

١٤١٥٢ وريد الساعد المتوسط 14152 Veine médiane de l'avant-bras

ولعله الأكحل[1] ما دمنا قد استعملنا باسليق وقيفال

١٤١٥٤ وُرَيد فردي 14154 Veine petite azygos

وأرجح الوُريد الفرد

١٤١٧٢ سام زيبي 11472 Vénimeux, euse, véneneux, euse

وأرجح أن يقتصر على زيبي وأن تترك لفظة سام ترجمة لـ (Toxique)

١٤١٨٦ بَطنٌ مُستَدِق 14186 Ventre en pointe

وأرجح بَطنٌ مؤنف .

١٤١٨٧ بَطنٌ مُنكمِش ، مُتَقَبِّض 14187 Ventre retracté

ودرجت على ترجمة اللفظة ببطن خميص

١٤١٨٨ بَطن الاهتزاز 14188 Ventre de vibration

ويعني باللفظة المكان من الجسم والذي يكون الاهتزاز فيه على أقصى شدته[2] . لذا أرجح ترجمة اللفظة بالمَهَزّ الشديد أو قوس الاهتزاز كما جاء في الترجمة الانكليزية للفظة في المعجم الأصلي[3] .

١٤٢٥٨ دُوارٌ سكتي ، دُوار مُظلم دُوارٌ سَماديري 14258 Vertige apoplectique, vertige ténébreux, scotodinie

وأرجح : دُوار سكتي ، دوار الظُلمة ، دُوار عَشمي . فقد سبق للجنة أن ترجمت لفظة (Scotome) بعشمة (اللفظة ١٢١٦٥) .

(١) الأكحل كما جاء في اللسان عرق في وسط الذراع .
(٢) لاروس القرن العشرين في لفظة (Ventre) .
(٣) (Arc of an oscilliation) .

14267 Verumontanum, crête urétrale — شُنخوب ، عرف إحليلي ١٤٢٦٧

وأرجح الدُرَينة المنوية [1] ، والعرف الأحليلي .

14276 Vésicule amniotique — حُوَيصلة سابيائية ١٤٢٧٦

وأرجح حُوَيصل أمنيومي [2]

14271 Véssie irritable — مَثانة مستثارة ١٤٢٩١

وأرجح مثانة هائجة

14310 Vibrations thoraciques, vibrations vocales — اهتزازات زَوْرية ، اهتزازات صوتية ١٤٣١٠

وأرجح اهتزازات صَدْرية واهتزازات الصوت .

14318 Vice cardiaque, lésion valvulaire — عَيب قَلبي ، آفة مصراعية ١٤٣١٨

وأرجح زَيغ قلبي ، آفة مصراعية

14322 Viciation de l'air — فساد الهواء ، إنفغام الهواء ١٤٣٢٢

والصحيح فساد الهواء فقط [3]

---

(١) واسمها بالانكليزية (Colliculus seminalis) . اما شنخوب ، فقد جاء في اللسان : الشُنْخوب فرع الكاهل والشنخوبة والشُنْخوب والشِنْخاب أعلى الجبل وشناخيب الجبال رؤوسها واحدتها شنخوبة الى ان قال والشُنْخوب فِقْرة ظهر البعير .

(٢) الصفحة ٤٦٤ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان : فَغَم الورد يَفْغَم فُغُوماً انفتح وكذلك تفغّم أي تفتح وفَغَمت الرائحة السُدّة فتحتها وانفغم الزكام انفرج وفَغْمة الطيب رائحته فَغَمَتْه تفغَمه فَغْماً وفغوماً سدّت خياشيمه . لذا لا أرى مسوغاً لاستعمالها لأنها في جانب الطيب والرائحة الزكية لا الفساد .

14325 Vie instinctive ١٤٣٢٥ حياة فِطرية

وأرجح حياة الغريزة

14330 Vigilambulisme ١٤٣٣٠ نامية جَوّالة

وأرجح المشي التلقائي .

14350 Virilisme, masculisme ١٤٣٥٠ رُجولية ، ذَكورية

ودرجت على ترجمة اللفظة بالاسترجال .

14352 Virose, maladie des plantes due à un virus ١٤٣٥٢ قُواع نباتي ، مرض في النبات سببه إحدى الحُمات

وأفضل ترجمة اللفظة بمرض حُمي ما دامت ترجمة (Virus) حُمة ، فأقول مرض حُمي ، مرض في النبات (ومنه ما يحدث في الانسان أيضاً) سببه إحدى الحُمات .

14354 Virulènt, ente ١٤٣٥٤ قَوْعي

والأفضل شديد الحُمة أو شديدة القَوْعة .

14367 Visibilité ١٤٣٦٧ مَنظورِيّة (كَون الشيء منظوراً)

وأرجح إمكان الرؤية

14371 Vision crépusculaire ١٤٣٧١ رؤية الشَفَق أو الغَبَش

وافضل الرؤية في الظُلْمة ، لأن المقصود من اللفظة ان يستطيع الانسان رؤية المرئيات في الليل ، وقد يفهم من رؤية الشفق ان يرى الانسان الشفق .

14374 Vision monoculaire ١٤٣٧٤ رؤية عَوْراء (رؤية بعين واحدة)

وأرجح الرؤية بعين واحدة .

14381 Vitamine ١٤٣٨١ حَيَيْن (فيتامين)

وأرجع استعمال اللفظة معربة ، في جانب استعمال الحروف الفرنجية للدلالة على أنواع الفيتامين لكي لا يكون التباس بين أسمائها فقد ذكرت اللجنة حيمين آ ترجمة لفيتامين A (١٤٣٨٣) وحيمين ج لفيتامين C (١٤٣٨٦) وحيمين ه لفيتامين E (١٤٣٩٠) وحيمين ح لفيتامين H ١٤٣٩٠ حيمين ك١ لفيتامين K^1 وحيمين ق ٢ لفيتامين K^2 (١٤٣٩٣) وحيمين پ لفيتامين P جرياً على استعمال الحروف الأبجدية ، بينما الحروف الفرنجية هي أممية تستعملها جميع الأمم .

١٤٤٠٣ بَرَص 14403 Vitilligo

ودرجت على ترجمة اللفظة بالبَهَق (١) . اما البَرَص فربما دلّ على ما هو معروف بالجذام .

١٤٤٤٨ جَشَأ 14448 Vomir (avoir envie de vomir)

والصحيح غَثِيَ أو جاش .

١٤٤٦٨ قُبَّة الأخمص 14468 Voute plantaire

والصحيح الأخمَص او خَصْر القدم (٢)

(١) في اللسان : البَهَق بياض دون البرص ، البَهَق بياض يعتري الجسد بخلاف لونه ليس من البرص . البَرَص داء معروف نسأل الله العافية منه ومن كل داء ، وهو بياض يقع في الجسد .

(٢) في اللسان : غَثَت نفسه تَغثي غثياً وغثياناً وغَثِيت غَثَى جاشت وخَبُثَت قال بعضهم هو تحلُّب الفم فربما منه القيء وهو الغثيان .
جاشَتْ النَفْس تجيش جَيْشاً وجُيُوشاً وجيشاناً فاظَتْ وجاءَتْ للقي جيشاً وجيشاناً غَثَت او دارت للغثيان ، فإن اردت انها ارتاعت من حُزن أو فَزَع قلت جَشَأت وجَشَأت المعدة وتجشأت تَجَشّت والاسم الجُشاء .

(٣) في اللسان : الأخمص باطن القدم وما رقّ من اسفلها وتجافى عن الأرض وقيل الأخمص خصر القدم . وفي المخصص : الأخمص وهو خصر باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض لا يصيبها اذا مشى الإنسان .

X

14485 Xérodermie صوملة ، جفاف الجلد ١٤٤٨٥

ودرجت على ترجمة اللفظة بيبوسة الجلد

14486 Xérophtalmie, xérosis جفف العين ، جفاف رمد ١٤٤٨٦
xérose صاعل

ودرجت على ترجمة اللفظة بيبوسة العين ، داء اليبوسة والورم اليابس .

Z

14507 Zona, syndrome radiculo- داء المنطقة ، تناذر ١٤٥٠٧
-ganglionnaire, herpès جذري عقدي ، قوباء
zoster منطقية

والصحيح داء المنطقة ، تناذر جذري عقدي ، عقبولة منطقية (١)

14511 Zone d'alarme منطقة الاستغاثة ١٤٥١١

ودرجت على ترجمتها بمنطقة التنبيه .

14514 Zone épileptogène منطقة مورثة الصرع ١٤٥١٤

وأرجح منطقة مثيرة الصرع .

14518 Zone hystérogène ou منطقة مهرعة او ١٤٥١٨
spasmogène مشنجة

وأرجح منطقة مثيرة للهستريا (٢) او مثيرة للتشنج

(١) المنطقة مشتقة من النطاق وسبق لمجمعنا ان ترجمت لفظة (Herpes) بعقبولة (اللفظة ٦٧٥٦) . اما قوباء فهي ترجمة (Impetigo) (اللفظة ٧١٠٨) .
(٢) الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

١٤٥٢٠ مَنطِقة الجَرَس — 14520 Zone de matité

وأفضل مِنطَقَة الصَمَم . وسبق لجنة ان ترجمت لفظة Matité بصَمَم (اللفظة ٨٣٠٤) .

١٤٥٢٤ مَنطِقة مورثة للسعال — 14524 Zone tussipare

والأفضل مِنطَقة مُسْعِلَة

١٤٥٢٨ طُفَيلي حُيَيواني — 14528 Zooparasite

وأرجح طُفيلي حُيَيبي .

١٤٥٢٩ مِنطَقي زناري — 14529 Zosterienne

والصحيح متعلق بداء المِنطَقة (أي نسبة الى الداء) اما زناري فسبق لجنة ان ترجمت لفظة (Ceinture) بزنار (اللفظة ٢٢٣٨)

١٤٥٣١ خلية مُقتَرِنة ، خَلية موحَّدة — 14531 Zygote

١٤٥٣٢ متعلق بالخلية المقترنة — 14532 Zygotique

والصحيح في الأولى لاقِحة [1] . وفي الثانية مُتعلق باللاقحة .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

وليم شكسبير في الادب الحديث

ثار نقاش شديد في الأوساط الأدبية حول ترجمة مسرحيات وليم شكسبير إلى العربية . ولست أحب في هذا المقال أن أخوض في هذا النقاش . انما أحب أن أبين أثر شكسبير في الأدب العربي الحديث . إذ أن فضل شكسبير ليس وقفاً على الأدب الانجليزي انما تعداه إلى الآداب العالمية جميعاً ومنها أدبنا العربي الحديث . وأثر شكسبير على العربي يمكن أن تقسمه إلى ناحيتين الناحية الأولى ناحية متصلة بالنثر وهي الترجمة . والناحية الثانية تتصل بالتأثير في الشعر العربي .

ومسرحيات شكسبير لا يجد فيها الانجليزي متعة فحسب إنما يجد فيها القارىء هذه المتعة في شتى الأقطار والأمصار . لأنه يجد في شخصياتها اناساً يشعرون بمثل شعوره ويتحركون بمثل اتجاهاته في التفكير ، فهي موضوعات انسانية تمس النفس الانسانية مساً رفيقاً رشيقاً .

وقامت جهود أدبية كبيرة منذ مطلع النهضة الأدبية الحديثة لترجمة هذه المسرحيات ومنذ نصف قرن تقريباً عني الأستاذ ابراهيم زكي من كبار موظفي المالية وقتذاك بترجمة ثمان من روايات شكسبير ثم نشر اسماعيل (أفندي) عبد المنعم الموظف بوزارة المالية كتيباً في ١٢٠ صفحة صغيرة الحجم لخص فيها بعض مسرحيات شكسبير . ورغم أن عرض المؤلف كان موجزاً كل الايجاز فقد وجد فيه المتعطشون إلى الثقافة الاجنبية شيئاً يزيدون به ثقافتهم ويلونون به تفكيرهم ولا سيما أنهم قرأوا فيه مسرحيات شتى لشكسبير هي

روميو وجولييت وكوريولانس ويوليوس قيصر وماكبث وهملت وعطيل والملك لير وصدرها بمقدمة وصف فيها هذه الروايات فقال (وقد اخترنا من رواياته ذلك النوع المعروف بالمأساة لأنه برع فيه وأبدع ايما ابداع وكأنه غاص في سويداء القلوب ووقف على أخلاق الناس وأظهر ما تكنه الضمائر وباح بما هو في طي الكتمان فسطرها من أنفاس العاشقين وعبرات البؤساء وأرانا فيها أشكالاً متضاربة من الطبائع وصوراً شتى من العادات فهذب النفوس وقوم الأخلاق وثل بها عروش الظلم وقوض دعائم الاستبداد .

وترجم طانيوس عبده رواية هملت وكان طانيوس شاعراً ناثراً متفنناً في كلتا الصناعتين ، جيد الملكة لطيف التخيل عصري المعنى مستعذب اللفظ ، اكسبته رواياته شهرة بعيدة بين قراء العربية ، وأنزله شعره منزلة كريمة بين أماثل الشعراء ومن مترجماته عن شكسبير مسرحية هملت ؛ وامتاز بتمثيل دور هملت سليمان أفندي القرداحي والشيخ سلامة حجازي ومحمد بهجت .

وكانت مسرحية (عطيل) أول رواية مثلت لشكسبير على المسارح العربية في مصر وترجمت باشارة سليمان أفندي القرداحي ومثل فيها سليمان أفندي دور البطل وقام بهذا الدور بعد ذلك أحمد فهيم ومحمد بهجت كما قام جوق اسكندر فرح بتمثيل هذه المسرحية فأحرز في تمثيلها نجاحاً منقطع النظير .

وترجم محمد عفت القاضي في المحاكم الأهلية مسرحية (ماكبث) وكان يمتاز إلى جانب عقليته القضائية الممتازة بذوق أدبي رقيق وحس فني مرهف ؛ فأقبل على ترجمة مكبث بشغف ونهم . وكان عفت يحسن قرض الشعر وله فيه قصائد جيدة فنظم مكبث بالشعر وحاول أن يحافظ على روح النص محافظة دقيقة . والملاحظ في ترجمة محمد عفت انه لم يحذف منها شيئاً اللهم إلا إشارات بسيطة جداً كان لا بد من حذفها في النص العربي لأنها لا تناسب ذوق القارئ في البلاد العربية .

ولما عاد الممثل الكبير جورج أبيض من الخارج وتشبع بروح المسرح الأوربي وأراد أن يقوم بنهضة مسرحية في مصر طلب من الأستاذ خليل مطران أن يقوم بترجمة بعض روائع شكسبير . وفعلا أقدم مطران على الترجمة وقدم للمسرح المصري ماكبث وهملت وعطيل وتاجر البندقية والعاصفة وريشارد الثالث والملك لير ويوليوس قيصر .

وجدير بالذكر أن مطران كان يترجم عن الفرنسية ولذلك وجدنا بعض الاختلاف عن النص الانجليزي الأصلي . كما أن مطران حذف كثيراً من المشاهد والتفاصيل في مسرحياته . ومثال ذلك أنه ادمج فصول هملت الخمسة في أربعة وحذف مشهد الجنيات في الفصل الأول من مسرحية مكبث وحذف بعض المشاهد مثل المشهد الثالث في الفصل الثالث . إلا أن ترجمة مطران في واقع الأمر دقيقة جميلة الأسلوب حسنة السبك . ترتفع في بعض المشاهد إلى ذروة الأدب الصافي الرفيع . ولولا أن مطران ترجم عن الفرنسية لبلغت ترجمته أعلى درجات الكمال الفني .

ومن الذين عكفوا على ترجمة مسرحيات شكسبير كذلك الأستاذ عوض محمد والأستاذ عوض ابراهيم والأستاذ ابراهيم رمزي والأستاذ محمد حمدي وترجم الأستاذ سامي الجريديني المحامي روايتي يوليوس قيصر وهملت وصدر اولاهما بمقدمة جاء فيها (ولم أفكر قط في الاقدام على ترجمة هذه الرواية لو لم يكن لي من عطيل أكبر مشجع لبس لأني ممن يجرون في مضمار خليل مطران ولكن تشبها بالكرام . فخليل مطران على ما أعتقد أقدر عربي يستطيع ترجمة شكسبير ولعله أول من ترجمه ترجمة حقيقية ..)

ولم يكن أثر شكسبير قاصراً على الترجمة فحسب انما شاع في شعر الشعراء وأخيلتهم وتصويرهم الفني بطريق مباشر وغير مباشر . ولو أن شوقي لم يطلع على

انتاج شكسبير المسرحي ولم يتشبع بفنه لما أقدم على تأليف مسرحياته الشعرية ولما أخرج لنا الروائع من شعره مثل مجنون ليلى ومصرع كليوبترة وعنترة وقمبيز وأميرة الأندلس وغيرها . بل اني لأذهب إلى أبعد من هذا فأقول ان شوقي في « مصرع كليوبترة » حذا حذو شكسبير في فنه المسرحي في بعض أحداث الرواية وفي بعض المشاهد المسرحية . وحاول شوقي أن يتسم انتاجه بالخصوبة والتشعب مثل شكسبير .

وقد نظم شوقي قصيدة من عيون شعره في ذكرى شكسبير والقصيدة همزية استهلها بالمجد الذي تحرزه انجلترا في البحار وفوق الجزيرة . وأخذ يزهو بنظامهم الدستوري وشاعرهم شكسبير . فما أنجبت انجلترا مثله شاعراً وما تغنى طائر بأعذب من شعره . وبذكره وصل مجد الجزيرة إلى النجوم الزهر في السماء إذ كشف الشاعر عن سرائر النفوس وكوامن القلوب . وشعره ملهم يصدر عن نفس موحية . ومعانيه أبكار كالعذارى ومسرحياته ككتاب الدهر فيها شتى العبر وفيها الإضحاك والابكاء وفيها الأفراح والأتراح وفيها الآهات والبسمات تأمله يقول :

ما أنجبت مثل شكسبير حاضرة ... ولا نمت من كريم الطير غناء
نالت به وحده انجلترا شرفا ... ما لم تنل بالنجوم الكثر جوزاء
لم تكشف الشعر لولاه ولا بليت ... لهـا سرائر لا تحصى وأهواء
شعر من النسق الاعلى يؤيده ... من جانب الله الهام وايحاء
من كل بيت كآي الله تسكنه ... حقيقة من خيال الشعر غراء
وكل معنى كعيسى في محاسنه ... جاءت به من بنات الشعر عذراء
أو قصة ككتاب الدهر جامعة ... كلاهما فيـه اضحاك وابكاء
مهما تمثل ترَ الدنيا ممثلة ... أو تتلَ فهي من الإنجيل أجزاء

وقد ختم شوقي قصيدته بالدفاع عن شكسبير إذ رماه بعض النقاد بأنه صور الانسان بأنه ذئب متعطش إلى الدماء وأجرى أنهار الدم في مسرحياته وملأها بحوادث الاغتيال والقتل • فقال ان هذه الصور ليست إلا صوراً مستمدة من الحياة ومنتزعة من الواقع • فانظروا إلى العالم كيف تتقاتل الأمم وتتطاحن • ومشى لؤم الحياة في الناس كما مشى آدم فيهم وحواء • ودعا شكسبير أن ينهض من مرقده حتى يهز بقلمه دولة الظلم ويحطم صروح الطغيان في أركان العالم • وقد سطر لهؤلاء الباغين صفحة سوداء هي العزاء الوحيد والبلسم الشافي الذي يخفف الآلام ويمسح أتراح البائسين اليائسين في خضم الحياة الرحيب •

ولم يكن أثر شكسبير قاصراً على شعر شوقي فحسب انما امتد إلى شعر حافظ فصور حافظ في إحدى قصائده الرائعة خنجر مكبث الذي يتراءى أمام بصره وهو ينتزعه من غمده في الليل البهيم فيتألق كاللهب ثم يحمله والرهبة تملأ جوانحه ليجهز على ضيفه الملك (دنكان) ليثل عرشه ويحتفظ بالملك لنفسه ويخضع الرعية لامرته • وللشاعر محمد المراوي • قصيدة أخرى في نفس هذا الموضوع نشرها بالهلال منذ سنوات ولنعد الآن إلى قصيدة حافظ •

صور حافظ خنجر مكبث تصويراً أدبياً ونفسياً خلاباً جذاباً وضع قصيدته في مصاف الشعر الرفيع • والقصيدة حلوة اللفظ جيدة الصوغ ماهرة الأسلوب استخدم فيها حافظ كل ملكاته الفنية ليسمو بها إلى فن شكسبير وجاء فيها •

كأني أرى في الليل نصلا مجردا   يطير بكلتا صفحتيه شرار
تقلبه للعين كف خفية   فنيه خفوق تارة وقرار
يماثل نصلي في صفاء فرنده   ويحكيه منه رونق وغرار
أراه فتدنيني إليه شراستي   فينأى وفي نفسي إليه أوار

وقد صور حافظ ابراهيم في هذه الأبيات الصراخ النفسي العنيف أو ما يطلق عليه وليم هازلت (الصراع الداخلي) Intérnal Conflict الذي يجيش في صدر بطل المسرحية . والفضل في ذلك بالطبع يرجع إلى شكسبير المصور الأول لهذا الصراع ولكن حافظ ابراهيم في الواقع وحقيقة الأمر كان موفقاً في النقل عن أمير شعراء الانجليز .

ويصل المشهد إلى الذروة وتعتري (مكبث) رغبة جارفة في تنفيذ ما اعتزم عليه فلا مفر من خيانة الضيف . ولا مفر من إسالة الدماء . ولا مفر من أن ينفذ جريمته سريعاً ثم يذهب ليطهر يديه من إثم هذا العار الشائن . فليس هذا الخنجر وهماً من الأوهام أو خيالاً من الخيالات انما هو المنقذ من الضلال والدافع إلى الانتصار .

فان لم تكن وهماً فكن خير مسعد   فاني وحيد والخطوب كثار
وكن لي دليلا في الظلام وهاديا   فليلي بهيم والطريق عثار
على الفتك (بدنكان) صحت عزيمتي   وان لم يكن بيني وبينك ثار

أما تأثر خليل مطران ثالث الشعراء الثلاثة شوقي وحافظ ومطران بشكسبير فقد تمثل في ترجمته الروائع المسرحية من جهة وفي الابداع في اظهار روح الدراما والتراجيديا في قصصه الشعرية من ناحية أخرى .

فلمطران بعض القصص الشعرية مثل قصة « وفاء » التي صور فيها مأساة فتاة عوادة وقصة العقاب التي جرت حوادثها في وادي النيل وقصة فنجان قهوة التي تمثل بعض مظاهر ظلم الملوك وطغيانهم وقصة الجنين الشهيد الفريدة النوع في الأدب العربي الحديث . ومطران لم يحسن هذا النوع من القصص الشعري ولم يحسن عرضه وتصوير مشاعر أشخاصه وأبطاله إلا لأنه ترجم روائع المسرح

الغربي وبعض مسرحيات شكسبير ولمس طرق الحبكة الفنية وصراع النوازع في الدراما . والتمهيد الذي يسبق المأساة في التراجيديا وما إلى ذلك .

ان فضل شكسبير على الأدب العربي فضل لا ينسى وأعتقد أنه سيظل فترة طويلة أخرى من الزمان وذلك بسبب الحركة المباركة التي قامت لترجمة آثاره الأدبية وان جاز لنا نصح في ختام هذا المقال فهو أن ندعو المترجمين إلى الترجمة من الأصل الانجليزي لا من الأصل الفرنسي حتى لا يتورطوا فيما تورط فيه خليل مطران والله أعلم .

الدكتور جمال الدين الرمادي

كتاب

الإبدال والمعاقبة والنظائر

تأليف

الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي

المتوفى سنة ٣٣٧ هـ

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لغةَ العرب سيّدةَ لغات العالمين . والصلاة على من اصطفاه ليكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍّ مبين .

أما بعد فإن كتاب الابدال الذي صنّفه أبو الطيب اللغوي والذي أتمّ نشره مجمعنا العلميّ العربيّ اليوم ، كان يقتضي صدقُ تحقيقه أن نطّلع على جميع ماألف أو كتب في الإبدال ، ومن كتبه (الابدال والمعاقبة والنظائر) لأبي القاسم عبد الرحمن الزجّاجيّ (— ٣٧٧ هـ) ، ومنه نسخة نادرة في الأستانة صوّرها معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة واستنسخها لي

مجمعنا العلمي لأستعين بها على تحقيق إبدال أبي الطيّب ، ولينشر بعد طبعه على أثره .

وفي مقدمة الجزء الأول من كتاب أبي الطيب تكلمنا على تاريخ الإبدال وفلسفته ومزاياه فلا حاجة بنا هنا إلى التكرار ؛ أما كتاب الإمام الزجاجي هذا ، فإنّ فيه على إيجازه من حروف الإبدال ما ليس في غيره ، ولقلّما أغنى كتاب عن كتاب ، وقد أفدتُ منه كثيراً ، واستعنتُ به في تحقيق إبدال شيخنا أبي الطيّب ، والحمد لله الملهم للخير والمعين عليه ، والموفّق للصّواب والهادي إليه .

حياته ونشأته الأولى

(– ٣٣٧ هـ = ٩٤٩ م)

إن أبا القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجّاجي هو النهاوندي (١) الصّيمري البغدادي (٢) ، والصّيمرة قرية من نهاوند بين بلاد الجبل وخوزستان وقد شارك العربُ بسكناهم فيها العجم ، واقتصر ابن عساكر في تاريخ دمشق على أنه من أهل بغداد (٣) ، ولو أن النسبة إلى بلد أعجمي تكفي في الدلالة على الأمة التي ينتمي الانسان إليها ، لكان الجلال القزويني وهو من بني عجل من الفُرس ، ولكان منهم صاحب الأغاني الأصفهاني الأموي وهو من صميم العرب .

(١) انباه الرواه ٢/١٦٠ ، ولأبي القاسم الزجاجي ترجمة مفصلة في كتاب (الزجاجي) للسيد مازن المبارك طبع بدمشق ١٣٧٩ هـ بعد أن نشر في مجلة المجمع العلمي العربي في المجلدين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٩/٤٣٢ .

(٣) الانباه ٢/١٦١ .

والزجّاجيُّ منسوب إلى أبي اسحاق ابرهيم بن السَّريّ الزَّجّاج الذي كان يصنع الزجاج لأنه تلقّى عنه العلم ولازمه وبه عُرف ؛ على أنه وُلد بالصَّيمرة ثم هاجر فتيّ لبغداد لطلب العلم ثم رحل إلى حلب وأقام بها مدةً ، ولعله التقى فيها بأبي الفتح ابن جني وبأبي الطيب اللغويّ والمتنبي وأضرابهم ، ثم انتقل من الشهباء إلى دمشق الفيحاء وأقام بها ودرّس في جامعها وصنّف كثيراً من كتبه فيها ، وأخذ عنه كثير من تلاميذه وانتفع به الناس ، وجاور زمناً بمكة المكرّمة ويدلنا على انه كان زمناً طويلاً قصةُ تأليفه كتابَ (الجُمَل) فقد كان إذا فرغ من باب منه طافَ به سبعَ مَرّات داعياً أن يَغفر الله له ، وأن ينفع بكتابه قارئه (١) ، ثم خرج مع ابن الحارث عامل الضياع الاخشيدية منتقلاً من دمشق إلى طبرية ، فألف ودرس بها إلى أن توفي فيها سنة ٣٣٧ ه على أصح الأقوال .

دراسته وشيوخه . — ذكرنا أن الصَّيمرة مَسقَط رأس الزّجاجيّ ، ومن المعقول والغالب أنه تعلم القراءة والكتابة فيها ، ومبادىء العربية والحساب ، وقليلاً من القرآن والحديث على نحو ما كان يُعلّم يومئذٍ في الكتاتيب ، وبعد أن تذوّقَ العلمَ استهوته بغداد بشهرة علمائها فشدّ الرّحال اليها ، وكان في طليعة من تلقّى العلم عنه ابراهيم بن السريّ الزجّاج تلميذ المبرّد ، وقد حدّثنا الزجّاجي ومن تحدّثوا عنه أن من شيوخه : محمد بن رستم الطبري غلام المازنيّ وأبا الحسن بن كيسان واحمد بن الحسن الخيّاط (— ٣٢٠ ه) الذي رافقهُ أبو علي الفارسي في الأخذ عنه ، وأبا العلاء احمد بن عبيد الله بن شُقير البغداديّ ، ومنهم محمد بن السريّ المعروف بابن السرّاج الذي رافقه في تلقي العلم عنه الفارسيّ والسيرافيّ والرّمّانيّ ، وأخذ عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (٢)

(١) الانباه ٢/١٦١ .
(٢) وجده هو الشاعر المطبوع ابراهيم بن العباس الصولي وقد صنع شعره وهو المنشور في طرائف أخينا الميمنيّ .

الذي رافقه في الاخذ عنه شيخنا أبو الطيب اللغوي ، واشتركا في التأليف في الإبدال .

وقد أملى الزجاجي وحدّث عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي (— ٣١٦ هـ) وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش شارح الكتاب ، وأبي بكر ابن دريد ، وأبي عبد الله نفطويه وأبي بكر ابن الانباري ، وأبي موسى الحامض ، وأبي عبد الله بن الحسين بن محمد الرازي ، وأبي الحسن ابن علي العتري وعبد الله بن هانيء النيسابوري ، وأضرابهم ، وفي كتابه هذا يقول في باب (الراء واللام) : وحدثني المازني ، فهو ممن أخذ منه أو روى عنه أيضاً .

تلاميذه . — وجلُّ تلاميذه المعروفين دمشقيّون ، أخذوا عنه النحو واللغة والأدب بقراءة كتبها عليه ، فقد روى عنه أحمد بن علي الحبّال الحلبي ، وأبو الحسن السيثي ، وعبد الرحمن بن أبي نصر ، وعبد الرحمن ابن عمر بن نصر وابو بكر احمد بن محمد بن سلمة (أوسلامة) بن شرام النحوي ، وابو علي بن علي السنلي ومحمد بن سابِقة النحوي وابو الحسن عليّ بن محمــد التيمي الانطاكي وابو يعقوب اسحاق بن احمد الطائي ، وابو القاسم جعفر بن قدامة الـكاتب (— ٣١٩ هـ) ، وسمع من الزجاجي كتابه الابدال والمعاقبة والنظائر عبد الله بن محمد بن حرب الخطّابي وهو من نحاة الكوفة ، وله من الكتب : النحو الكبير والنحو الصغير والمكتّم وعمود النحو .

سعة علمه . — كان أبو القاسم الزجاجي ممن عاش في القرنين الثالث والرابع زهو عصر نضج العلم فيه واستبحرت الحضارة الاسلامية ، يدل على ذلك من سردنا أسماءهم من اساتذة الزجاجي وتلامذته ، ومع أنه كان من أئمة النحو والعلم بالمذاهب النحوية ومن أنصار المذهب البصري كأستاذه الزجّاج تلميـــذ أبي العباس المبرّد ، لم يكن في جميع المسائل يتعصب

للبصرة ونحوها ، بل كان يتكوّف اذا رأى الحق كوفيّا ، وكثيراً ما خالف ابن السراج ، وهو من شراح الكتاب البصريين ، فقد أحاط علم الزجاجي بنحو البصرة والكوفة معاً وكان يحاكي البغداديين في المزج بين النحوين مزجَ الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه .

علمه باللغة . — ومع أنه كان من أئمة النحو ومصنّفَ الجُمل الذي له مائة وعشرون شرحاً ، كان علمه باللغة لا يقل عن علمه بالنحو ، فقد أخذ اللغة عن ابن دريد صاحب الجمهرة (— ٣٢١ هـ) وعن أبي موسى الحامض الذي خلف أبا العباس ثعلباً في الإملاء ، وكان من أوحد الناس في العربية واللغة والشعر ؛ كما أخذ عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (— ٣٣٥ هـ) شيخ أبي الطيّب اللغويّ ، ولعله اجتمع به ، وعن ابن السرّاج شيخ أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي والرماني وهو من شرّاح الكتاب ، ولا يقل سائر شيوخه عن هؤلاء علماً باللغة وأسرارها ، ويدلّ على علمه باللغة وولوعه بها كتبُ أماليه ولم يطبع منها غير الصغرى ، وكثير من أخبارها لا يبحث إلاّ عن اللغة ، وكتابه هذا (الابدال والمعاقبة والنظائر) يدلّ على اهتمامه باللّغة وفلسفتها ، ولعلّه ألّفه كالأمالي الصغرى للمبتدئين وألف من كتب الإبدال وسيطا وبسيطا ضاعا فيما ضاع أو تلفا فيما تلف من آثار وأسفار .

علمه بالحديث . — وكان ابو القاسم الزجاجي ممن اشتغل بعلم الحديث يدل على ذلك تردّد اسمه في الأسانيد المرويّة ، قال الحافظ ابن عساكر « وحدّث عن جماعة وأسند حديثاً كثيرا » وفي أخبار ابن عساكر كثيرا ما يتردّد اسم عبد الرحمن الزجّاجيّ في أسانيدها نذكر منها على سبيل المثال ما فيه تمجيد للعلم وأهله :

قرأت على أبي محمد السلميّ عن أبي محمد التميميّ انا علي بن محمد ابن طوق الطبرانيّ قراءة عليه بداريّا ، احمد بن علي الحلبي ، عبد الرحمن ابن

اسحاق الزجاجيّ محمد بن الحسن بن دريد ، أبو حاتم (السجستاني) عن الأصمعيّ : سمعت يونس بن حبيب يقول : سمعت رجلا ينشد :

استودعَ العلمَ قِرطاساً فضيّعه فبئسَ مستودَعُ العلمِ القراطيسُ

فقال (يونس) :

— قاتله الله ، ما أشدّ صيانته للعلم وصيانته للحفظ ! علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ومالكَ صيانتك بدنك .

علمه بالفقه . — والفقه من أوائل الدروس التي كان يتلقاها العلماء من أشياخهم . وكتاب الزجاجيّ (الإذكار بالمسائل الفقهية) وكلها في الطلاق مما يدلّ على علمه بالفقه ، وانه كان فقيهاً ونحوياً معاً . وقد جمعها السيوطيّ في الأشباه والنظائر ٤/٢٣٣ ، وهي مسائل استنبطها من كتب أشياخه ، أو سمعها منهم ، فأبو القاسم الزجاجي على ذلك اديب الفقهاء وفقيه الأدباء .

طباعه وأخلاقه . — منها أنه كان محبّاً للنظافة معنيّاً بهيأته ، حسن الشارة مليح البزّة [1] ، هذا وفيما ذكرناه من حياته دلالة على أنه كان مَنهوماً بالعلم والتعليم ، ومن حضنة علم النحو واللغة إذ كان يرجع النحويّ إليه في مشكلاته ، ويستصبح اللغوي بضوئه في معضلاته ، وكان الى ذلك على جانب من التقى والورع والعبادة رحمه الله ، فلقد نهج لنا في صيانة العلم والهيام به نهجاً يجدر بطالب العلم أن يحمل عليه نفسه ، فيستنّ في أدب الدرس بسنّته ، ويتحلّى في أدب النفس بحليته .

مكتبة الزجاجي . — من كتب تراثنا القديم التي تذكر آثار المؤلفين ، بغية الوعاة ، وإنباه الرواة ، أو كشف الظنون وتاريخ الادب العربي ونحوهما من كتب المتأخرين ، وفي مثل هذه الكتب كثير من أسماء

(١) ابن عساكر ٩/٤٣٣ .

الكتب التي صنفها الإمام الزجاجي منها ما طبع وما هو مخطوط وما هو مذكور ومفقود ، أما كتبه المطبوعة فأربعة هذا الكتاب خامسها ، وهي :

١ — **كتاب الجمل** . — ولعله أهم مصنفات أبي القاسم الزجاجي وأكثرها بركة ونفعا ، ففي إنباه الرواة (١٦١/٢) ذكر للجمل بأنه كتاب المصريين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني والإيضاح لأبي علي الفارسي ، وقد بلغ من ولع أهل المغرب به ان وضعوا عليه مائة وعشرين شرحا . وقد طبع بالجزائر سنة ١٩٢٦ م بتحقيق العلامة محمد بن أبي شنب عضو مجمعنا العلمي العربي . وأحسن شروحه (إصلاح الخلل الواقع في الجمل) للبطليوسي من مخطوطات الدار بخط مغربي وعدد أوراقه ٧٦ .

٢ — **الأمالي** . — وهي على طريقة المجالس العلمية دروس مختلفة كان الزجاجي يمليها على طلابه في التفسير والشعر واللغة والأخبار ، وكان من مصنفاته ما هو للمبتدئين ، وما هو للمتوسطين ، وما هو لأفاضل الطلاب ، فمن الأمالي : الصغرى والوسطى والكبرى ، ولعل الصغرى هي التي طبعت في مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

٣ — **الايضاح في علل النحو** . — نشرته بمصر دار العروبة سنة ١٣٧٨ هـ بتحقيق السيد مازن المبارك ، وقد عزم على نشر المكتبة الزجاجية وفقه الله .

٤ — **كتاب معاني الحروف** . — نسبه له ابن خير الاشبيلي في فهرسته ٣١٩ ، وذكره بركلمن باسم حروف المعاني ، وطبع بمصر سنة ١٣٢٥ ضمن مجموعة (الطرف الأدبية) .

٥ — الإبدال والمعاقبة والنظائر . — وهذا الإبدال أصغر حجماً من ابدال يعقوب ، ولعلّ المصنّف على عادته في التصنيف للمبتدئين والمتوسّطين والمتقدمين في طلب العلم ، قد ألف هذا الوجيز للمبتدئين بدرس الابدال ، وأضاعت وسيطه وبسيطه صروف الليال ، وقد شرعت مجلة مجمعنا العلمي العربي في نشره بتحقيقنا وفي طبع سليلة منه على عادتها في نشر رسائل السلف النادرة ،

ومن كتب الزجاجيّ المخطوطة أو المفقودة :

٦ — مختصر الزاهر . — والزاهر لأبي بكر بن الأنباريّ في معاني الكلام الذي يستعمله الناس ، ومنه مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٧ لغة عربية كتبت سنة ٦٢٠ هـ .

٧ — اشتقاق أسماء الله الحسنى . — ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٣ ش لغة .

٨ — كتاب اللامات . — جمع الزجاجيّ فيه مواقع اللامات في القرآن وكلام العرب ، ومنه مخطوطة في الأستانة ، صورتُها في معهد المخطوطات (فلم ٧٩٣) .

٩ — شرح كتاب الألف واللام للمازني . — أشار اليه صاحب عيون التواريخ وكشف الظنون .

١٠ — شرح مقدمة أدب الكاتب . — وهو شرح لخطبته المشهورة ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب القاهرية برقم ٣٩ ش أدب . وهي في ٥٠ ورقة .

١١ — المخترع في القوافي . — ذكره السيوطي في بغيته (٢٩٧) .

١٢ — كتاب الهجاء . — أشار الزجاجي اليه في باب الافعال المهموزة من الجمل وذكره بركلمن بين مؤلفاته .

١٣ — المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيها . — ذكره ابن خير في فهرسته ٣١٤ .

١٤ شرح رسالة سيبويه . — وهو شرح لمقدمة الكتاب أشار اليه الزجاجي في إيضاحه .

١٥ — الاذكار بالمسائل الفقهية . — أي مسائل النحو المتعلقة بالفقه وقد جمعها السيوطي في الأشباه والنظائر ٤/٢٣٣ ،

١٦ — غرائب مجالس النحويين — ذكرها السيوطي في الاشباه والنظائر ٣/١٧ ، وعدّها بركلمن بين كتب الزجاجي .

هذا ، وللمترجم مسائل متفرقة جمعها في كتاب بعث به الى أبي بكر الشيباني وقد سأله عنها في كتاب أرسله من طبرية الى دمشق ، وقد ذكر منها السيوطي في الاشباه والنظائر إحدى عشرة مسألة ، ومثلها مسائل واردة على البسملة وأجوبتها ، وقد ذكرها بروكلمن في كتابه ، فمكتبة أبي القاسم لم يبق وأسفاه منها غير ثمانية كتب طبع منها أربعة والخامس تحت الطبع وهو هذا الكتاب .

صفة نسخة الابدال المصورة . — ان مصورة هذا الكتاب مأخوذة من مخطوطة في استنبول من وقف السيد مصطفى رئيس الكتاب ورقمها ٨٧٩ ،

وقد صورت بساعي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وهي فيه برقم ٣٥٦ نحو ومنه صورة أخرى في مكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٢٩٦٧ ، وخاتمتها مبتورة ضاع بها اسم ناسخها وتاريخ نسخها الذي يرجع الى القرن العاشر ؟

وهذه النسخة المصورة مؤلفة من ثلاث عشرة صفحة ، مقياسها ١٢×١٨ سم ، ومسطرتها ٢٥ سطراً في كل سطر منها نحو ثماني كلمات ، وخطّها نسخي دقيق متوسط الجودة وغير تام الشكل وفيها من الأخطاء اللغوية والنحوية ما يدلّ على أن ناسخها كان ضعيفاً في علمه ولغته ، وهي الى ذلك غير جليّة التصوير ولا أقول اني عانيتُ في قراءتها وتقويم عبارتها ما عانيتُ ، فإن ذلك من فروض النشر لكتب العلم والأدب ، واليك أمثلة مما عثرت عليه من الأخطاء وهي المقيدة بالأقواس :

١ — (وقرأ الأعشى) ، والصواب الأعمش ، وليس بين العشْر أحد من القرّاء .

٢ — (يوم عَلّ وألّ وعليل وأليل) وصوابه بالكاف : يوم عكّ وأكّ وعكيك واكيك ، كما أثبتته كتب اللغة كلها .

٣ — (وأميدَ وأكيدَ عليه) والصواب : وأبِد عليه ؟

٤ — (ويروي بين الكَبْر ، والكَبْرُ الكَفُ) والكفُ بمعنى الصّرف والمنع وصوابه :الكَبْنُ بالنون المعجمة كما جاء في كتب اللغة . (تَخاري وطَخاري) لم يرد في اللسان وغيره إلا أتانٌ طخاريّة ، وليس فيها حمار .

٥ — طَخاري ، و (نخر) ليس لها ترجمة في المراجع المطبوعة ، وفيها ، ولعله الصواب : نخارير وطخارير جمع نخرور وطُخرور لغير الجَلْد من الرجال .

٦ — (أخسّ حقّه) والصواب : حظّه ، بالظاء المعجمة كما جاء في عبارة أبي الطيب اللغوي : أخس الله حظّه .

٧ — (كأن عينيه وماق إليّ العين) وهو شطر مكسور وصوابه الذي يصح معه الوزن : كأن عينيه وماقي العين ،

٨ — (وضالع تحت صلب قد نحتوا) وهو عجز بيت للبيد ، والصواب ... قد نحلْ .

٩ — (وهو الحلّ) وصوابه : الحلّ بالحاء المهملة ، وهو الشيرج (السيرج) .

١٠ — (أي لقيهم) وصوابه : أي لقّبهم كما أثبتنا ذلك في الحاشية .

١١ — (وجاءت بعيول السريعة) من عجز بيت للبيد بن ثور ، وصوابه ما جاء في ديوان حميد : وجاءت بعيوف الشريعة ، يريد قعباً تلبّد عليه الوسخ .

وذكرنا في فاتحة الكتاب ان كتاب حجة العرب أبي الطيب اللغوي هو عشرة أضعاف كتاب القلب والابدال لأبي يوسف ابن السكيت المؤلف من خمس وستين صفحة وأربعين باباً ، اما إبدال أبي القاسم الزجّاجيّ هذا فهو مؤلفٌ من ثلاث عشرة صفحةٌ ، ونحو أربعة وثلاثين باباً موجزاً ، ولعل أبا القاسم كان قد صنفه للمبتدئين الشُّداة ، فلقد حرص كل الحرص على الإيجاز ليسهّل على طالب اللغة المبتـــدىء حفظه ؛ ومن أجل ذلك حذف كثيراً من الشواهد ، واقتصرَ على حروف الإبدال نذكر على سبيل المثال هذين البدلَين أو النظيرين : (ظأبٌ وظأمٌ) في إبداله ، وفي إبدال أبي الطيّب اللغويّ ، وبالمقارنة يظهر الفرق بين الكتابين جليّاً ، قال الزجاجيُّ :

« ويقال هذا ظأبُه وَظأمُه : أيْ سَلِفُه زوجُ أخت امرأته »
وقال أبو الطيّب : « أبو زيد : سَمِعْتُ ظأبَ التَّيس وظأمَه : صَوتَه في هبابه قال الشاعر ، هو أوس بن حجر :

يتصور عنوقَها أحْوى زَنيمُ   له ظَأبٌ كما صَخِبَ الغريمُ

والظأبُ والظأم أيضاً سَلِفُ الرجل ، وهو المتزوّج اختَ امرأته يقال : تظاءبَ الرجلان وتظاءما : إذا تزوّجا أختين » (١) .

ومما يدلّ على قيمة هذه النسخة النادرة أنه قد سمع الأصلَ من المؤلّف أبو محمد عبد الله بن محمد بن حَرب الخطّابيّ النحويّ الكوفيّ الذي ذكرنا أن له من الكتب : النحو الكبير والنحو الصغير والمكتّم في النحو ، وعمود النحو (٢) ، فمصنف هذا الابدال وسامعه من أئمة النحو واللغة ، وقد رغب مجمعنا العلميّ العربي الى معهد إحياء المخطوطات في استنساخ صورة عنها رغبةً في نشرها ، ولأفيد منها خاصةً في تحقيق إبدال أبي الطيب الذي قام مجمعنا بنشر جزئه الثاني ، فلمجمعنا العلمي العربيّ الذي يحيي لنا بالنشر تُراث السلف ، ولمعهد المخطوطات الذي جمع لنا ذلك التراث وصانه طيب الثناء وخالص الدّعاء .

دمشق الجديدة في { ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ
٤ كانون الأول ١٩٦١ م }

وكتب محقّقه وشارحه
عز الدين بن أمين التنوخيّ
لطف الله به

★ ★ ★

(١) إبدال أبي الطيب (١/٤٣) .
(٢) بغية الوعاة ٢٨٧ .

كتاب
الإبدال والمعاقبة والنظائر

يُقالُ لِهٰذِهِ الحُرُوفِ (١) : الإِبْدالُ والمُعاقَبَةُ (٢) والنَّظائِرُ (٣) ،

(١) جمع حَرف وهو ذو معانٍ كثيرة منها الحرف من حروف الهجاء ، والحرف الاداة التي تسمى الرابطة كعن وعلى وحتّى ولعلّ ، وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك ، والحرف اللغة ومنه الحديث « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كاف » كما يُطلق الحرف على الكلمات من أسماء وأفعال ، ويُراد هنا بالحروف الكلمات والنظائر التي يقع بينها التبادل والتعاقب .

(٢) الإبدال بالكسر التبادل كالإعتقاب والتّعاقُب والمعاقبة والاعتقاب كلها بمعنى التداول ، وفي اللسان : المعاقبة في الزّحاف أن تحذف حرفا لثبات حرف ، والعرب تُعقب بين الفاء والثاء ، وتُعاقب مثلَ جَدَثٍ وجَدَف ؛ وأما الابدال بالفتح فجمع بَدَل كمثل وأمثال ويراد بها الحروف المتبادلة .

(٣) والنظائر جمع نظيرة ، وهي المِثْل والشّبه في الأشكال والكلام والاشياء كلها ، قال الاصمعي : عددتُ إبلَ فلان نَظائِرَ : أي مَثْنى مثنى ، وعلى ذلك تكون أزواجُ الكلام نظائرَ ، ونظائر الإبدال أشباهٌ وأشكال .

وَمِنْهَا مَا يَجُوزُ بَعْضُهُ مَكَانَ حَرْفٍ (١) وَاثْنَيْنِ (٢) وَثَلاثَةٍ (٣)، وَلَيْسَ كُلُّ الْحُرُوفِ كَذَلِكَ.

★ ★ ★

(١) أكثر ما يجيء التعاقب بين حرفين كالضّاد والطّاء في قضم وقطم. أو بين ثلاثة أحرف كمدّ ومتّ ومطّ، ولا يجيء الإبدال في الحرف الواحد إلا في ابدال تخفيف الهمزة في مثل سأل وسال فان الهمزة والألف كالحرف الواحد.

وهنالك تفسير آخر لوقوع الإبدال بين حرف واحدٍ من البدَلين نحو (خضَم وقضَم)، فقد جرى التعاقب في حرف واحد وهو الخاء قلبت قافاً من هذه الفعلين.

(٢) وقد يجري بين حرفين من البدَلين نحو (سَحَقَ وسَهَكَ)، فان الحاء بدل من الهاء وهما أختان، والقاف بدل من الكاف وهما أختان، وهو من مسوّغاتِ الابدال.

(٣) وقد يجري بين حروف ثلاثة في الكلمة الواحدة نحو (دَرَأَ وطَلَع) فان الدال والطاء متعاقبتان لانها نطعيتان، والرّاء واللام ذَلقيّتان واختان، والهمزة والعين أختان حلقيّتان؛ ومن علماء اللغة من يقول بهذا الإبدال الثنائيّ والثلاثيّ.

الواوُ والألِفُ والياءُ (*)

تَقُولُ : أَتَيْتُكَ مِنْ عَلاَ ومِنْ عَلُو ومِنْ عَلِي (١) قالَ الرّاجِزُ (٢) :

١ فَهِيَ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلا
نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجوازَ الفَلا

(*) مثال للابدال يقع بين الاحرف الثلاثة ، ويقال لها الجَوفيّة والهوائية .

(١) وفي مجالس ثعلب ٦٥٥ : ويقالُ : من عَلْوِ ومن عَلْوُ ومن عَلْوَ يا هذا ، ومن عالٍ ومن عَلا وأنشد (الشاهد) على روايته ؛ وقال ابن السكيت يقال : أتيته (من عَلُ) بضم اللام ، و (من عَلُو) بضمّ اللام وسكون الواو ، و (عَلِي) بياء ساكنة ، وأتيتُه (من عَلْوُ) بسكون اللام وضمّ الواو ، ومن عَلْوَ ومن عَلْوِ ، وقال الجوهري : اتيتُه (من عَلِ الدار) بكسر اللام : أي من عالٍ قال امرؤ القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معًا كجلمود صخرٍ حطّه السّيلُ من علِ

(٢) هو أبو النجم العجلي كما جاء في ل (علا) ، وعزاه ابن منظور في (نوشَ) لغَيلان ابن حُرَيث ، ورواه في (علا) : (باتت تنوش ...) وفي (نوش) : (فهي تنوش ...) وذكر البغداديّ في خزانته ٤/١٢٦ أن هذا الشطر من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعلم قائلها ، ونقل عن ابن بَرّي أن الراجز غيلان بن حُريث الرَّبَعيّ كما عزاه اللسان في (علا) . وأنه كان يصف إبلًا وردت الماء في فلاة ـــ

وقالَ أوْسٌ (١) :

٢ كَأَنَّ مِحَطًّا في يَدَيْ حارِثيَّةٍ صَناعٍ عَلَتْ مِنّي بِهِ الجِلْدَ مِنْ عَلُو

— فعانته وتناولته من أعلاه ، وجاء في ل (علا) وقوله (من علا) أي من فوقُ : يريد أنها عالية الاجسام طوال الاعناق ، وذلك النّوش الذي تناله هو الذي يعينها على قطع الفلوات .

أمّا النّحاة فإنهم يجيزون في (علا) ان يكون معرفة مبنياً ، او نكرة مُعرباً ، ويكون أصله على البناء (من عَلوُ) بالبناء على الضمّ كما يقال : (من قبلُ ومن بعدُ) ، وقلبوا الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ويكون أصله وهو معرب (من عَلوٍ) كما يقال : (من قبل) ، فقلبت الواو ألفاً لتحركها بالكسر ، وهذان الوجهان ذكرهما أبو علي الفارسي في تذكرته كما جاء في الخزانة البغدادية ٤/٢٦٢ .

(١) هو ابن حَجَر (ـ ٢ ق هـ — ٦٢٠ م) شاعر تميم في الجاهلية ، وله في ديوانه (٩٤ صادر) قصيدة على البحر والرّويّ ، وليس فيها هذا الشاهد ؛ وقد عزاه صاحب اللسان (حطط) الى النّمِر بن تولب مستشهداً للمِحَطّ بأنه حديدة يصقل بها الجلد حتى يبرق ، قلت ولا تزال هذه الاداة وهي خشبة بطول شبر وعرض ثلاث أصابع ، يستعملها السرّاجون بدمشق وبهذا الاسم (المحطّ) إلى يوم الناس هذا ، ويتخذونها لصقل الجلد ونقشه : مما يدلّ على مبلغ حيويّة هذه اللغة العربية العجيبة ، وهو ان تحتفظ أداة من أدواتها على أسمها الاصليّ حيناً من الدهر يقرب من أربعة عشر قرناً ، وأيّ لغة ليت شعري من لغات الارض تجاريها في مثل ذلك أو تدانيها ؟

ورواية القافية من هذا البيت في اللسان (من علِ) غير صحيحة —

وقالَ امْرُؤُ القَيْسِ :

٣ (مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ) حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

زِنْقِيرٌ وزِنْقارٌ وزُنْقُورٌ(١) ،

وزَأْبَرٌ وزِئْبِرٌ وزُؤْبُرٌ(٢) ،

لان الشاهد هو كما عزاه ابن المكرم للنمر بن تولب ، وهو في قصيدته في جمهرة الاشعار ١٠٩ ، وفي منتهى الطلب باستنبول رقم ١٠ في أحد واربعين بيتاً ، ومعظمها في الصناعتين طبع استنبول ١٢٦ وطبع مصر (محمد صبيح) ١٦١ ، وفي العيني ٢|٣٣٥ ، والسيوطي ٢١٤ والسمط ٥٣٣ ، ومطلع القصيدة في جمهرة الاشعار :

تأبّد من أطلال عمرة مأسلُ وقد أقفرت منها شراءٌ فيذبلُ

وقبل الشاهد :

لعمري لقد أنكرتُ نفسي ورابني مع الشيب أبدالي التي أتبدّلُ

فضول أراها في أديمي بعدما يكون كِفافَ اللحم أو هو أفضلُ

ثم يذكر فضول جلده وتغضّنه لهزاله بعد ضمور اللحم قائلاً :

كأن محطّاً في يديْ حارثية صناع علت مني به الجلدَ من علو

يودّ الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طولَ السلامة يفعلُ ؟!

(١) التهذيب في الرّباعيّ قالوا : الزِّنْقيرُ هو قُلامة الظُّفر ، ويقال له : الزِّنْجيرُ أيضاً وكلاهما دخيل ، ولم يذكر اللسان : الزنقار ولا الزُّنقور .

(٢) وأوردَ التهذيبُ في الثلاثيّ ابن السكّيت : هو زِئْبِر الثوب ، وقد قيل : زِئْبُر بضمّ الباء ، ولا يقال : زِئْبَر ، وهو ما يعلو الثوب الجديد من الخَمْل كالخز والقطيفة ، ومنه ازبئرار المرّ ؟ أبو زيد زئبر الثوب وزغبره ، والعامة تقول : زغبرة ، وليس في اللسان ولا القاموس والتاج من المعاجم المطبوعة زُؤْبُر بضم الزاي والباء .

ورَجُلٌ قاقٌ وقِيقٌ وقُوقٌ : أيْ طَوِيلٌ مُضْطَرِبٌ(١) ، وهُوَ يَوْجَلُ ويَاجَلُ ويَيْجَلُ(٢) ، ومِثْلُهُ يَوْحَلُ(٣) ويَيْجَعُ قَالَ الرَّاجِزُ(٤) :

٤ كَأَنَّما يَيْجَعُ عِرْقَيْ أَبْيَضِهْ

(١) والقاق والقوق أيضاً من طير الماء طويل العنق وأنشد) كأنك من بنات الماء قُوقُ) ، والقاق تطلقه عامتنا على ضرب من الغربان سمته بصوته كالقطا .

(٢) الجوهري (وجل) في المستقبل منه أربع لغات : يَوْجَلُ وياجَلُ وييْجَلُ وييِجَلُ ، فمن قال (ياجَل) جعل الواو ألفاً لفتحة ما قبلها ، وييِجل بالكسر لغة بني أسد ، فانهم يقولون أنا إيجل ونحن نيِجَل وأنت تيِجَل ، وهم لا يكسرون في (يَعلم) ، ويكسرون في ييِجل لتقوى إحدى الياءين بالاخرى ، والامر منه (إيجَلْ) صارت الواو من (إوْجَل) ياء لكسرة ما قبلها .

(٣) أي ومثل يوجَل يَوْحَل ويَوْجع ، الأزهري : ولغة قبيحة من يقول : وَجِع يَجَع ، ويقول : أنا أوجع رأسي ، ويَوْجعني رأسي ، ولمتمّم بن نُويرة :

(ولا تَنكئي جرح الفؤاد فَيِيجَعا)

(٤) هو هِمْيان بن قُحافة كما جاء في ل (بيض ، فيل) وفيه شطران والشاهد بينها وهما :

(قَرِيبة نُدوته من مَحْمَضِهْ) وبعده (وملتقى فائلِهِ وأُبْضِهْ)

ورواية اللسان للشاهد (.. عرقا أبيضه) قال الصاغاني : هكذا وقع في الصحاح (عرقا) والصواب (عرقي) بالنصب ، فرواية الزجاجي هي الصحيحة ، والعرقان هما الأبيضان في حالب البعير .

وقَدْ دَهَا (و) دَهِيَ ودَهُوَ[١] ،

وسَخَا وسَخِيَ وسَخُوَ[٢] ،

وتَرَكْتُهُمْ في حَاثَ بَاثَ ، وحَوْثَ بَوْثَ ، وحِيثَ بِيثَ :

الياءُ والواوُ يَجْرِيان بِمَا يُصِيبُهُمَا[٣] مِنَ الإِعْرَاب .

وهِيَ المُساءلَةُ والمُسايَلَةُ والمُساوَلَةُ[٤] في أحْرُفٍ كَثِيرَةٍ ،

---

(١) وفي اللسان : الدَّهْوُ والدَّهاء العقل ، وقد دَهِيَ فلان يَدْهى ويَدْهو فهو داهٍ من قوم دُهاة ، ودَهُوَ دهاءةً فهو دَهِيٌّ من قومٍ أَدْهِياء ودُهَواء ، ودَهِيَ دَهىً فهو دَهٍ من قومٍ دَهِين . وفي التهذيب يقال : دَهَوْتُه ودَهَيْتُه ، فهو مَدْهُوٌّ ومَدْهِيٌّ : نسبته الى الدهاء

(٢) السَّخاوة والسَّخاء الجود وقد سَخا يَسخا ويسخو سَخاءً ، وسَخِيَ يسخَى سخاً وسخْوةً ، وسَخُوَ يسخو سخاءً وسُخُوّاً وسخاوةً : أي صار سخياً .

(٣) وفي الأصل (بما يصيبها) ؟ الجوهريّ : تركتُهم حَوْثاً بوْثاً ، وحَوْثَ بَوْثَ ، وحيثَ بيثَ ، وحاثَ باثَ : إذا فرّقتهم وبدّدهم ، فأمّا (حاثِ باثِ) ، فإنه خُرّج مخرجَ قطامِ وحذامِ ؟ وأمّا (حِيثَ بِيثَ) فإنه أُخرجَ مخرجَ حِيصَ بِيصَ .

(٤) حكى أبو زيد : هما يتساوَلان ، وهو دليل على أنّ همزة (سألَ) واوٌ في الأصل على هذه اللغة ، وليس على بدل الهمزة ، ورجل سُوَلَةٌ على هذه اللغة سَؤول ، وحكى ابن جني سُوال وأسْوِلة ، ولصاحب مختار الصحاح كتاب اسمه (أسْوِلة القرآن) ، ومنه مخطوطتان إحداهما في مكتبة الخانقاه الأحمدية بالمدينة المنوّرة ، والأخرى في مكتبة الحرم المكّي : أفادنيه أخي الأستاذ سعيد الأفغاني .

والنَّجْوُ والنجا والنجْيُ (١) ،

والحَمْوُ والحَمَا والحَمُ (٢) ، وأنْشَدَ (٣) :

٥ واتَّخَذَتْ سَلْمَى حَماةً وحَما

وقالَ آخَر (٤) :

٦ وتَزْعُمُ أنِّي لهـا حَمُو

★ ★ ★

(١) النَّجْو والنَّجا اسم المَنْجُوّ ، وهو الجلد المسلوخ من قولك : نَجَوْتُ جلدَ البعير عنه : إذا سلخته ، ولم يذكر اللسان (النَّجْي) من نَجيتُ الجلدَ ، وإنما نقل عن الزجّاجيّ (النَّجا) ما سُلخ من الشاة أو البعير ، وفي اللسان من الابدال الثنائي النَّحْيُ بالكسر والنَّحا كفتًى : زِقُّ السَّمن ، وجاء النَّحْوُ والنَّحْيُ مصدرين يقال نَحا إليه بصَرَه ينحوه وينحاه صرفَه ، ونحيتُ بصري إليه صرفتُه .

(٢) وفي الاصل (والحِمَى) ، وجاء في الحَمْوِ أربعُ لغات : حَمًا مثل قَفًا ، وحَمو مثل أبو ، وحَمٌ مثل أبٍ ، وزاد الفرّاء حَمْءٌ ساكنة الميم مهموزة ، وحُكي عن الأصمعيّ : الأحماءُ من قِبَل الزوج ، والأختانُ من قِبَل المرأة .

(٣) ليس هذا الشطر في اللسان ، وقد استشهد به المصنف على أن (حمو) من الاسماء التي لا تكون الا مضافةً ، وقد تجيء في الشعر مفردة للضرورة كما في الشاهد .

(٤) وفي اللسان قال ابن بَرّي هو لعقيد ثقيف ، والواو في (حمو) للاطلاق وقبل الشطر الشاهد :

أيّها الجيرةُ اسلَموا وقِفوا كي تكلّموا
خرجت مُزْنَةٌ من البـ ـحر ريّا تَجمجمُ
هي ما كنّتي وتَزْ عم أني لهـا حَمُ

ومِمّا يَتعاقَبُ فِيهِ الوَاوُ والألِفُ

السُّكُوتُ والسُّكاتُ(١) ،

والصُّمُوتُ والصُّماتُ(٢) . وقالَ(٣) :

٧ إِذا مَا خِفْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَرِزْها ولا يَغْلِبْكَ فُوكَ عَلى السُّكاتِ

وأَخَذْتَ بِطُوفِ قَفاهُ ، وطَافَةِ قَفاهُ(٤) ،

وبِقُوفِ قَفاهُ ، وبِقافَةِ قَفاهُ : أيْ بِصُوفَةِ قَفاهُ(٥) .

---

(١) يقال : سكت سَكْتاً ، وسُكوتاً وسُكاتاً ، وأسكَتَ ؛ وبين السُّكوت والسُّكات فرق ، اللحياني يقال : تكلّم الرجل ثم سكت ، فاذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل : أسكَتَ ، قالوا : فإن طال سكوته من شَربة أو داء قيل : به سُكات .

(٢) ويقال : صمت صَمْتاً وصُموتاً ، وصُماتاً ، وأصمت : أطالَ السكوت ، والصُّماتُ كالسُّكات ، الجوهري عن أبي زيد : رميتُه بصُماته وبسُكاته أي بما صمتَ به وسكتَ .

(٣) البيت مُغفَل لم أعرف له قائلا .

(٤) وفي اللسان يقال : أخذهُ بطُوف رقبتِه وبطافِ رقبته مثل صوف رقبته .

(٥) قُوف الرقبة وقوفتها : الشعر السائل في نُقْرتها ؛ ابن الاعرابي خُذْ بقوفِ قَفاه وبقُوفة قَفاه وبقافته ، وبصوف قفاه وبصوفته اي خذ برقبته جمعاء وانشد الفراء :

نجوتَ بقوف نفسك غير أني إخال بأن سَيَيتم او تَئيمُ

أي نجوت بنفسك ، قال ابن بَرّي : اي سيتم ابنك وتئيم زوجك قال والبيت مُغفَل لا يُعرف قائله .

ومَا ذُقتُ عَلُوسًا ولا بَلُوسًا ، ولا عُلاسًا ولا بُلاسًا : أيْ مَا ذُقتُ شَيئًا[١] ،

وكانَ صَغْوُهُ وصَغاهُ مَعَكَ : أيْ مَيْلُهُ[٢] ،

ووِسادَةٌ وإِسادَةٌ ،

ووِكافٌ وإِكافٌ[٣] ،

ووَجْهٌ وأَجْهٌ ، ووُجوهٌ وأُجوهٌ[٤]

---

(١) العَلْسُ الأكل ، وقلما يُقال بغير حرف النفي ، وما ذاق عَلوساً ولا ألوساً : أيْ ذَواقاً ، وفي الصحاح : ولا لؤوساً ؛ وقال ابن هاني : ما أكلتُ اليوم عُلاساً ، وما عَلَّسوا ضيفهم بشيء اهـ . ولم نعثر في اللسان على (بلوساً ولا بُلاساً) ، وجاء في ترجمة (لوس) اللَّوْس الأكل القليل ، وما ذاق عنده لَوساً ولا لَواساً بالفتح أي : ذَواقاً ، واللُّواسة أقلُّ من اللُّقمة .

(٢) وفي ل (صغا) صغا اليه يَصْغَى ويَصْغو صَغْواً وصُغُوّاً وصَغاً : مالَ ، قال تعالى : « ولتَصغَى اليك أفئدة » أي : ولتميل ، ويقال : صَغْوهُ معكَ وصَغاه أي ميله معك ؛

(٣) وفي اللسان : والوُكاف والوِكاف والاكاف والإكاف للبعير والحمار والبغل وكان رؤبة ينشد (كالكَوْدَن المشدود بالوِكافِ) والجمع وُكُف وقال اللحياني : أوكفت البغل أوكفه ايكافاً ، وهي لغة أهل الحجاز ، وتميم تقول : آكفته أوكفه ايكافاً .

(٤) وحكى الفَرَّاء : حَيّ الوجوهَ وحَيّ الاجوهَ ، وقال ابن السكيت : ويفعلون ذلك كثيراً في الواو إذا انضمّت ، ولم يذكروا وَجْهاً وأجْهاً ؛ قلت بخلاف قول المصنف رحمه الله .

(وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) ووُقِّتَتْ[١] ،

وهذا وُشْكَانَ ذاكَ ، وأُشْكَانَ ذاكَ[٢] ،

وبَكَأَتِ النَّاقَةُ وبَكُؤَتْ : أي : قَلَّ لَبَنُها[٣] ،

وعُنْقُودٌ وعِنْقَادٌ وعُنْقَادٌ[٤] ،

وعُثْكُولٌ وعِثْكَالٌ وعُثْكَالٌ[٥] ،

★ ★ ★

(١) أي جُعِلَ لها وقت واحد للقضاء بين الأمة ، وقال الفرّاء بهمزها ، وهي في قراءة عبد الله : وُقِّتَتْ ؟ قالوا : وانما هُمِزت لأن الواو اذا كانت أوّلَ حرف وضُمَّت هُمِزت يقال : هذه أُجوهٌ حسان بالهمز لأن ضمة الواو ثقيلة ، و (أُقّتت) لغةٌ مثل وجوه وأجوه ، وهذا المثال هو الآية ١١ من سورة المرسلات .

(٢) وشكان : مثلثة الواو ، والنونُ مفتوحة في الوجوهِ الثلاثةِ ، كما قالوا : سُرعانَ ما يكون ذلك ، قلت : فهو اسم فعل ، وليس في اللسان أُشكان ، ولا في القاموس المحيط مادة (أشك) ، وفي (وشك) : ووُشْكُ الفراقِ ووَشكانُه ، ويضمان : سُرعته .

(٣) وفي لسان العرب : بَكَأَت الناقة والشاةُ (والبقرة) تَبْكَأُ بَكْئاً ، وبَكُؤَت تَبْكُؤُ بكاءةً وبكوءاً ، وهي بَكِيءٌ وبكيئة قلَّ لبنُها ، وقيل : انقطع .

(٤) ذكر اللسان العُنقود والعِنْقاد من النخل والعنب والأراك والبَطم ونحوها ولم يذكر العُنْقاد بضمّ العين .

(٥) وذكر العُثكولُ والعِثكال الشِّمْراخ ، وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكرم ، وقول الراجز (طويلةُ الأَقْناء والأَثاكِل) أراد العثاكل فقلب العينَ همزةً ، ويقال : إثْكال وأُثْكول ، ولم يذكر اللسان العُثكالَ بضمّ العين .

الألفُ والياء

الأذِينُ والأذانُ قالَ الرّاعِي [١] :

٨ فَلَمْ يَشْعُرْ بِضَوْءِ الصُّبْحِ حتّى   سَمِعْنا في مَساجِدِنا الأذِينا [٢]

وهٰذا فِي شِعْرٍ أَوَّلُهُ :

٩ أَبَتْ آياتُ حُبّي أَنْ تُبِينا   لَنا خَبَرًا فأَبْكَيْنَ الحَزِينا

وقالَ آخَرُ :

١٠ إِذَا جاءَ الأذِينُ فَأَنْبِهُونا   فإِنَّ النَّوْمَ قَدْ غَشَّى العُيُونا

---

(١) هو عُبيد بن حُصَيْن النُّميريّ أبو جَنْدل (— ٩٠ هـ) ، لُقِّب بالرّاعي لكثرة وصفه للإبلَ ، عاصر جريراً والفرزدقَ ، وهجاه جرير لأنه كان يفضّل خصمه عليه ، ومن شعره :

قتلوا ابنَ عفّان الخليفةَ محرماً   ودَعا فلم أرَ مثلَه مَخذولا
فتفرّقتْ من بعد ذاكَ عَصَاهمُ   شققاً ، وأصبح سيفهم مَفلولا

وترجمة الراعي في الأغاني ٢|١٦٨ ، وجمهرة أشعار العرب ١٧٢ ، وابن سلاّم ١١٧ ، وسمط اللآلي ٥٠ والتبريزي ١/١٤٦ ، والخزانة البغدادية ١/٥٠٤ ، والشعر والشعراء ١٥٦ ورغبة الآمل ١/١٤٦ ، ٣/١٤٤ و ٦/١٣٩ ، والأعلام ٤/٣٤٠ .

(٢) الأذينُ هنا يجوز أن يكون أذان الصلاة أو المؤذّن ، وبالمعنى الأول قول الراجز : (حتى إذا نوديَ بالأذين) ، وبالثاني قول الآخر : (إذا جاء الاذين ...) أي المؤذّن ، ومثله قول الحُصين بن بُكير الرّبَعيّ : (سَحقاً وما نادى أذينُ المَدَرَهْ) .

والنَّصِيحَةُ والنَّصاحَةُ (١) ،

وفَرَسٌ مِحْضِيرٌ ومِحْضارٌ (٢) ،

وكِيحُ الجَبَلِ وكاحُهُ ، وهُوَ نَاحِيَةٌ مِنْهُ مُشْرِفَةٌ عَلَى الهَوَاءِ (٣) .

والقِيرُ والقَارُ (٤) ،

والقِطْمِيرُ والقِطْمارُ (٥) ،

وقِنْطِيرٌ وقِنْطارٌ (٦) ،

---

(١) النُّصح نقيض الغش مشتق منه ، نصحه وله نصحًا ونصيحةً ونصاحة ، وهو باللاّم أفصح قال الله تعالى : وأنصح لكم .

(٢) وقال ابن المكرّم الذي نعتمد في الشروح عليه كثيراً : فرس محضير ومحضار بغير هاء للأنثى : إذا كان شديد الحُضْر ، وهو ارتفاع الفرس في عدوه ؛ الجوهري : ولا يُقال مِحضار ، وهو من النّوادر .

(٣) وقيل هما عُرض الجبل ، أو سَفحُه وناحيته ، والجمع أكياح وكيوح ، ولا يكون الكيح أو الكاح إلاّ من أصلب الحجارة وأخشنها .

(٤) القار والقير لغتان ، وبالياء لغة العراق ، وهو شيء أسود تطلى به الإبل من الجرب (القطران) والسفن (الزفت) يمنع الماء أن ينفذ إليها ، وصاحب القير قَيّار ، والقير هو الذي يقال له الأسفلت من الفرنسية Asphalte

(٥) القِطمير والقِطمار : شقّ النواة ، وفي الصحاح : القشرة الرقيقة التي على النواة بينها والنمرة يقال : ما أصبت منه قطميراً أي شيئًا .

(٦) لم يذكر اللسان غير قِنطار لِلعيار المعروف ، وقال : القنطِير والقِنْطِير بالكسر الدّاهية ، والقِنطر الدبسيّ من الطّير يمانية .

وجِرْجيرٌ وجِرْجارٌ (١) ،

ونِقْريسٌ ونِقْراسٌ (٢) ونِقْرِسٌ أيضًا ،

وخَاتَامٌ وخَيْتامٌ (٣) ، وفي بَعْضِ الآثارِ الخَاتَامُ يُجْزِىءُ مِنَ العِطافِ (٤) .

وأنْشَدَ (٥) :

١١ لَعَلَّ أبا سُلَيْمَى أنْ يَلِينا فَيُوعِدَنا بِخَيْتامِ الأميرِ

---

(١) في كتاب النبات : الجِرجِرُ بالكسر والجرجير نبتان ، قال أبو حنيفة : الجرجار عُشبة لها زهرة صفراء ، وفي معجم الالفاظ الزراعية لأخينا الامير الشهابيّ هو بقلة برّية يؤكل ورقها على شكل سلطة ، واسمها العلميّ : Eructa Sativa

(٢) النِّقرس والنِّقريس في اللسان : الداهية الفَطِنُ الحاذق يقال : طبيبٌ ودليلٌ نِقرِسٌ ونِقريسٌ ، ولم يرد فيه نِقراس ، والزجاجي ثقة يروي ابن المكرم عنه كثيراً .

(٣) الخَتْمُ والخاتَمَ والخاتامُ والخَيْتام من الحلي ، كأنه كان يختم به وبذلك يدخل في باب الطابَع ، ثم كثر في الحلي استعماله ، وأنشد ابن برّي :

يا هندُ ذاتَ الجَوربِ المنشقّ أخذتِ خيتامي بغيرِ حقّ

ويروى خاتامي .

(٤) العِطافُ والمِعْطَف : الثوبُ يتعطّفه الإنسانُ ويرتدي به كالرّداء والطّيلسان .

(٥) ولم يرو اللسان غير عجزه بدون عَزْو : (أتوعدنا بخيتام الامير)

ورَجُلٌ زُمَّيْلٌ وزُمَّالٌ وزُمَيْلٌ (١) : أيْ نَذْلٌ عَاجِــزٌ مُتَزَمِّلٌ كَسِلٌ ،

ومُخٌّ رِيرٌ ورَارٌ ورَيْرٌ (٢) :

أَقولُ بِالخَبْتِ فُوَيْقَ الدَّيْرِ (٣) ١٢

والعَضْلُ مِنّي بَادِياتُ الرِّيرِ

---

(١) جاء في اللسان : الزِّملُ الكسلان ، والزُّمَلُ والزُّمَّلُ والزُّمَّيْل والزُّمَّيْلة والزُّمَّال بمعنى الضعيف الجبان الرَّذْل قال أُحيحة :

ولا وأبيكِ ما يُغني غَنائي من الفتيان زُمَّيلٌ كَسولُ

وقول المصنف (متزمّل) يدل على أنه مشتق من التزمّل ،

(٢) وفيه مخٌّ رارٌ ورَيْرٌ ورِيرٌ : ذائبٌ فاسد من الهُزال ، وقال اللحياني الرِّير : الذي كان شحمًا ثم صار ماء أسود رقيقًا قال الراجز :

أقولُ بالسَّبْتِ فُويقَ الدَّيْرِ إذْ أنا مَغلوبٌ قليلُ الغَيْرِ

والسَّاق مني باديات الرَّيْرِ

أي أنا ظاهر الهُزال لانه دقّ عظمه ورقّ جلده فظهر مخه ؛ وإنما قال (باديات) والساق واحدة لانه أراد الساقين والتثنية يجوز ان يخبر بها عن الجمع : لانه جمع واحد الى آخر ، ويُروى (باردات) .

(٣) رواه اللحيانيّ ، وروايته (أقول بالسبت ...) بدل (بالخبت) .

وقالتِ الخنساءُ (١) :

١٣ فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ قَدْ عَضَّهَا الثُّكْلُ حَتَّى مُخُّها رَارُ

والعَيْبُ والعابُ (٢) وأنشَدَ (٣) :

---

(١) وجاء في الاصل قبل (وقالت الخنساء) : « السيرا شيء كمثل السير » ، وقد قلّبنا ما لدينا من المعاجم فلم نعثر على ما يدخل هـذا القول في باب (الالف والياء) . ورواية الديوان ص ٤٨ (ط صادر) :

وما عجول على بوٍّ تُطيف به لها حنينان إعلانٌ وإسرارُ

وليس في الديوان عجز الشاهد ، وكنا ظننّاه ملفّقا .

وفي أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء (ط بيروت) يروى عجز الشاهد (لها حنينان إصغار وإكبارُ) ،

(٢) وفي ابدال أبي الطيّب : ويقال : ما عليك في هذا عيبٌ ولا عاب ، وقال ابن سيده : العاب والعيب والعيبة : الوصمة ، قال سيبويه : أمالوا (العاب) تشبيها له بألف رمى لانها منقلبة عن ياء ، وهو نادر ، والجمع أعياب وعيوب .

(٣) أنشده أبو زيد في نوادره (٢) ، وابو علي في أماليه (٢٧٩/٢) لضَمْرة بن ضَمرة وهو ابن جابر بن قطن بن نهشل ابن دارم شاعر جاهليّ ، ومن ولده نهشل بن حَرّيّ الشاعر ، وأبيات ضمرة في الامالي خمسة يظهر بإيرادها اختلافٌ في رواية الشاهد وهي :

بكرت تلومك بعد وَهنٍ في النّدى بَسْلٌ عليكِ ملامتي وعتابي

ولقد علمتُ فلا تظنّي غيرَهُ أن سوف تخلجني سبيلُ صحابي

أَأَصُرُّها وبنيُّ عمي ساغبٌ فكفاكِ من إبةٍ عليّ وعابِ

١٤ أرأيتَ إنْ بَكَرَتْ عليَّ مَنيّتي ... وخَرَجتُ منها عارياً أثوابي[١]

هَلْ تَخْمِشَنْ إبلي عليَّ وُجوهَها ... أوْ تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَها بسِلابِ[٢]

ويُرْوَى : (أوْ تَخْرِقَنَّ نُحُورَها بجِرابِ)

أأصُرُّها وبُنَيُّ عَمّي سَاغِبٌ ... وكَفاكَ مِنْ إبَةٍ عليَّ وعابِ[٣]

ويُرْوَى :

(إنْ لمْ أصُنْ عِرْضي بها ضَيَّعْتُها ... وكَفاكَ . . . . . .)

والإبَةُ : أشَدُّ العَارِ .

— أرأيتِ إن صَرَخت بليلٍ هامتي ... وخرجتُ منها باليًا اثوابي

هل تخمشن إبلي عليّ وجوهها ... ام تعصبنّ رؤوسها بسلابِ !

(١) وقوله (عاريا أثوابي) وفي الامالي (باليا اثوابي) يريد بها أكفانه .

(٢) السّلاب بكسر السين : ثياب سود تلبسها النساء في المأتم ، واحدتها سَلَبَةٌ .

(٣) وفي الاصل (وعار) من سهو الناسخ ومن عادة العرب ان تَصُرَّ ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المرعى ، ويسمون رباطَ الصّرّ صِراراً . والواو قبل (وبَنيُّ) للحال و (الساغب) الجائع ، والسَّغَبُ الجوع مع التعب ، و (الإبَة) الهاءُ فيها عوض عن واو (الوَأب) مصدر وَأبَ منه يَئِب خَزِيَ ، كالوَعد والعِدَة ، فالإبة هي العيب وأشدّ العار .

وُيُقالُ : إِنَّهُ لَزَارُ شَرٍّ وزِيرُ شَرٍّ : أيْ صَاحِبُ شَرٍّ [١] ،
ومِنْهُ هَزَأْتُ مِنْهُ وهَزِيتُ مِنْهُ [٢] ،
ورَزَأْتُهُ ورَزَيْتُهُ [٣] ،
وبَدَأْتُ بِهِ وبَدِيتُ بِهِ [٤] ،
وبَهَأْتُ بِهِ وبَهِيتُ بِهِ : أيْ مَرِنْتُ عَلَيْهِ [٥] .

---

(١) ليس في اللسان غير (الزِّير) يقال : فلان زيرُ نساءٍ إذا كان يحب زيارتهنّ وليس فيه (زار شر) ولا زار نساءٍ ، ولعل (زار) أصله زائر كهارٍ وهائر وشاك السلاح وشائك .

(٢) وقالوا : استهزأت به واستهزَيت ؛ قال الزجّاج في قوله تعالى : « إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزىء بهم » : القراءة الجيدة على التحقيق أي على تحقيق الهمزة واثباتها وقرىء (مستهزون ويستهزي بهم) وهي قراءة ضعيفة شاذة .

(٣) وفي الحديث : « لولا ان الله لا يحبّ ضلالةَ العمل ما رَزَيناك عِقالاً » قال ابن الاثير : والاصل الهمز ، وقال ابو زيد يقال : (رُزِئته) إذا أخِذ منكَ لا رُزيته ،

(٤) وفي اللسان : وبديت بالشيء قدمته (وابتدأت به) وهي لغة أنصاريّة ،

(٥) يقال : بهأَ به يَبْهأُ ، وبَهِيء وبهؤَ بَهْئاً وبهاءاً : أنِسَ به ، وليس في اللسان (بهيت به) الا إن كانت على سبيل التسهيل ؛ وبمعنى (مرنت عليه) وهو المران يتم الأنسُ بالشيء ؛ وأمّا قولهم : بَهِيَ الرجل يبهى فهو من البهاء بمعنى الحسن ؛ ومنه ابتهى الرجل بكذا يَبتهي ابتهاءاً : أي افتخر ، ومن معجمات الأساس : كيف تباهيه ولا تضاهيه !

(★ ع) ومن فائت هذا الباب : البداءة والبديئة والبداهة والبديهة ، والهاء بدل من الهمزة ، وعن الفرّاء : وجأته ووجَيته وِجاء ، والوَجي الخصي .

وَسَأَتْ بِهِ وَسِئَتْ بِهِ مِثْلُ ذَلِكَ[١]،

وقصارَكَ أَنْ تَفْعَلَ كذا، وقُصَيْرَاكَ أَنْ تَفْعَلَ: أيْ آخِرُ أَمْرِكَ[٢]. والقَصْرُ آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ[٣]، وقالَ الأَفْوَهُ[٤]:

لوْ لَمْ تَخُنَّا الرِّيحُ فِيهِ عَشِيَّةً قَصْرَ النَّهارِ غَدَتْ مَعَدٌّ بِالآبِي

(١) ساءَ يسوء فعل لازم متعدٍّ ؛ تقول في اللازم ساء الشيء سَوْءاً فهو سَيِّىء اذا قَبُح ، وساءه يسوءه سَوْءاً فعل به ما يكره ، والاسم السُّوء بالضمّ ؛ وتقول : ساءت به حالتُه ، وسِيئت به حالته ، فحالتُه في المثال الأول فاعل من ساء اللازم ، وفي الثاني نائب فاعل من ساءَ المتعدّي ، وعليه قوله عزّ وجلّ : « فلمّا رأوه زُلفةً سِيئت وجوهُ الذين كفروا » .

(٢) ابن سيده يقال : قَصْرُك وقصارك (بالضمّ والفتح) وقُصَيراكَ وقصاراكَ أن تفعل كذا : أيْ جهدك وآخر أمركَ وما اقتصرت عليه ، وكان الأصل : (قُصاركَ وقُصَيراكَ) والصواب (قصاراك) لتكون ياء قصيراك مِن ألف قُصاراك بدلا .

(٣) تقول : أتيته قَصْرا أي عشيًّا وهو آخر النهار .

(٤) هو الأوْديّ ، ولم نفهم معنى العجز لأنا لم نعثر على هذا الشاهد في ديوانه (الطرائف الأدبية) للعلاّمة الميمنيّ ، والأفوه الأوديّ هو صَلاءة بن عمرو ... ابن أَوْد بن الصَّعب بن سَعد العشيرة من مَذْحِج ، يكنى أبا ربيعة ؛ وروى الأصفهاني عن الكلبيّ قال : الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، والعرب تعدّه من حكمائها ، وتعدّ كلمته (لا يصلح الناس فوضى ...) من حكمة العرب وآدابها . انظر الشعر والشعراء ٥٩ ، وسمط اللآلي ٣٦٥ وشعراء الجاهلية (النصرانية) ٧٠ .

وقالَ الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ(١) :

١٦ أنِسَتْ نَبْأَةً وأَفزَعَها القَنّا صُ قصرًا ، وقد دَنا الإمساءُ

والقُصَيْرَى(٢) : آخِرُ الأضلاعِ سُمِّيَتْ لِتَأَخُّرِها ،

ولي قِبَلَهُ ظُلامَةٌ وظَلِيمَةٌ(٣) .

★ ★ ★

الوَاوُ والياءُ

ومِنَ الواوِ والياءِ : رَجُلٌ سُبْرُوتٌ وسِبْرِيتٌ : أيْ لا شَيْءَ لَهُ(٤) ؛

(١) اليشكريّ وجدّه يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، والشاهد هو البيت الحادي عشر من معلقته المرزية ، وضمير (أنست) يعود إلى النعامة أمّ الرئال في البيت السابق ، ورواية الخطيب والزّوزني (عصْراً) ، ومعنى الشاهد لا يخفى .

(٢) وهي في اللسان أسفل الأضلاع ، وفي التهذيب : الضلع التي تلي الشاكلةَ بين الجنب والبطن .

(٣) وفي اللسان : والظُّلامة والظَّليمةُ والمَظْلَمة ما تطلبه عند الظالم .

(٤) السُّبروت : الشيء القليل ، والمحتاج المُفلس ، والأرض القَفْر ، يقال : سُبروت وسِبريْت ، وامرأة سُبروتة وسِبريتة من رجال ونساء سباريت أي لا شيء لهم ، وارض سُبْروت وسِبريت وسِبْرات : لا نباتَ بها .

وزُنْبُورٌ وزِنْبِيرٌ[١] ،

وقَوْلَةٌ وقِيلَةٌ ،

وصَوَّاغٌ وصَيَّاغٌ[٢] ،

وصَدُوحُ الصَّوْتِ وصَدِيحٌ أيْ : شَدِيدٌ[٣] ،

ويُقالُ : أَخَذَ بِأُخْذُوِهِ وإِخْذِيِّهِ[٤] ،

ولقِيتُهُ عِنْدَ تَيْفاقِ الهِلالِ وتَوْفاقِهِ : أيْ وَقْتُهُ الَّذِي طَلَعَ فِيهِ[٥] ،

---

(١) الجوهري : الزّنبور : الدّبْر وهو ضَرب الذباب لسّاع ، والزّنبار لغة فيه ، حكاها ابن السكيت ، وأرض مَزْبَرة كثيرة الزنابير ؛ وليس الزنبور حسب التصنيف الحديث من الذّباب الثنائيّ الجناح ، وإنما هو من رتبة غشائيّات الجناح Vespidés .

(٢) ابن جنّي : وانما قالوا (صُيّاغ) لانهم كرهوا التقاء الواوين لا سيا فيما كثر استعماله .

(٣) ذكر ابن المكرّم في لسانه صَدْاحاً وصَدوحاً وصَيْدحاً ومصدحاً ولم يذكر صديحاً .

(٤) وفي اللسان : ذهب بنو فلان ومن أخَذَ إخْذَهم وأَخْذَهم : أي ومن سار سيرهم ، وليس فيه ولا قاموس (أخذوّه وأخذيّه) .

(٥) وفي الأصل (لقيتُ) وجاء في اللسان : أتانا لِوَفْق الهلال ولميفاقه وتوفيقه وتيفاقه وتوفاقه أي لطلوعه ووفقه معناه : أتانا حين طلوع الهلال .

وحاجَةٌ عَوْصَاءُ وعَيْصاءُ : أيْ شَدِيدَةٌ[١] ،

وَمَا يَضِيرُكَ مِنْ ذاكَ ومَا يَضُورُكَ[٢] ؟

ومَاءٌ شَرِيبٌ وشَرُوبٌ[٣] ،

وهُوَ بِلْيُ شَرٍّ وبِلْوُ شَرٍّ[٤] ،

وقَلَنْسُوَةٌ وقَلَنْسِيَةٌ[٥] ،

(١) وفي لسان العرب : والعَوْصاءُ والعَيْصاءُ على المعاقبة جميعاً : الشدة والحاجة وأنشد ابن بَرّي :

(غير أن الأيام يفجعن بالمر ء وفيها العَوصاءُ والميسورُ)

(٢) يقال : ضاره الأمرُ يضوره ويَضيره ضَوْراً وضَيْراً أي ضَرّه .

(٣) أبو زيد : الشَّريبُ الذي ليس فيه عُذوبة وقد يُشْرَبُ ، والشَّروبُ دونه عُذوبة ، وقيل العكس أي ما يمكن شربه ، وبالفرنسية Potable ، ولجنة المصطلحات العلمية في العهد الفيصلي ، وكنت من أعضائها ، هي أول من وضعت وزن فَعول كشروب لكل ذي قابلية ينتهي اسمه في الفرنسية بالكاسعة Able و Ible ووضعت وزن فُعولة لمصدر القابلية ، فالشُّروبة Potabilité .

(٤) وفي اللسان : ورجل بِلْوُ شرّ وبِلْيُ خَيْر : أي قويّ عليه مبتلىً به ، ويقال للراعي الحسن الرِّعية : إنه لَبِلْوٌ أو بِلْيٌ من أبلائها .

(٥) وفيه : القَلَنْسُوة والقَلَنْساة ، والقلنوة والقَلَنْسية والقَلَنْساة والقلنيسة من ملابس الرؤوس ج قلانس وقلاس وقلنس .

وحَيْثُ وحَوْثُ[1] ،

وعُنْوانٌ وعِنْيانٌ وعُلْوانٌ[2] ،

والعِدْيَةُ والعُدْوَةُ القُصْوَى[3] ويَجُوزُ القُصْيَا ، ومِثْلُهُ الدُّنْيا[4] ،

وفَتْوَى وفُتْيا[5] ،

(١) وفيه : حَوْثُ لغة في حَيْثُ ؛ الازهريّ : حَيْث وحَوْث لغتان جيدتان ، والقرآن نزل بالياء ، وهي أفصح اللغتين .

(٢) الليث : العُلوان لغة في العُنْوان غير جيّده ، والعُنْوان بالضم هي اللغة الفصيحة ، وقد يكسر فيقال عِنْوان وعِنْيان ، قال الفرّاء : هو عُنوان الكتاب وعُلْوان الكتاب ، (إذا كان باللام فبالضمّ لا غيرُ ، ابدال يعقوب ٨) .

(٣) العُدْوة مثلثة العين ، والضمّ لغة القرآن : « إذ انتم بالعُدوة الدنيا . وهم بالعُدوة القُصْوَى . » ؛ الفرّاء : العُدوة شاطىء الوادي ، والجمع عُدَى وبالكسر عِدَى ، قال ابن بَرّي قال الجوهري : الجمع عِدَيات ، وصوابه عِدَوات ، وليس في اللسان (عِدْية) ، فلعل (العِدَيات) في قول الجوهري هي جمع لها .

(٤) القُصْوَي والقُصْيا تأنيث الأقصَى ، وهي الغاية البعيدة قلبت فيه الواو ياءً لأن (فُعْلَى) إذا كانت اسمًا من ذوات الواو أُبدلت واوه ياءً كما أبدلت الواو مكان الياء في (فَعْلَى) فأدخلوها عليها في فُعلى ليتكافأ التعبير .

(٥) الفُتْيا والفَتْوَي : ما أفتى به الفقيه ، والفتح في الفَتوى لأهل المدينة .

وَثَنْوَى وثُنْيا (١) ،

وحَثَوْتُ التّرابَ وحَثَيْتُهُ (٢) ،

وحَنَوْتُ العُودَ وحَنَيْتُهُ (٣) ،

وصَغَوْتُ وصَغَيْتُ : أيْ مِلْتُ (٤) ،

ودَحَوْتُ بالشَّيْ ودَحَيْتُ : أيْ رَمَيْتُ بِهِ (٥) ،

(يتبع) عز الدين التنوخي

(١) الثَّنْوَى بالفتح والثُّنْيا بالضم اسم من الاستثناء المنهي عنه في البيع ، وذلك بأن يستثنى منه شيء مجهول فيفسد البيع ، وهو أن يباع الجزورُ جزافاً ، فلا يجوز ان يُستثنى منه شيء كان مجهولاً كالرأس والاطراف ، وكان في الجاهلية جائزا .

(٢) يقال : حثاه حَثْواً وَحَثْياً وتَحثاهٌ أي حثا في وجهه التراب : اذا رماه به ، وحَثَا له : أعطاه يسيراً ، ولغة الياء أعلى .

(٣) يقال : حَنَوته حَنْواً وحنيته حَنْياً : عطفته ، وحنا يده لرّاها ، وحنوت عليه عطفت ، والواو أعرف .

(★ع) وفات المصنف من مادة (حنا) مَحْنُوة الوادي ومَحْنِيته: منعرجه.

(٤) شَمِر : صَغَوْت وصَغَيت وصَغِيت ، وأكثره صغيتُ ، إلى الشيء إذا مِلْتَ صَغْواً وصُغُوّاً وصُغِيّاً قال تعالى : « ولتصغى اليه أفئدة ... » أي ولتميل .

(٥) ابن الأعرابيّ يقال : هو يَدحو بالحجر بيده : أي يرمي بِهِ ويدفعه ، وقد دحا به يدحو دَحْواً ، ودَحَى يَدْحَى دَحْياً ، ودَحا المطرُ الحَصَى عن وجه الأرض دَحواً : نَزَعَه ؛ والدَّحوُ : رميُ اللاّعب بالحجر والجَوزِ وغيره .

التعريف والنقد

حياة شيخ الاسلام ابن تيمية (١)

تأليف الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار — في (٢٢٣) صفحة من القطع الوسط
ومن منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر دمشق ١٩٦١

كلنا يعلم أن عصر الامام ابن تيمية كان عصر اضطراب سياسي ، وقد كثر في أيامه دعاة التدين والصلاح ، وكثر المقربون من الملوك والحكام ، كما كثر المنافقون وأهل الرياء ، وقلّ أهل الصدق والاصلاح ...

وكلنا يعلم ما كان من انحراف سواد العامة عن فهم روح الاسلام الصحيح ومنهاجه القويم ، وما كان لهذا الانحراف من تأثير في اخلاق المجتمع وتصرفات ذوي الجاه والنفوذ والمقربين .

وكلنا يعلم ما في عصرنا الحاضر عصر المادة والذرة والصواريخ من ابتعاد عن الاشتغال في أمور الدين ، وأمور الروح وما بعد الطبيعة ، وما هم عليه ابناء الحاضر من علم ، وبحث وشك ، وحيرة ، وسعي لمعرفة الحقيقة .

ولهذه الأسباب نعترف ويعترف من اطلع على التاريخ الاسلامي وما كان لأئمة الاسلام وعلمائه من فضل وجهد في الدفاع عن الحق وعن المنهاج الحق ، وقد أحسن المؤلف كل الاحسان بسرد حياة ابن تيمية علامة عصره ، وبيان ماجرى له في أيام جهاده من مقاومة واضطهاد ، وشرحه لإرشاده القويم الداعي لاتباع هدي القرآن وسنة الرسول ، ودفاعه عن العقيدة السلفية ، وهو المحدث السلفي

(١) كتب العالم الجليل عضو المجمع العلمي العربي بدمشق الدكتور عبد الرحمن الكيالي كتاباً خاصاً الى الأستاذ محمد بهجة البيطار عضو المجمع بمناسبة إصداره مؤلفه القيم عن « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » وقد رأت لجنة المجلة اقتطاف هذا البحث لما فيه من آراء قيمة وأفكار علمية مفيدة .

الاصولي ، واثباته ان الدين الاسلامي لا يخرج في عقائده عن مدركات العقل السليم ، ولا في أحكامه الدنيوية عن صالح العباد وسعادتهم في الدارين .

وان هذا الامام ومن أخذ عنهم من الأئمة والصحابة والتابعين وروى ، ورثوا العقيدة الدينية كما أبانها وفسرها القرآن ، لان آياته تفسر بعضها بعضاً ، وكما أبانها وفسرها الحديث المتواتر الصحيح لانه عماد السنة وسياج الشريعة .

أما سطور الكتاب التي كشفت عما لاقاه ابن تيمية في حياته وأثناء تدريسه من سجن واتهام وحسد وكيد ، ووصفت كيف ثبت وتحمل ، وصبر بإيمان لا يتزعزع ، ودون أن تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا شك ، ترشد القارىء إلى المثل الأعلى الذي تمثل في شخصية هذا المسلم الفذ والمفكر العبقري ، وفي تعاليمه وعلمه وشجاعته ، وتبين لنا ما هي القضايا التي أثارها المغرضون حول تعاليمه وأقواله واتهمه الجاهلون بها في عقيدته وإيمانه ، ثم دافع عنها بشجاعة وصراحة ، كقضية الصفات والاتحاد ، ومسألة الحلف والطلاق ، ومسألة شد الرحال إلى قبور الانبياء والصالحين .

ومما يحمد عليه المؤلف نقده العلمي الذي أبطل ما ادعاه ابن بطوطة في رحلته وهو في دمشق من قوله بأن ابن تيمية كان يقول بالتجسيم مع أن هذا يخالف ما أوضحه الامام في كتبه ، ويحمد أيضاً على المحاضرات التي دفع بها الفرية التي ألحقها الخصوم به ، اذ كان الاتهام والافتراء والطعن في دين المؤمن ديدن الحاسدين المنافقين ، ذهب ضحيتها الامام ومثله كثير من رجال العلم والفكر والفلسفة والتصوف في مختلف العصور وفي عهد الانحطاط والجمود الفكري بين المسلمين .

ويحمد أيضاً على دفاعه بايراد النصوص التي ذكرها العلماء لبيان حقيقة أقوال الامام وقصده منها . وعلى بحثه الدقيق الذي كشف القناع وأزال آثار الشك والابهام التي أثارها الخصوم وخاصة فيما قصده الشارع من الطلاق وهو أكره الحلال عند الله ، ومقارنته اياه بما يقصده الغربيون من طلاقهم وما جاء في الاسلام من شروط الوقوع .

وعلاوة على هذا وزيادة بالفائدة فقد ذكر المؤلف ما جاء في كتب الامام عن حقيقة التوسل وان يجب التوسل وما هو المطلوب في الدعاء ومن يحرم له التوسّلُ وكيف تتم وحدة الاديان حسب النصوص الواردة في القرآن والكتب السماوية الاخرى . واختصاره ما ورد في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) عن معنى (الأب والابن وروح القدس) كما يفهم من التوراة والانجيل ، وبين ما اتفقت عليه الكتب المقدسة من الاصول العامة وهي مما يُزيل الاشكال ، وكان ضروريا للاقناع .

وفي كتابه عن (موضوع العقل عند ابن تيمية) أشار المؤلف إلى الكتب التي ألفها في هذا الشأن وقال أن اهمها كتابه (موافقة المعقول لصحيح المنقول) ومداره الرد على الفلاسفة والمتكلمين ، ونقض أقوالهم وقواعدهم التي لا يؤيدها العقل السليم ولا الفطرة السليمة ، فبرهن على أهميه ما تناوله كتاب المؤلف من المباحث التي يجب أن يطلع عليها الباحثون ليعلموا ما أسداه ابن تيمية للمسلمين من آراء وأفكار تنير العقول لفهم قواعد الشرع ومقاصد الاسلام ، وتقرب ما بين العقل والنقل ، وتنير الطريق المؤدي لمعرفة الحق ، وتثبت أن الدليلين القطعيين لا يتعارضان أصلا ، وان كان أحدهما عقليا والثاني سمعيا ، أو كانا سمعيين أو عقليين ، وان من خالف صحيح المنقول فقد خالف صريح المعقول .

وفي هذا الصدد وجدت للمؤلف مباحث أخرى هامة كالبحث عن (ما المراد بالعلم ، وحدوث العالم) وهي مباحث تدخل نطاق الفلسفة والبحث (عن قيام الصفات بالموصوفات والموجود بنفسه والموجود بغيره ، وان الذات مستلزمة للصفات) . وهي مسائل كلامية تدخل في نطاق العقائد الدينية . والبحث عن (موافقة المعقولات للمنقولات ، وان المنقول[1] موافق لما جاء به الرسول ، واثبات الصانع

(١) لعله : وان المعقول .

واحداثه للمحدثات لا يمكن الا باثبات صفاته وفعاله ، وعن تكليم الله لعباده وعن الحوادث المتجددات) وهي قضايا متممة للمباحث العقائدية التي تدخل في نطاق العقائد الدينية . والبحث عما جاء في مدعيات (الدهرية ، ــ والفلاسفة والجبرية والقدرية والجهمية) ورده عليها وهي مباحث جدلية تدخل في نطاق الكلام الجدلي الطائفي الذي خاضت فيه الفرق في المسائل اللاهوتية ، وشغلتها الاختلافات النظرية ، والقياسات الكلامية ، دون جدوى عن البحث العلمي لمعرفة الوجود وما هو عليه من سنن وقوانين ، وما فيه من كائنات واجرام وعوالم ، ومظاهر طبيعية ، وحياتية وروحية لا تصدر الا عن واجب الوجود ، ورب حكيم ، لا تدركه العقول ولا تحيط بقدرته الافهام ، كما شغلتها عن التدبر بما قرره القرآن بحق الذات الإلهية ، وبحق الموجودات ، وواجب الانسان نحو خالقه كما يوحي الايمان السليم ، وفطرة الله التي فطر الناس عليها ، فتاهوا وضلوا وما كانوا من المهتدين .

ما ألهمتني إياه مطالعة الكتاب

أما وقد عرضت خلاصة ما ورد في الكتاب فاني سأذكر ما ألهمتني إياه مطالعته فاعرضه في سؤالين الأول : ما هو الأهم للانسان العاقل قبل كل شيء ، هل معرفته وجود الإله أم معرفة ذاته وصفاته ؟ ، والثاني هل الفكرة الإلهية أصيلة في الانسان وكيف كانت ثم تطورت ؟

ولقد ذكرت هذين السؤالين اذ في الجواب عليهما ما يغني عن البحث في القضايا التي هي مصدر الخلافات ومبعث الشقاق والنظريات .

أجل يجب البحث أولا عن وجود الله لانه هو الحقيقة التي تكمن في الموجودات ، ولأن عقلنا الذي هو وسيلتنا لمعرفة الحقيقة سيظل باحثاً عنها وعن الموجودات حسب طاقته ومقاييسه مع العلم أن الحقيقة عندما تخرج عن نطاق العقل والعلم تغدو فلسفة لا معنى لها ولكن ما هي الحقيقة وهل يمكن معرفتها ؟ إن الحقيقة

بنظر العلم هي ما وافق الاختبار ، وبنظر الدين هي (الله) ، وبنظر الفلسفة هي مطابقة الفكر للواقع . ولماذا ؟ لأن مفهومنا لها معها يكن يختلف بالنسبة للعقل والعلم ، وبالنسبة للعقيدة والطبيعة ، مما يجعل للحقيقة حياة تتحول ، بمعنى أن ما نعلمه عنها أمس واليوم قد يتبدل غدا لا تبعاً لوجودها وإنما تبعاً لوجهات نظرنا اليها ، وتبعا لتطور أفكارنا ، ومقدار ما يصل إليه علمنا ، ومع هذا يبقى العقل ساعياً وراءها ، طالباً الحصول عليها وتائهاً في بيداء مجاهلها ، وكلما ازداد معرفة بها ازداد قرباً منها ، ولكن دون الاحاطة بها صعوبات لا تعد ، وموانع لا تحصى ، وعجز لا يقدر .

اذن لا بد من القول نعم البحث عن الحقيقة ما دام الوصول اليها فوق طاقة العقل ؟

اننا نبحث عنها لانها من طبيعة العقل الذي لولاه لما عرفنا الوجود وما في الوجود ، ولجهلنا عالمنا الخارجي المؤثر في حسنا ووعينا وشعورنا ، وادراكاتنا .

وإذا كان العقل محدوداً مهما اتسعت آفاقه وتعالت مقدرته فهل يمكن للمحدود أن يعرف اللامحدود ؟ وهل يمكن للمتناهي أن يحيط باللامتناهي ؟

كيف يمكن ادراك حقيقة الله ، وحقيقته لا تحد ولا نهاية لها ؟ وكيف يمكن معرفة ذاته وهو في حقيقته غير ما هو في تصورنا ؟ وعليه مهما تكن معرفتنا فلا تزيد عن معرفة النملة وادراكها عندما تقف أمام الجبل العظيم الشاهق وتحاول معرفته ومعرفة ما وراءه وهيهات ان يتم لها ما تريد .

والله فوق كل ذي علم عليم ، ونحن ما أوتينا من العلم الا القليل ، ونتيجة لهذا المنطق السليم نقول :

من المسلم به ان الشيء الذي لا يمكن ادراكه بوسائلنا العلمية ، لا يمكن تصوره بعقلنا الواقعي ، ولا بواقعنا المنطقي . لان الادراك تصور استنتاجي من المحسوس الموجود الى الممكن الوجود إلى واجب الوجود ، ولو كان ادراك غير الموجود لا في الحس ولا في العقل ممكنا لادركنا العدم ، والمستحيل ، وهي

اسماء نظمها عقلنا بالنسبة لغيرها من المعقولات لا لحقيقتها ، ولا دركنا الموجود قبل أن يوجد والكائن قبل أن يكون مخالفين بذلك بداهة العقل واحكام المنطق .

ولما كانت ملكات العقل بامكانياته التجريبية والذهنية قد لا توصلنا الى الموجودات الخفية فاننا فرضنا صورها وخواصها وتخيلنا صفاتها وامكان وجودها ، وحاولنا ادراكها بالمدلولات الحسية ووضعنا لها الاسماء التي نستطيع التكلم بها والتحدث عنها كأنها واقعية ، كالجنة وما فيها من صور وقصور وأنهر وأشجار ونعيم ، وجهنم وما فيها من نار وزبانية وعذاب وآلام ، وكالصراط وما له من حد وخطر ، والبعث وما سيحدث فيه ، وكذا القول بالعقول المجردة والارواح المجردة والمثل المجردة ، والجواهر المجردة ، رغم أننا لا نعلم حقيقتها ولكنها من صنع عقل الانسان ، قال بها المتقدمون ، وقال بها أفلاطون ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن رشد وغيرهم ، وكان قولهم فرضيا تولد عن الخيال ، ولا يمكن أن يعرف أحد ما سنكون عليه بعد الموت وما سنلقاه ، الا أننا كمؤمنين نسلم بما وعد الله به عباده ولن يخلف الله وعده .

اذا صدق واقعنا بما علمناه وفرضناه ، فما أعجزنا عن إدراك الحقيقة الالهية ، ونحن لا زلنا عاجزين عن إدراك ماهية الحياة وماهية الروح ، ثم لماذا لا نتبع هدي القرآن ، فننظر إلى صنع الله وكماله وجماله وما أبدع في خلقه وكائناته ثم في أنفسنا ؟ (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وندرك حقيقة امكاناتنا .

ولا شك ان من الحكمة أن نقر بوجود واجب الوجود ، وبحقيقة الوجود ، ونترك البحث عن سر الذات وما وصفناه بها من الصفات التي سبب البحث فيها هذه الاختلافات وهذه النظريات الكلامية الحائرة ، ثم نبحث في مظاهر الوجود التي تنبع من صميم الموجودات ، ونشعر بها ، ونلمس أثرها .وما فيها من نظام محكم ، وابداع شامل ، وجمال كامل ، ولا تعليل لشعورنا بها الا الاقرار بأنها تمثل تلك الحقيقة المطلقة التي لولاها لما هام العقل باحثاً عنها ، وعن آلائها منذ انبثق

يجز العقل وسيبقى هائماً باحثاً ما دامت الحياة ، وكلما ازداد بحثاً ازداد يقيناً ، واليقين اعتقاد النفس بأنها حازت على الحقيقة التي تجد فيها النفع لنظام أفكارنا وتجد فيها خاصية التطور للفكرة الآلهية ، وتحول هذه الفكرة من تأليه قوى الطبيعة الجبارة ، وقوى النباتات والحيوانات ، الى تأليه قوى الانسان وتمثيلها في الجمال الجسماني وفي المقدرة على الخير والشر ، والحب ، والحرب ، والسلم ، والخصب إلى تأليه القوى المجردة وتوحيدها واعتبارها إلهاً واحداً هو علة العلل والمحرك الأول ، ووصفه بالصفات الذاتية والثبوتية حتى لا يبقى الفكر حائراً ولا ضالاً معذبا مع أن الجواب القاطع كائن فيه ومنه وإليه .

ويتبع كل هذا مسألة الروح وهل هي شيء مفارق للجسم كما يقول ابن سينا أم هي فعالية الجسم ما دام حيا ؟ اننا إذا نظرنا إليها من ناحية المادة وما أودع في الجسم من خواص وما هي عليه المادة من تحول وحركة وتطور فالجواب يدخل في نطاق العلم الطبيعي ومنطقه التجريبي ونظرياته الحياتية وفرضياته العلمية ، وإذا نظرنا إليها من ناحية ما وراء الطبيعة وفرضناها جوهراً مفارقاً له عالمه ، وفرضنا أن العقل مثلها جوهر مفارق فالأمر يدخل في نطاق الفلسفة الروحية التي يطول البحث فيها وبيان ما لها وعليها . ولذا اكتفي بما أوردته جواباً عن السؤالين ومفهوم كلمة الحقيقة وأين يجب أن يقف حديثنا عن (ذات الله) واجب الوجود ، واختم القول بالاقرار أنه ليس من حدى الاطالة خوف أن أكون كناقل التمر إلى هجر ، ولكن أبحاث الاستاذ المؤلف أثارت في نفسي لذة ابداء الرأي في المسألة التي اعتقدها هي الأساس وما بعدها فتابع لها ، والمرء مهما بحث يجب أن يطمئن قلبه ويزيل شكه وحيرته ويثق بعقيدته ليصح ايمانه كما صح ايمان ابراهيم عندما سأل ربه أن يراه فأجابه :(ألم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) .

الدكتور عبد الرحمن الكيالي

فلسطين

تاريخاً ... وعبرة .... ومصيراً

تأليف الأستاذ شفيق الرشيدات

إن قضية فلسطين التي هي قضية العرب الأولى ، أفجع مأساة في التاريخ الحديث ولا أعتقد أن هنالك جرحاً دامياً في الضمير الإنساني أعمق من جرح فلسطين .

امتد أثر هذه النكبة التي حلت في الوطن العربي إلى الآفاق العالمية ، فليس من السهل تشريد مليون انسان من وطنهم واغتصاب مساكنهم وأراضيهم وكل ما يملكون ، وإحلال جماعة غريبة ؛ مختلفة الجنسيات متنافرة القوميات ؛ محلهم بطريق الغدر والخيانة والحديد والنار ؛

فلا عجب إذا كانت قضية فلسطين أهم موضوع للدراسة والبحث . وقد كتب الكتاب والمفكرون الشيء الكثير عن فلسطين و ومن أجل الكتب كان كتاب القضية الفلسطينية للأستاذ أكرم زعيتر وكتاب فلسطين : تاريخاً وعبرة ومصيراً للأستاذ شفيق الرشيدات . كان الاستاذ شفيق الرشيدات أمين سر لجنة قضايا اللاجئين المنبثقة عن لجنة العدوان الرئيسية في مؤتمر الحقوقيين الآسيويين والأفريقيين الذي انعقد في دمشق في السابع من تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ ؛ وقد طلب إليه أن يعد بحثاً عن موضوع قضية فلسطين واللاجئين فكان هذا الكتاب القيم نتيجة هذا البحث ، تنفيذاً لتوصية المؤتمر وبسطاً لحقيقة هذه القضية العادلة ، ولبيان الدور الحقيقي الذي قام به الاستعمار الانكلو اميريكي

في صنع المأساة ، وحقيقة أداته وعلمه إسرائيل التي أقامها في بلادنا وفي الشرق الأوسط قاعدة للاستعمار والعدوان كما قال المؤلف في مقدمته . لقد احتوى هذا الكتاب الجليل على احد عشر فصلاً ، ويكفي أن أذكر عناوين الفصول حتى يعرف القارئ شمول البحث وعمقه ، وهي :

١ — كيف نشأت القضية (٢) الاستعمار العالمي يهيئ فلسطين لاستقبال المؤامرة (٣) بريطانيا في فلسطين (٤) الشركة الانكلو أميركية في فلسطين (٥) خلق اسرائيل (٦) كفاح العرب ضد المؤامرة (٧) بريطانيا تستغل الجامعة العربية لإتمام المؤامرة على فلسطين (٨) دول الاستعمار تثبت واقع إسرائيل وتجمد مأساة فلسطين (٩) اللاجئون (١٠) إسرائيل (١١) مستقبل فلسطين .

هذه هي الموضوعات التي بحثها المؤلف المفضال بحث الوطني الواعي ، ودرسها دراسة العالم المدقق والمؤرخ المنصف ، ممزقاً البراقع عن وجوه الخصوم الحقيقيين ، سارداً الحجج والبراهين ، مفنداً كل ذلك بالمنطق السليم والفكر النفاذ والعاطفة الصادقة . وأهم النقاط التي أوردها في هذا الكتاب هي هذه النقاط الأربع :

١ — إن وعد بلفور جزء من خطة الاستعمار ، وإن الصهيونية التقت مع الاستعمار العالمي بزعامة بريطانيا في طريق واحدي يؤدي بهما معاً إلى فلسطين وكشف النقاب عن التقرير الخطير الذي قدمته لجنة الاستعمار ١٩٠٧ إلى وزارة المستعمرات البريطانية والذي أطلق عليه اسم تقرير كامبل بنرمان ، واقترح إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا ويربطهما معاً بالبحر الأبيض بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة .

٢ — ان الشركة الانكليزية الأمريكية هي التي عبدت الطريق لتهويد فلسطين في جميع المجالات المحلية والدولية ، فاستغلت بريطانيا حتى الجامعة العربية

وحلفاءها العرب لإتمام المؤامرة ، وألقت أمريكا بكل قوتها داخل هيئة الأمم المتحدة وخارجها لخلق اسرائيل والاعتراف بها واعطائها الدماء لتعيش .

٣ — مرحلة الكفاح الشعبي وحقيقة المساعدات العربية ، وتبيان أن عزل الفلسطينيين عن قضيتهم كان هدفاً أساسياً من أهداف الخطة البريطانية ، وان نجاح بريطانيا في تحقيق هذا الهدف كان من العوامل الرئيسية التي أدت بالكفاح العربي إلى ما انتهت إليه قضية فلسطين وأدت بشعب فلسطين إلى المصير الذي صار إليه اللاجئون (ص ٣١٧) .

٤ — مستقبل فلسطين وبيان الحل الصحيح العادل لقضية فلسطين بقوله : « سنعيد هؤلاء الغزاة إلى ديارهم التي جاءوا منها ، ويعود شعبنا إلى وطنه فلسطين يقيم على أرضها حريته وسيادته ، وفي حدود هذه الحرية والسيادة وقدرة بلادنا على الاستيعاب سنعالج أمر الذين يريدون العيش معنا باخاء وسلام .. ص (٤٠٣) .

ان الأستاذ شفيق الرشيدات وهو السياسي العربي الذي رافق مأساة فلسطين وعاش بعض فصولها ، قد أدى بكتابه الجليل هذا خدمة للقضية الفلسطينية خاصة وللقضية العربية عامة لأنه عالج هذه المشكلة بصدق واخلاص وجرأة ، جبن عن معالجتها السياسيون على ضوء هذه المبادئ . وبلغة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض بل فيها عذوبة واشراق .

وإذا كان لا بد من ملاحظات على هذا الكتاب فانّ لي ملاحظتين :

الأولى : وجود تكرار لبعض الأفكار مما أدّى الى الإطالة والإطناب ، ولعل عذر المؤلف أنه وضع ذلك لترسيخ الفكرة وتوضيحها على طريقة التقرير لا طريقة التأليف .

الثانية : انه لم يضف الى فصول الكتاب فصلاً أخيراً يبين فيه بكل صراحة ماذا يجب أن تعمل الدول العربية لأجل استرجاع فلسطين وما هي الطرق التي يجب أن تسلكها للوصول الى هذا الهدف ؟ وماذا عملت منذ النكبة حتى الآن . وهل اعدت شعب فلسطين وشعوبها جمعاء لمعركة الفاصلة ؟ وهل حشدت جميع امكانياتها لهذه الغاية ؟ أم أنّ هذه الدول أو بعضها على الأقل لم تزل تتاجر بالآلام والدموع وبقضية فلسطين .

عبد الكريم الكرمي

الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة

هذا عنوان كتاب ثمين كنت أبحث عن أمثاله لأضيفه الى اخوانه ، ساقه اليّ التوفيق وهو من مطبوعات أنقرة بتحقيق وتحشية وتقديم الدكتور (يشار قوتلي آى) :

« تأليف أبي محمد عثمان بن عبد الله بن الحسن العراقي الحنفي » .

أول ما اهتممت به ترجمة حال للؤلف وعصره فقلت اذا اكببت على مطالعته فلا بدّ أن ينجلي لي شيء فوجدت في ص ٦ سلسلة لحديث رواه الترمذي حيث قال المؤلف .

(... أخبرنا به الشيخ الامام العالم شمس الدين عمر بن ابراهيم بن عثمان التركي بروايته عن شيخ وقته العلاّمة أبي طاهر حمد — كذا — بن محمد بن سلفة الأصفهاني ...)

ولما كان أبو طاهر علما من الأعلام راجعت « وفيات الأعيان » لابن خلكان فوجدته يقول . (... احمد بن محمد بن احمد بن محمد — مكرراً — بن ابراهيم سلفة الاصبهاني ... ورد بغداد ... ودخل ثغر الاسكندرية

سنة ٥١١ ... وبنى له وزير الظافر العبيدي ... سنة ٥٤٦ مدرسة ...) .

يقول ابن خلكان . « وادركت جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية وسمعت عليهم وأجازوني » وهذا يفيد أن ابن خلكان في درجة المؤلف من جهة ان بينه وبين السلفي راويا وابن خلكان معدود في القرن السابع .

ثم يذكر تاريخ ولادة السلفي في العقد الثاني من القرن الخامس وتاريخ وفاته في الاسكندرية في العقد الثامن من القرن السادس فهو من المعمرين ولتنظر الترجمة في مكانها ففيها فوائد لا سيما ضبط كلمة (السلفي) !

وراجعت اجازتنا العلمية فلم أجد للسلفي أثراً في سلسلة الترمذي لكن وجدته في سلسلة النسائي متصلا به محيي الدين بن العربي الشهير وهذا من معاصري ابن خلكان في القرن السابع وهو في درجة شيخ المؤلف من جهة الاتصال بالسلفي .

وورد في سلسلة الترمذي في اجازتنا اسم محيي الدين أيضاً لكنه متصل بالشيخ عبد الوهاب بن سكينة ووجدت بين الاجازة وبين الكتاب تباينا في الأسماء والصفات الواردة بعد السلفي : فلفظ (المروزي) تكرر في الاجازة دون الكتاب ولفظ (المحبوبي) مكرر في الكتاب والذي في الاجازة (ابن محبوب) مرة واحدة وهذا لا يهمنا من جهة تحقيق عصر المؤلف لكنه لا يخلو من نفع للباحثين .

ثم نظرت في الوصف بالعراقي : ألأنه عراقيّ في الواقع ؟ أم لأنه سافر الى بلد آخر فاشتهر بالعراقي ؟ اذيجوز أنّ السلفي لما ورد الى العراق روى عنه ناس ثمّ روى العراقي عن أحدهم وكان ورود السلفي العراق قبل سنة ٥١١ فتكون هناك فسحة كبيرة من القرن السادس تتسع للمؤلف فيكون من أهل القرن السادس ولا مانع من الامتداد الى السابع ويجوز ان السلفي لما انتقل الى الشام والاسكندرية روى عنه رواة ثم جاء المشتهر بالعراقي فروى عن أحدهم فتكون الفسحة ضيقة فيدخل في القرن السابع حتما ويكون شروعه في الكتاب تابعاً لهذا الاحتمال أو هذه الاحتمالات .

ومما له علاقة بالتحقيق ان المؤلف ذكر في ص ١٠١ أصحاب (قلعة الموت) اتباع الحسن بن الصباح وهم أسلاف آغاخان في ما يدعي وكان هولاكو قضى عليهم قبل سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ بقليل فقد يدل على انه ألف كتابه قبل انقراض أصحاب القلعة فلو ألف كتابه بعد الانقراض لربما أشار اليه ولو على سبيل الشماتة ! دع ان الكارثة شغلت الناس عن تأليف مثل هذا الكتاب لا سيما اذا كان المؤلف مقيما في العراق بل المستفاد من ص (١٠٣) أن التأليف يرجع الى عهد استفحال هذه الطائفة ابان الحكم السلجوقي لقوله : « والآن قد شاع أمرهم وكثر فسادهم ... »

ومن الغريب ان المؤلف بعد أن كشف الغطاء عن دسائس ابن القداح لهدم الاسلام – ص ١٠٠ – وهو استاذ القرامطة ومعلمهم الأكبر تعرض للقرامطة ثم قفز الى أصحاب القلعة متخطيا خلفاء مصر الذين هم أصل لأصحاب القلعة فلماذا تخطى الأصل الى الفرع ؟ وهم جميعا ينتمون الى ابن ميمون في النسب او في المذهب كما أغفل ذكر (الاسماعيلية) وهم الأصل الأصيل لهذه الفرق المتسترة باسم اسماعيل بن جعفر .

وأحببت أن ازداد اطلاعا بقراءة مقدمة الناشر الفاضل وأنا لا أحسن قراءة الحروف اللاتينية بسهولة فكلفت من ترجمها لي فوجدت بقدر ما فهمت ، أننا نلتقي في تحديد عصر المؤلف وفي أن الكتاب تضمن فرقا غريبة لم نقف عليها في كتب الفرق الا أن الدكتور اقتصر على ذكر الملل والنحل للشهرستاني مع وجود كتب أخر متداولة كالملل والنحل لابن حزم والفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادي وكتاب اسمه التبصير في الدين طبع قبل مدة وكتاب آخر منسوب الى الرازي وهو أدناها مطبوع أيضا .

وكنت استشكلت قضية (بشر بن غياث المريسي) – ص ١٠ – فقد استشكلها الدكتور أيضا ، والمشهور أن المأمون مات على بدعته وأوصى بها

أخاه المعتصم وتناولها الواثق من بعده ثم أقلع عنها بعد حين لحجة قامت عليه وجاء المتوكل فطرد المبتدعة وقطع صلتهم بالبلاط العباسي ورجع إلى نصر السنة ومن غرائب هذه القصة مناظرة (عبد العزيز بن أبي دواد) لبشر والزامه ثم صلبه : والمعروف (ابن أبي دواد) بدالين وكان هو العنصر البارز في البدعة فمن أين جاء عبد العزيز ؟ بقطع النظر عن (رواد) بالراء .

وفي المقدمة عوائق ! منها الحروف اللاتينية القاصرة عن تأدية مخارج الحروف العربية حقها كلفظ (الاباضية) كانت ترجمتها (العبادية) وقد وقع في مثل هذا كثير من المترجمين .

ومنها أنّ المقدم حفظه الله لاحظ أرقام صفحات المخطوطة وهي لا تطابق أرقام المطبوعة .

أما ان المؤلف تركي الأصل فلا يهمنا ان يكون تركيا أو عربيا بعد الإسلام النظيف والعقيدة النظيفة الا أنّ الاستدلال بوقوع أخطاء لغوية في كتابه لا يكفي لأنّ مؤلفي العرب لا يسلمون من الأخطاء أيضا ! ومها سلم الكاتب من الخطأ فانّ النساخ في الطريق ويغلب فيهم الجهل ! وكان من حق الكتاب أن يلحق به جدول خطأ وصواب على العادة وقد احصيت أخطاء تبلغ الثمانين أو تزيد منها ما يمكن للمطلع تصحيحه ومنها ما يشوّه العبارة ويقلق المعنى أو يغلقه !. واني مستعد لتقديم نسخة من جدول الخطأ والصواب لمن يحب .

وقد تظهر لي ملاحظات أخر ... هذا !. وأودّ أن أقدّم أسنى الشكر للدكتور الفاضل على هذه الخدمة النادرة لاحياء هذا الكتاب النادر الذي لم يطلع عليه كتاب العرب حتى اليوم فيما أظن .

محمود الملاح

آراء وأنباء

العلاّمة فارس الخوري

(١٨٧٧ ـ ١٩٦٢)

وفاة العلامة فارس الخوري

١٨٧٧ ـ ١٩٦٢

نعت حكومة الجمهورية العربية السورية ، الفقيد العلامة فارس الخوري العضو العامل في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومن مؤسسيه في عام ١٩١٩ ، توفاه الله مساء الثلاثاء في اليوم الثاني من كانون الثاني سنة ١٩٦٢ ، فخسر مجمعنا والعالم العربي علماً من أعلام الفكر والأدب والسياسة ، ورائداً من رواد النهضة الحديثة في ديار الشام .

كان الفقيد فذاً في ذكائه وذاكرته وميله الى العلم . لم يكتف بالعلوم التي تعلمها وعلَّم بعضها في الكلية الأميركية ببيروت ، بل اطلع بجهده الخاص اطلاعاً واسعاً على علوم اللغة العربية وآدابها ، وتاريخ العرب والإسلام ، والعلوم الحقوقية والمالية والاقتصادية حتى عُدَّ من أوسع الناس ثقافة في بلاد العرب .

استقر في دمشق منذ أوائل القرن الحاضر ، وأدرك حلقة الشيخ طاهر الجزائري التي كان من شيوخها الشيخ جمال الدين القاسمي ، والشيخ عبد الرزاق البيطار ، والشيخ سليم البخاري ؛ وكان ممن هم دونهم في السن محمد كرد علي ، ورفيق العظم ، وعبد الحميد الزهراوي ، وعبد الرحمن الشهبندر ، وشكري العسلي ، وسليم الجزائري ، وعبد الوهاب المليحي (الإنكليزي) وغيرهم . وهؤلاء جميعاً كانوا مع الفقيد من رواد اليقظة الحديثة في دمشق .

وكان الفقيد على اتصال بالشباب من القوميين العرب منذ زمن السلطان عبد الحميد يعمل معهم حتى آخر الحكم التركي ، وطيلة مدة الانتداب الفرنسي على سورية ، فعدَّ زعيماً من زعماء الرعيل الأول الذين لهم اليد الطولى في انتزاع سورية من براثن المستعمرين .

وكان لثقافته الواسعة وفكره النير وحجته القوية وبديهته الحاضرة تأثير كبير في الحركة الفكرية والاقتصادية ، ولا سيما في الأعمال السياسية ، عندما كان في مناصب الوزارة ورئاسة الوزارة ورئاسة المجلس النيابي ، وعندما كان يخدم القضايا العربية في مؤتمر سان فرنسيسكو سنة ١٩٤٦ وفي منظمة الأمم المتحدة التي انتخب رئيساً لدورتها سنة ١٩٤٨ .

وعلى الرغم من أنه كان كاتباً وشاعراً وخطيباً ومشرعاً وعضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق واستاذاً في الجامعة السورية فقد طغت أعماله الكثيرة في خدمة الدولة وخدمة القضايا العربية على أعماله الأدبية والعلمية ، لأنه عاش في برهة من الزمن كانت بلادنا فيها أحوج إلى العمل الوطني الناضج الحكيم منها الى المؤلفات الأدبية والعلمية .

وهاكم نبذة من صفحات حياته . ولو أمكن الإسهاب لتألف منها كتاب :

ولد الفقيد في قرية الكفير التابعة لقضاء حاصبيا في وادي التيم ، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية والعلية في المدرسة الاميركية بصيدا والكلية الأميركية ببيروت . ثم عين مدرساً للرياضيات في الكلية المذكورة . وعندما انتقل الى دمشق أسندت إليه إدارة كلية الروم الارثوذكس بدمشق . وفي سنة ١٩٠٤ حصل على إجازة بممارسة مهنة المحاماة .

انتخب عام ١٩١٣ نائباً عن دمشق في «مجلس المبعوثان» العثماني بالآستانة . وفي أثناء الحرب العالمية الأولى أي في عام ١٩١٥ اتهم بالتآمر على الحكم التركي ، وحوكم أمام المحكمة العسكرية فبرأته من هذه التهمة . وتقلد في عام ١٩١٨ وزارة المالية في وزارتي رضا الركابي وهاشم الأتاسي حتى ٢٥ من تموز سنة ١٩٢٠ ، وهو تاريخ الاحتلال الفرنسي ، وعاد بعد ذلك الى مزاولة المحاماة ، وانتخب نقيباً للمحامين بدمشق سنة ١٩٢١ .

وفي سنة ١٩٢٣ انتخب عضواً في مجلس الاتحاد السوري وعين استاذاً في كلية الحقوق بالجامعة السورية .

وفي أوائل عام ١٩٢٥ عندما كانت الثورة السورية محتدمة قبضت السلطة الفرنسية عليه ونفته إلى جزيرة أرواد مع آخرين من الوطنيين .

وتقلد في سنة ١٩٢٦ وزارة المعارف ، ثم اعتقله الفرنسيون مع عدد من الاحرار ونفوهم الى الحسكة ودوما (في لبنان) .

وفي عام ١٩٣٦ انتخب عضواً في الوفد السوري الموفد إلى باريز للتفاوض مع فرنسة بشأن عقد معاهدة استقلالية تنهي انتداب فرنسة على سورية ، وانتخب بعد عودة الوفد نائباً في المجلس النيابي السوري ورئيساً له .

وفي عام ١٩٤٣ انتخب من جديد نائباً وانتخب للمرة الثانية رئيساً للمجلس النيابي ، وفي عام ١٩٤٤ كلف تأليف الوزارة السورية ، وفي عام ١٩٤٥ ألف للمرة الثانية الوزارة السورية ، ثم ألفها للمرة الثالثة ، وفي ٣٠ ايلول ١٩٤٥ جدد انتخابه لرئاسة مجلس النواب .

وفي سنة ١٩٤٧ انتخب من جديد نائباً عن دمشق ، فانتخبه أعضاء المجلس النيابي رئيساً له .

مثل سورية في مؤتمر سان فرنسيسكو عام ١٩٤٦ ، ومثلها في منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦ ، وترأس مجلس هذه المنظمة في دورة عام ١٩٤٨ ، وكان عمله في الدفاع عن قضية فلسطين رائعاً . ومثل سورية لدى هيئة الأمم المتحدة في دورتيها المنعقدتين في سنتي ١٩٥٠ و ١٩٥١ . وعين عضواً في لجنة القانون الدولي بالأمم المتحدة ، وظل في هذه العضوية الى أن توفاه الله .

أما في الاعمال العلمية فقد انتخب في سنة ١٩١٩ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق وعد من مؤسسيه ، وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة

العربية بالقاهرة (مجمع فؤاد الأول) . ومنح عام ١٩٤٨ وشاح النيل من المملكة المصرية ، ومنح الجائزة التقديرية لعلوم الاجتماعية لعام ١٩٦٠ ، بقرار من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة . وكان على تضلعه بالعربية يحسن اللغات الانكليزية والفرنسية والتركية . وله مؤلفات في الحقوق المدنية والعلوم المالية ، وله فيها دروس وبحوث مبتكرة كان يلقيها على طلاب كلية الحقوق في الجامعة السورية . وله مقالات ومحاضرات وقصائد نشرت في كثير من المجلات العربية .

وبعد ، لا نغالي إذا قلنا إن مجمعنا فقد بوفاة العلامة فارس الخوري شيخاً كان عقله من أنضج العقول ، وإن ديار الشام فقدت رجل دولة وحكمة لا يجود الزمان عليها بمثله إلا في فترة متباعدة .

استدراك وتعليق
ونظرة الى تاريخ بني العباس
— ٥ —

الواثق (١) : ولادته سنة ١٩٩ هـ — خلافته ٢٢٧ هـ (٨٤٢ م) وفاته ٢٣٢ (٨٤٦ م) من شعره :

---

(١) هو هرون بن المعتصم أمه أم ولد رومية : اسمها قراطيس .

كان الواثق وافـرَ الأدب ، شاعراً مليحَ الشعر . راويةً للأشعار والأخبار . وكان يُلقّب بـ (المأمون الأصغر) لأدبه وفضله . وكان المأمون يعظّمه ويقدّمه على ولده .

قال الفضل اليزيدي :

لم يكن في خلفاء بني العباس أكثرُ روايةً للشعر من الواثق . فقيل له : كان أروى منه المأمون ؟ قال : نعم ! كان المأمون قد مزج بعلم العرب علمَ الأوائل : من النجوم والطب والمنطق . وكان الواثق لا يخلِط بعلم العرب شيئا .

وقيل : ما كان في الخلفاء أحدٌ أحلمَ من الواثق ، ولا أصبرَ منه على أذىً وخِلاف . وكان أعلم الخلفاء بالغناء ، وله أصوات وألحان . حاذقاً بضرب العود . غُنّي في مجلسه بشعر الاخطل .

وشادن مربح بالكأس نادمني   لا بالحَصور ولا فيها بِسوّار

فقال : أسوّارٌ أم سآرٌ ؟

ثم وجه إلى ابن الأعرابي يسأل عن ذلك !

فقال : سوّار : وثّاب . يقول لا يثب على ندمانه . وسآر : مفضّل في الكأس سُؤْراً .

وقد رُويا جميعاً . فأمر له بعشرين الف درهم .

يا ذا الذي بعذابي ظل مُفتخِرًا ما أنت إلا مليك جارَ إذ قدرا
لولا الهوى لتجارينا على قدَرٍ وإن أُفِقْ منه يوماً ما فسوف ترى

— ومن تكريم الواثق لأهل العلم: أن هرون بنَ زياد هو مؤدبه دخل عليه. فأكرمه إلى الغاية.

فقيل له: مَن هذا يا أمير المؤمنين، الذي فعلت به هذا الفعل؟

قال: هذا أولُ من فتق لساني بذكر الله. وأدناني من رحمة الله.

لما جلس الواثق في الخلافة (هذا تعبير ابن الأثير) أحسن إلى الناس، واشتمل على العلويين. وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، والتعهد لهم بالأموال. وفرّق في أهل الحرمين أموالاً لا تُحصى. حتى أنه لم يوجد في أيامه بالحرمين سائل. فلما توفي كان أهل المدينة، تخرج جماعة من نسائهم كل ليلة إلى البقيع، فيبكين عليه ويندبنه. يفعلنَ ذلك مناوبةً حزناً عليه.

وأطلق في خلافته أعشار سُفُن البحر. وكان مالاً عظيماً.

واستخلف على السلطنة أشناس التركي، وألبسه وشاحين مجوهرين، وتاجاً مجوهراً. وهو أولُ من فعل ذلك. وكان الترك قد كثُروا في أيام أبيه.

ويُؤخذ على الواثق، ما أُخذ على من سبقه من الخلفاء، من التشدّد في القول بخلق القرآن. أمر بأحمدَ بنِ نصرٍ الخزاعي — وكان أحمدُ من أهل الحديث، قائماً بالأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر — فأشخص من بغداد إلى سامرّا مقيداً. وسأله عن القرآن؟ فقال: ليس بمخلوق! وعن الرؤية في القيامة؟ فقال: كذا جاءت الرواية! وروى له الحديث. فقال له الواثق: تكذب! فقال أحمد للواثق: بل تكذب أنت.

فدعا بالسيف وقال: إذا قمت إليه، فلا يقومنّ أحد معي، احتسب خُطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربّاً لا نعبده، ثم أمر بالنطع فأجلس عليه، وهو مقيد. ومشى إليه فضرب عنقه.

ومنه في خادمه مهج :

مُهجٌ يملكُ المُهَجْ بسجي اللحظ والدَعَج
حَسَنُ اللحظ مخطف ذُو دلالٍ وذو غُنُج
ليسَ للعين إن بدا عنه باللحظ منعَرَج

وعن جعفر بن علي بن الرشيد . قال : كنا بين يدي الواثق ، وقد اصطبح . فناوله خادمُه مهج ورداً ونرجساً . فأنشد في ذلك ــ بعد يوم ــ لنفسه :

حيّاك بالنرجسِ والورد معتدل القامة والقد
فألهبتْ عيناهُ نارَ الهوى وزاد في اللوعة والوجد
أمّلتُ بالمُلك(١) له قُربةَ فصار مُلكي سببَ البعد
ورنحته سَكَراتُ الهوى فمال بالوصلِ إلى الصّدّ
إن سُئل الوَصلَ ثنى عطفه وأسبل الدمع على الخد
غُرّ بما تجنيه ألحاظُه لا يعرف الانجاز للوعد
مولى تشكى الظلم من عبده فأنصفوا المولى من العبد

قال : فأجمعوا أنه ليس لأحد من الخلفاء مثلُ هذه الابيات .

وحدّث عبد الله بن المعتز قال : أنشدني بعض أهلنا للواثق ، وكان يهوى خادمين : لهذا يوم يخدمه فيه ، ولهذا يوم :

قَلْبي قسيم بين نفسين فمن رأى روحاً بجسمين
يغضبُ ذا إن جاد ذا بالرّضا فالقلبُ مشغول بشجوين

(١) يجوز المُلك : بالضم ، بمعنى السلطان . وبالكسر بمعنى ما يُملك .

ولما احتضر أمر بالبسط فطويت والصق خده بالأرض ثم جعل يردد هذين البيتين :

الموتُ فيهِ جميعُ الناس مشتركٌ لا سُوقة منهم يبقى ولا مَلِكُ

ما ضرّ أهل قبيل[1] في تفاقرهم وليس يغني عن الاملاك ماملكوا

ومن قوله وهو يحتضر : يا من لا يزول مُلكه أرحم من زال مُلكه .

وفي خلافة الواثق ، حضر رجل يكنى أبا رملة من قبل أحمد بن أبي دواد : قاضي القضـــاة ، يمتحن الأسرى ، وقت المفاداة . فمن قال منهم : بخلق التلاوة ونفي الرؤية ، نودي به وأُحسن إليه . ومن أبى تُرك بأرض الروم . فاختار جماعة من الأسارى الرجوع إلى أرض النصرانية عن القول بذلك .

فعم الفداء المسلمين والنصارى واليهود ، إلاّ من قال بقِدَم القرآن .

* * *

المتوكل[2] : مولده سنة ٢٠٥ هـ ـ خلافته سنة ٢٣٢ هـ (٨٢٣ م) مقتله ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) .

---

(١) في رواية قبيل . وفي رواية قليل . وكلاهما يصح .

(٢) هو جعفر بن المعتصم . أمه أم ولد اسمها شجاع .

والمتوكل ـ خالف من سبقه من خلفاء بني العباس الذين قالوا : بخلق القرآن ـ نصر السنة . ورفع المحنة . الا أنه اضطهد العلويين . ونبش قبر الحسين . وهدم ما حوله من الدور . وأمر أن يُبذر ويُسقى موضعُ قبره ، ومنع الناس من إتيانه .

وعلى تعصبه وشدته على من يخالفه ، كان يقول : « كانت الخلفاء تتعصب على الرعية لتطيعها . وأنا ألينُ لهم ليحبوني ويطيعوني » . ــ

ـــ وكان المتوكل جواداً ممدَّحاً . يقال ما أعطى خليفةٌ شاعراً ما أعطى المتوكل . قال فيه مروان بن أبي الجنوب :

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد   فقد خفت أن اطغى وأن اتجبرا

فقال : لا أمسك حتى يغرقك جودي . وكان قد أجازه على قصيدة بمئة ألف وعشرين ألفاً ، وخمسين ثوباً .

ودخل عليه يوماً علي بن الجهم وبيديه دُرَّتان يقلبهما . فأنشده قصيدة له . فرمى إليه بدُرة فقلّبها . فقال له : تستنقص بها ؟ وهي والله خير من مئة ألف . فقال : لا ، ولكني فكّرت في أبيات أعملها آخذ بها الأخرى . فقال : قل ! فقال (١) :

بـ (سرّ من را) إمام عدل   تغرف من بحره البحار
الملك فيه وفي بنيه   ما اختلف الليل والنهار
يُرجى ويُخشى لكل خطب   كأنه جنّة ونار
يداه في الجود ضرّتان   عليه كلتاهما تغار
لم تأتِ منه اليمين شيئاً   إلاّ أتت مثلها اليسار

فرمى إليه بالدُرة الثانية .

والمتوكل ، أولُ من قُتل من الخلفاء العباسيين ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ، ثم المعتز ثم المؤيد . ثم إنه اراد أن يقدم المعتز لمحبته لأمه . فسأل المنتصرَ أن ينزل عن العهد ، فأبى . فكان ـــ

(١) وتنسب هذه القصة والشعر الى البحتري فهي في ديوانه ص ٧٥٠ ، وهي لابن الجهم في العقد ٢٥٠/١ وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٩ .   (لجنة المجلة)

ـــ يحضره مجلس العامة ، ويحُط من منزلته ، ويتهدده ، ويشتمه ويتوعده ، وكثُر عبثُ المتوكل بابنه المنتصر ، مرةً يشتمه ، ومرة يسقيه فوق طاقته ، ومرة يأمر بصفعه ، ومرة يتهدده بالقتل . وليلةَ مقتله ، أمر الفتحَ أن يلطمه . فقام إليه فلطمه مرتين ، ثم مرّ يده على قفاه . وقال لمن حضر : اشهدوا عليّ جميعاً : أني قد خلعت المستعجل - يعني المنتصر - ثم التفت إليه وقال : سميتك المنتصر ، فسماك النـــاس لحمقك المنتظر . ثم صرت الآن المستعجل . فقال المنتصر : لو أمرت بضرب عنقي ، كان أسهلَ عليّ مما فعلته بي . فقال : اسقوه !

وخرج المنتصر بعد ذلك غضبانَ . وكان الأتراك قد انحرفوا عن المتوكل لأمور . فاتفقوا هم والمنتصر على قتل أبيه . فدخل عليه في جوف الليل خمسة منهم . وهو في مجلس لهوه . وكان بغا الشرابي قد صرف الندماء ، وغلّق الأبواب كلها ، إلا بابَ الشّط ، ومنه دخل القوم . فقتلوه هو ووزيرَه الفتح بن خاقان .

ورثته الشعراء . ومن ذلك قول يزيد المهلبي :

جاءت منيتُــه والعين هاجعةٌ هلاّ أتته المنايا والقنا قِصَدُ
خليفةٌ لم يَنل ما ناله أحدٌ ولم يضعْ مثلَه روحٌ ولا جسد

قال الفتح بن خاقان : دخلت يوماً على المتوكل فرأيته مطرقاً متفكراً . فقلت يا أمير المؤمنين ! ما هذا الفكر ؟ فوالله ما على ظهر الأرض أطيبُ منك عيشاً ، ولا أنعمُ منك بالاً . فقال : يا فتح ! أطيبُ عيشاً مني : رجلٌ له دار واسعة ، وزوجة صالحة ، ومعيشة حاضرة . لا يعرفنـــا فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزدريه .

كان المتوكل مشغوفاً بقبيحة (١) أم ولده : المعتز . لا يصبر عنها . فوقفت له يوماً وقد كتبت على أحد خديها بالغالية (جعفرا) فتأملها وانشأ يقول :

وكاتبةٍ بالمسك في الخد جعفرا بنفسي مخط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطراً من المسك خدها لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

وعن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال : دخلت على المتوكل لما توفيت امه . فقال : يا جعفر : ربما قلت البيت الواحد . فإذا جاوزته خلطت . وقد قلت شعراً :

تذكرتُ لما فرّق الدهر بيننا فعزيت نفسي بالنبي محمد

فأجازه بعض من حضر المجلس بقوله :

وقلت لها إن المنايا سبيلُنا فمن لم يمُت في يومه مات في الغد

* * *

لاحقة

والشيء بالشيء يذكر

ولّى يحيى بنُ أكثم قاضي القضاة وصاحب المظالم - أيام المتوكل - على قضاء الشرقية من بغداد حيانَ بنَ بشر ، وعلى الجانب الغربي سوارَ ابنَ عبد الله العنبري - وكان كلاهما أعور . فقال فيهما الجماز :

رأيتُ من الكبائر قاضيين هما - أحدوثةٌ في الخافقين

(١) سميت قبيحة لفرط جمالها .

هما اقتسما العَمى نصفَين قدْراً — كما اقتسما قضاء الجانبين
وتحسَبُ منهما من هَزّ رأسا — لينظرَ في مواريثٍ ودينِ
كأنك قد وضعت عليه دَنّاً[1] — فتحت بُزاله[2] من فرد عين
هما ـ قال الزمانُ بهُلْكِ يحيى ـ — اذا افتُتح القضاء بأعورين

وقول الجماز ـ وهو من شعراء أوائل القرن الثالث الهجري ـ « فرد عين » ، دليل على ان هذا الاستعمال قديم . وليس هو وأمثاله من الاستعمالات العامية الحديثة .

وقبل ذلك كانوا يستعملون (فرد) و (فردة) يقولون : « عين فرد » و « عمامة فردة » لا « فرد عين » و « فردة عمامة » على الاضافة .

ففي حديث أبي بكر رضي الله عنه :

فمنكم المزدلف[3] صاحب العمامة الفردة .

في الحديث : « جاء رجل يشكو رجلاً من الأنصار ، سجنه فقال : « يا خير من يمشي بنعل فرد » .

عارف النكدي

(١) الدّن : الراقود العظيم . لا يقعد الا أن يُحزَلَه .
(٢) البُزال بالضم . موضع البزل من الوعاء .
(٣) وفي رواية « المزدلف الحر » بزيادة الحر . وسُمي المزدلف لاقترابه الى الأقران واقدامه عليهم .

من هو العربي

رد وإيضاح

لقد قرأت مقالة الاستاذ عدنان الخطيب المنشورة في العدد الأخير من مجلة المجمع العلمي العربي الموقر ، في باب « التعريف والنقد » ، عن كتابي « حول القومية العربية » .

وقد استوقف نظري ما جاء عن مسألة « من هو العربي ؟ » .

إذ قال الاستاذ الناقد في هذا الصدد :

« ان من يقرأ الاستاذ الحصري يقنع بالأمثلة التي ضربها ، ويشاركه في رأيه بان الارادة غير الواعية أو المشوبة بجهل أو غرور أو أنانية لا يمكن أن تنفي العروبة عمن ينفيها عن نفسه .. »

غير انه — بعد هذا التأييد الأولي — أخذ يتجه اتجاهاً آخر . فقال :

« ولكنه يشعر بأن القومية من خلال الأسطر التي كتبها الاستاذ الحصري أصبحت « ضريبة » تفرض على كل من تكلم العربية أو أقام في بلد عربي ، كردياً كان أو فارسياً يعتز الواحد منها بقوميته ، أو أرمنياً كان أو زنجياً لا يود كل منها التخلي عن الانتساب الى قومه ، وهذا أمر لا يقره أحد ، على ما أعتقد » (ص ١٢١ — ١٢٢) .

اني استغربت ذلك كل الاستغراب . لأن الناقد المحترم يعزو اليّ — بهذه العبارات ، وبالعبارات التي سطرها بعدها — سلسلة غريبة من الآراء التي لم أقل بها أبداً .

لقد نقل الاستاذ عدنان الخطيب من كتابي العبارات التالية :

« انه عربي ، شاء هو أم أبى اعترف بذلك هو أو لم يعترف — في الحالة

الحاضرة — ، انه عربي جاهل أو غافل أو خائن ، ولكنه عربي على كل حال »

ولكنه لم ينقل العبارات التي تبين المقصود من الضمائر الواردة في هــذه العبارات .

في الواقع ، اني قلت : « انه عربي شاء هو أم أبى اعترف بذلك هو أو لم يعترف — في الحالة الحاضرة » .

ولكني حددت المقصود من « هو » المسطور هنا ، في بداية بحثي هذا ، بالكلمات الصريحة التالية :

« عندما نجد شخصاً لا يعتز بعروبته ولا يعترف بها ، على الرغم من كونه عربي اللسان ، وعلى الرغم من انتسابه الى شعب عربي ، يجب علينا أن نبحث عن الأسباب التي تحمله على الوقوف هذا الموقف » .

وبديهي ان كلمات « على الرغم من كونه عربي اللسان وعلى الرغم من انتسابه الى شعب عربي » المسطورة في هذه العبارات تحدد نطاق البحث تحديداً صريحاً ودقيقاً ، فلا تترك أدنى مجال منطقي لتعميم ذلك على الأكراد أو الفرس أو الأرمن أو المستشرقين الذين يشير اليهم الناقد المحترم . لأن هؤلاء لم يكونوا عربيّ اللسان ، كما انهم لا ينتسبون الى شعب عربي .

فرأيت من واجبي أن ألفت أنظار الاستاذ عدنان الخطيب ، — وأنظار قراء مجلة المجمع العلمي العربي الموقر — ؛ إلى هذه الحقيقة ، وأن أضيف الى ذلك الملاحظة التالية :

لو قبلنا التعريف الذي تولى الدفاع عنه الناقد المحترم ، وحاولنا تطبيقه على ما نعرفه من أحوال أوائل القرن الحالي ، ... لترتب علينا أن ننفي صفة « العربي » عن أكثر من نصف « الناطقين بالضاد » ، ان لم نقل عن ثلاثة أرباعهم .

ساطع الحصري

تعقيب

اطلعتني لجنة المجلة على رد الاستاذ ابي خلدون ، وسألتني ان كنت معقباً عليه او غير معقب ، ووددت لو اعفيت من التعقيب ، فيكتفي القراء المحترمون بالرد إن شاؤوا ، وان شاؤوا رجعوا الى العدد الماضي من المجلة ليقرأوا تعريفي بكتاب الاستاذ ساطع الحصري الاخير « حول القومية العربية » وتقدي لمجومه على من يقول : « العربي هو من يتكلم العربية ، ويريد ان يكون عربياً » لأني لست ممن يعزو الى أحد من الناس رأيا لم يقله ، فكيف بي افعل ذلك مع الاستاذ ساطع الحصري ، وهو يعلم مكانته من نفسي وعند كل عربي يحب قومه ويعتز بهم . ولقد كنت في الفقرة التي نقلها الاستاذ الحصري من نقدي لكتابه أصور شعوري وأرسم خوفي من ان يشعر أحد مثلي بأن القومية العربية اصبحت « ضريبة » تفرض على كل من تكلم العربية واقام في بلد عربي ، اذا ما قرأ الفصل المعنون « عود الى مسألة من هو العربي » من كتاب الاستاذ الحصري القيم .

واليوم والمجلة تنشر للاستاذ الكبير ردّه ، وفيه تحديد للمقصود من جملة « العربي الذي نعده عربياً شاء أم أبى ، إعترف بذلك او لم يعترف » وهو أنه ذلك الذي « لا يعتز بعروبته ولا يعترف بها ، على الرغم من كونه عربي اللسان ، وعلى الرغم من انتسابه الى شعب عربي » فانا اكرر ما قلته في نقدي من مشاركة للأستاذ الحصري برأيه بان الارادة ليست شرطاً في مثل هذه الحالة ، لأن في الانتساب الى شعب عربي كفاية عنها وغناء ، والانتساب وتغلب فيه علاقة الدم وصلات من القربى ، أشد شروط القومية التي تُطلب من الانسان ليكون « عربيا » ، ولا يقول اليوم بهذا الشرط وحده الا الغلاة من القوميين .

وما خوفي من أن تكون القومية العربية « ضريبة » الا بالنسبة الى من يتكلم العربية ويعيش في بلد عربي ضمن مجموعة من الناس تعتز بقومية غير القومية العربية ، أو أنه يعيش منفرداً ولكنه لا يبدي لبلده الولاء المفروض بالعربي لأن آباءه جاؤوا اليه من بلد آخر ، ومن هنا دافعت عن الرأي القائل « العربي هو من يتكلم العربية ويريد أن يكون عربيا » ليتسع مفهوم « القومية العربية » وليصبح المجال رحباً أمام كل من يتكلم العربية ويعيش في بلد عربي فيغدو عربياً بارادته ، ويتم بذلك صهر كثير من الأقوام والأفراد في البوتقة العربية ، وهذا السبب نفسه — على ما اعتقد — دفع البعض الى تعريف العربي بأنه « من تكلم العربية ولم ينتسب الى غير العرب » ، أي يتكلم العربية ، ويريد أن يكون عربياً وإن كان من أمة أخرى غير أمة العرب .

أما الملاحظة الاخيرة التي أضافها الاستاذ الكبير الى نهاية رده ، قاصداً بها شعوبا عربية معينة كان كثير من أفرادها يجهلون قوميتهم فالجواب عليها قد سبق ذكره في التعريف بكتابه ، اذ قلت : « ما اظن الاساتذة الذين جعلوا الإرادة شرطاً من شروط الانتساب الى القومية العربية ، قصدوا بالارادة الكلمة العابرة والرأي السياسي والرغبة الجاهلة أو المغرضة ، انما — كما اعتقد — قصدوا بتعريفهم الارادة الواعية السليمة وغير المنحرفة ، فاذا انحرفت يوماً ما ارادة انسان أو مجموعة من الناس في أي بلد عربي ، فيجب تنمية ارادة هؤلاء او حمايتها من الزيف والغرض ، حتى يدركوا حقيقتهم ، ويعودوا بملء ارادتهم الى الاعتزاز بقوميتهم . أما اذا لم يريدوا ، على الرغم من ذلك ، ان يعدوا أنفسهم عربا ، فسيظلون في نظرنا من العرب ما دمنا نريد لهم ذلك ، ولكنهم يظلون في نظر أنفسهم من غير العرب . ولا سبيل لنا على ما في قلوبهم الا إذا غيروا ما فيها . ولذلك لا يجوز الاكتفاء بالتعريف الناقص وهو : « العربي من تكلم بالعربية ... الخ . »[1]

عبدالله الخطيب

---

(١) أنظر ص ١٢٣ من الجزء الأول من المجلد السابع والثلاثين .

سوريا وسورية [1]

شاع في الدوائر الرسمية وعند كثير من الكتاب خطأ في كتابة اسم (سُورِيَة) فجعلوا يكتبونه ويلفظونه بياء مشددة وألف أي (سُورِيّا) على حين أن بعض الأمهات من معجمات لساننا، وبعض المراجع التاريخية الموثوق بها قد أجمعت على كتابة (سُورِيَة) بياء مخففة بعدها تاء. ومن هذه المعجمات والمراجع القاموس المحيط، وتاج العروس، ومعجم البلدان، وفتوح البلدان، وزبدة الحلب في تاريخ حلب، والتكملة، في حديث لكعب وغيرها. ولم نر الاسم المشار اليه مكتوبا بالياء المشددة والألف في كتاب قديم يعوّل عليه.

ومن المعلوم أن كثيراً من الكلمات الأعجمية التي عربت قديماً أو التي نضطر الى تعريبها حديثاً تنتهي بالحرف (A) أو بالكاسعة (GIE) الدالة على العلم. فالقدماء لم يتخذوا قاعدة مطردة في إنهاء هذه المعربات بالتاء أو بالألف، ولكن السليقة العربية جعلتهم ينهون معظمها بالتاء فقالوا مثلاً إفريقية وصقلية وأرمينية وسلوقية واشبيلية وغرناطة الخ.

وبناء على اقتراحي كان مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة اتخذ قراراً مؤرخاً في الخامس من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥٦ يقضي بإنهاء أشباه هذه الكلمات بالتاء ترجيحاً على إنهائها بالألف فيقال مثلاً جيولوجية وبيولوجية وألمانية وايطالية ترجيحاً على جيولوجيا وبيولوجيا وألمانيا وايطاليا وهكذا.

ومع هذا فالموضوع فيما يختص بكلمة (سُورِيَة) لا يقبل التأويل مع وجود النص الصريح.

(١) صورة كتاب رئاسة مجمع اللغة العربية بدمشق برقم ٤١٣ وتاريخ ١٩٦١/١٢/١ المرسل الى وزارة التربية والتعليم.

ولذلك أعتقد أنه من المفيد ، أو من الواجب ، اذاعة بيان على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية في الدولة لكي تكتب اسم (سُورِيَة) وفاقاً لما جاء في الكتب القديمة المعوّل عليها ، أي بياء مخففة وتاء .

دمشق في ١٩٦١/١٢/١

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

مصطفى الشهابي

استدراك

ملاحظة على ص ١٣١ ج ١ مج ٣٧ من مجلة المجمع

جاء في آخر مقال الاستاذ عبد الله كنون « كما اشير الى انه ... جَمَع الخليل على اخلّة ونصت — نعت — هذا الجمع بثلاث وهو يعلم أن حقه الجمع على اخلاء ... وسبحان من لا يسهو ولا يغفل » .

اقول : وردت صيغة هذا الجمع في القرآن ومع أني لست من الحفاظ تذكرت قوله تعالى (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) وقوله « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة) وقوله (اشحّة على الخير) ، او (اشحة عليكم) هذا في الصفات المضاعفة وفي غير الصفات كثير : (وقالوا قلوبنا في اكنة) ، (واذ انتم اجنة) ، (يسألونك عن الأهلة) وفي الحديث (ملوكاً على الأسرّة) ويجري على الألسن (أدلة) والذي يتعلق بالموضوع القسم الأول ورأيي أن الأخلاء الواردة في القرآن أليق لأنها مألوفة بخلاف الأخلة ولكنها غير ممنوعة .

(بغداد) محمود الملاح

كلمة الأمير جعفر الحسني (١)

سيدي الرئيس سيداتي سادتي :

مما لا ريب فيه أن الموت سبيل كل حي ، منهم من يدفن معهم ذكرهم ، ومنهم الخالدون يحيون بآثارهم وصالح أعمالهم ، كما كانت عليه حياة فقيدنا الراحل الرئيس خليل مردم بك – تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنانه ، ومدّ في عمر رئيسنا خليفته وعمر السادة زملائه – فقد كان سجل حياة المرحوم حافلاً بالآثار الخالدة والاحدوثة الطيبة .

ليس الإحسان إطعام المسكين، وإيواء اليتيم ، وهدي الضالين فحسب ، انما إحسان المرء إلى أمته وعشيرته ، هو أجزل ثواباً ، وأبلغ أثراً من هذه وتلك ، وأي جميل يسديه الإنسان إلى وطنه أفضل من خدمة بلاده وآدابها ، وإحياء تراثها ، وبعث أمجادها . إن مناسبة لقائنا اليوم في هذا المجمع هي أثر من آثار الفقيد ، أعد لها في حياته عناصرها ، ومن الوفاء أن نذكر للمحسن إحسانه ، ويحز في نفوسنا الأسى لأن المنية أدركته قبل أن يشهد ثمرة ما سعى إليه .

سار الفقيد على سنة سلفه رئيسنا المرحوم محمد كرد علي ، يتحرى أخبار الأدباء الناشئين ، مستقصياً آثارهم ، وسابراً غور مواهبهم ، فأدنى من المجمع خيارهم ، وشملهم برعايته ، وشد عزائمهم ، وعهد إلى الراغبين منهم بمهامّ من أغراض المجمع ، يختبر بها خصائصهم ، ومدى استعدادهم لخدمة أمتهم وثقافتها وتاريخها . وكأنه رحمه الله يعد للمستقبل جيلاً من الأدباء العاملين ليصبحوا

---

(١) ألقاها يوم الخميس في ١ شباط ١٩٦٢ في حفلة استقبال العضو العامل الجديد الدكتور شكري فيصل .

في يوم من الأيام من المجمعيين ، وجنوداً يحرسون لغتنا وينهضون بثقافتنا .

وكان زميلنا الجديد المحتفى به الدكتور شكري فيصل أحد من اصطفاهم الفقيد ، وتوقع له مستقبلاً زاهراً في رحاب الأدب ، ورأى في باكورة مؤلفاته الأمل الذي ينشده ، فعهد إليه بعمل جليل تهيبه النابغون ، وأحجم عنه الأدباء العريقون ، وهو تحقيق كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للكاتب الكبير عماد الدين الأصفهاني ، صدر الكتاب بعد جهد ونصب ، ففاز بتقدير الأساتذة أعضاء المجمع ، ونال اعجاب كبار الأدباء ، وثناء النقاد المنصفين . فقد خدم الكتاب بطريقة دلت على سلامة بحث محققه ، وطول باعه وسعة علمه ، وكفاءته في معالجة هذا الكتاب وتذليل صعابه . ورفع هـذا الكتاب منزلة محققه إلى مصاف ثقات المحققين ، ومهّد له الطريق ليواكب كبار الأدباء والباحثين . وقد أبدت مؤلفاته وأبحاثه الكثيرة المكانة العلمية المرموقة التي توقعها له عارفوه .

وشاءت الصدف أن يختار القدر زميلنا الجديد ليحل مكان ذلك الرئيس الذي قربه ، وفسح له مجال الدخول إلى هذا المجمع ، وليحدثنا اليوم عن الراحل ، حديث العالم الخبير ، والوفي الأمين ، ونعم الخلف خير سلف .

ليس زميلنا الجديد دخيلاً على هذا المجمع او بعيداً عنه ، فقد قربته روحه المجمعية والخُلُقية المتأصلة في مواهبه وشمائله من أعضاء المجمع الذين قدروا علمه ، فرشحوه لعضوية مجمعهم ، وتقبلوا بالرضى تعيينه ، ورحبوا بانضمامه إليهم ، زميلاً عاملاً وعجداً . ولا بد أن تكون روح الرئيس الراحل مرتاحة لهذا الانتقاء ، وراضية عن هذا اللقاء .

ولد الدكتور شكري فيصل بدمشق عام ١٩١٨ ، وبدأ دراسته في مدرسة خاصة ، كان صاحبها ومديرها خاله المرحوم العلامة الشيخ محمود ياسين ، وكانت

على يديه تربيته ، وفي مجاله كان تفقهه ، وفي مكتبته كانت مطالعاته . ثم تابع الدراسة في مدرسة حكومية ، نال منها الشهادة الابتدائية .

كانت دراسته الثانوية في مدرسة التجهيز (مكتب عنبر) ، وكان اساتذتها صفوة رجال العلم والفكر والأدب واللغة ، تتلمذ في العربية على الأساتذة زين العابدين التونسي ، وابي الخير القواص ، ثم على الأستاذين الزميلين الراحلين محمد البزم وسليم الجندي ، وتلقى دروسه الدينية على الزميل المرحوم الاستاذ عبد القادر المبارك . ونال شهادة البكالوريا الاولى (القسم العلمي) سنة ١٩٣٦ ، ثم شهادة البكالوريا الثانية (قسم الفلسفة) سنة ١٩٣٨ . وانتقل بعد ذلك إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة (قسم اللغة العربية) ، ونال منها الشهادات الجامعية التالية : ليسانس في الآداب بدرجة الامتياز ، وماجستير في الآداب بدرجة جيد جداً ، وشهادة معهد اللهجات العربية « قسم اللغات الشرقية » ، وشهادة الدكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً ، كما حصل خلال ذلك على شهادة ليسانس الحقوق من الجامعة السورية . وكان من المتفوقين في جميع مراحل الدراسة ، متحلياً بالاخلاق الرضية ، محبباً الى أساتذته ورفاقه .

زار من البلاد العربية : الأردن ، والسعودية ، ومصر ، والسودان ، وقام برحلات ثقافية إلى اسبانية ، وفرنسة ، وبريطانية ، ويوغسلافية . وأوفدته الجامعة السورية إلى المانية ، بمهمة ثقافية ، تابع خلالها دراسة اللغة الالمانية ، وعني بدراسة المخطوطات العربية في بعض مكتبات جامعات المانية واختار طائفة من نفائسها لحساب مجمعنا .

وعمل بعد إنهاء الدراسة في الوظائف التالية : درّس اللغة العربية وآدابها في بعض المدارس الثانوية الرسمية ، وعمل ملحقاً ثقافياً في الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية في القاهرة . وعمل بعد عودته من القاهرة عام ١٩٥١ عضواً في لجنة التربية والتعليم ، ثم عين استاذاً مساعداً للأدب العربي القديم في كلية الآداب

في الجامعة السورية ومن بعد ذلك أستاذاً بلا كرسي . وترك الجامعة فترة ليكون عضواً في مجلس الأمة ، وعين عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية عام ١٩٦١ ، وصدر ، بعد انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة قرار تعيينه استاذاً في كلية الآداب في جامعة دمشق .

هذه هي يا سادتي نبذة من سيرة الزميل الكريم الوافد علينا . وهي قصة كل من نذر نفسه للعلم ، متنقلاً بين مقاعد الدرس والتدريس ، منقطعاً للبحث والتأليف ، لا يأنس الا بالكتاب والقرطاس والقلم ، ولم تنقطع حياته العلمية ، الا لفترة قصيرة ، يوم غادر مسلكه الثقافي ، وعين في مجلس الأمة ليعمل هنيهة من الزمن في ميدان الشؤون العامة ، التي استأثرت بجهوده ، واستبدت بأوقاته وصرفته عما اختص به من أدب واسع وعلم غزير . وإننا لنحمد الله على أن عاد إلى القاعدة التي انطلق منها ، ليواصل الرسالة التي نذر لها نفسه ، ويعمل مع العاملين في خدمة اللغة العربية وآدابها واحياء تراثها ، وبينهم مكانه ومجاله . وما أحوجنا إلى حراس يذودون عن سلامة لغتنا الفصحى ويردون عنها عادية الزائفين والمستهترين ، ومن أحق بالعناية بهذه اللغة الكريمة من أبنائها البررة أمثال المحتفى به وزميله ، وهذه اللغة هي ركن وحدتنا وعنصر أصيل من عناصر قوميتنا وسيادتنا ، جمعت ثروتنا الفكرية والنفسية ، ولا حياة كريمة للعرب من دونها ، لأن سيادة اللغة هي سيادة الأمة ، فيها عزتها ، ومنها تستمد قوتها ، وهي مهوى أفئدتنا وأرواحنا .

ولستم يا سادتي بحاجة إلى مزيد من التعريف بفضل زميلنا المحتفى به . ويعلم كل منكم عنه ما أعلم ، أطلت عنه مؤلفاته العديدة ، وأبحاثه الممتعة في الصحف والمجلات ، ومحاضراته القيمة في الأندية الثقافية وأحاديثه الشيقة في الاذاعات ، وليس بينكم من يجهل علمه وفضله وسمو أخلاقه وتواضعه وله بينكم الصديق والزميل .

وضع الزميل الكريم مؤلفات كثيرة تشهد على فضله ، وسعة علمه ، ودقة تحقيقه ، منها المدرسية والعلمية .

والمؤلفات المدرسية صنعها خلال قيامه بتدريس العربية في المدارس الثانوية ، بعضها وحده مثل كتاب « الفنون الأدبية » ، وبعضها مع زملائه مثل كتابي الزاد من الأدب العربي ، والنصوص الأدبية بجزئيه .

وأما انتاجه العلمي فهو :

١ — مناهج الدراسة الأدبية .

٢ — المجتمعات الاسلامية في القرن الأول وتطورها اللغوي والأدبي .

٣ — حركة الفتح العربي في القرن الأول .

٤ — مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام .

٥ — خريدة القصر وجريدة العصر (الجزء الاول والثاني) قسم شعراء الشام

٦ — بحث عن نثر شوقي .

٧ — بحث عن الشاعر القروي .

٨ — تطور الغزل العربي بين الجاهلية والاسلام .

٩ — الصحافة الأدبية في سورية .

فأهلاً بك أيها الزميل الكريم والصديق الوفي ، حللت بيننا جندياً مناضلاً ، تتطلع اليك أمتك وآداب لغتك لتأدية رسالتك الشريفة بما عهدناه فيك من أمانة ونشاط وإخلاص ، وتشارك هذا المجمع في مهامه المقدسة .

جعفر الحسني

كلمة الدكتور شكري فيصل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي الأجلاء

منذ نحوٍ من ثماني عشرة سنة ، حين قادتني خطاي في كثير من الحياء والتهيب إلى هذه المنصة أواجه جمهوراً من الناس في واحدة من المحاضرات التي كان يدعو إليها مجمعكم الموقر ـ لم يكن في الذي أطمح إليه أو أفكر فيه أن تلتقي أيديكم الخيّرة السمحة ، في ثقة وطمأنينة ، على أن تأخذ بيدي إلى هذه المنصة ذاتها ، لا لأحاضر ، وإنما لأشكر لكم — بالدمعة المترقرقة لا تستهل ، واللسان الحيّ لا يبين — أنكم فكرتم بي حين فكرتم في أقدس المهمات التي تضطلعون بها ، مهمةِ الحفاظ على اللغة ؛ وأنكم أشركتموني في أكرم جهاد ، هو الجهاد في سبيل العربية ؛ وأنكم أحللتموني منكم هذا المحلّ الكريم الذي أقصر عنه .. ولكني آمل أن أكون كفاءً له .

ولئن تعثرت بي الخطى أولَ الأمر في هذه المسافة القصيرة بين مقعد المستمع وموقف المحاضر ، فقد كان يمازجني بعدُ شيءٌ من اطمئنان عميق .. ذلك أني كنت أحسّ أن قلباً كبيراً يملؤه العطف والحب كان كأنما يرعاني ويحوطني ، ويبصّرني الطريق ، ويتمنى لي الخير الواسع العريض .. لم أكن قادراً على أن أنظر اليه ، ولكنما كنت أجد في نفسي خلال ساعة كاملة وأنا

(١) ألقاها الدكتور شكري فيصل العضو العامل الجديد يوم حفلة استقباله .

أحاضر — جناحه المبسوط ، ورعايته الضافية ، ونظرته التي كانت مزيجاً رائعاً محكماً من التشجيع والتقدير .

وحين انصرف الناس كان هذا الانسان الكريم الذي أحسستُ وجوده في وجودي ، وتنسمت عطفه — وأنا أعاني للمرة الأولى مثل هذا الاختبار — نفحة ربيعية عطرة — يشدّ على يدي ويأذن لي أن أكون معه في غرفته ويتيح لي ، في مباسطةٍ حلوة رصينة وحديثٍ قيم غنيّ ، أن استشعر الرضا والسعادة .

أليس من الحرج أشد الحرج ، أيها السادة الأجلاء ، أن أجدني اليوم ، وبعد كل الذي كان من تعاقب السنين والأحداث ، مسوقاً إلى أن أتولىّ أنا الحديث عنه دون أن تكون لي بعض قدرته ، وأن أمضي أقترب من مكانه دون أن يكون لي بعض مكانته ! .

هل لي بعد هذا من حاجة إلى أن أسألكم الصفح إن تعثرت بيَ الخطى كذلك هذه المرة ، وقعد بي تهيبُ زميلكم الراحل عن الوفاء بحقه ، وأثره عن الاحاطة بفضله ؟

ولولا أن هذا الأمر في حديث السلف عن الخلف تقليدٌ من تقاليد مجمعكم الموقر لرجوتُ أن يكون لي عنه مندوحة .. ولكنْ عينا خليل مردم اللتان كانتا تنظران إليّ وأنا أرقى هذه الدرجات أول مرة ما ماتتا .. إن بريقهما الذي كان متصلاً بما وراء الغيب ، نافذاً إلى ما وراء المدى ، لا يزال هو البريق .. وحفنة تراب لا تذهب به .. فما يموت الخالدون ، وانما يبدءون خلودهم ساعة يقال إنهم ماتوا .. ذلك أنهم أضحَوْا ـ بالذي خلّفوا من أثر ، وأحدثوا من أدب ـ جزءاً منا ، من تاريخنا وإرثنا .. إنهم في الهواء الذي نشمه ، والروح التي نحيا بها .. اننا بضعة من هذه الأرواح التي تملأ هذا المكان ، منذ كان .

* * *

أيها السادة

لم يكن ذلك أول عهدي بالمجمع .. فقد كنا نراه في غدوّنا ورواحنا .. كان في نظرنا — نحن الذي كنا نسكن الظاهرية ونساكن آلاف الأرواح فيها ، ونصغي إلى آلاف الأصوات الغامضة التي تحتمي بها ، وتتراءى لنا صور من أحلامنا ومستقبلنا في كلّ صفحة كتاب منها — كان المجمع في نظرنا هذا الصرحَ المردّ .. وكأنما صيغ من عالم آخر .. كان يُخَيَّل إلينا أن حجارته غير الحجارة ، وأن جدارنه غير الجدران ، وأن أبوابه غير الأبواب .. كنا نختلس النظر إلى البحرة التي تتوسط باحته وكأنما هي غدير ، منبعه ما وراء الأفق ، وتتراءى لنا شجيراته وكأنما هي من شجر الجنة .. وحين كان يقدّر لنا أن نستمع إلى محاضرة فيه فقد كانت تلك في عرفنا رحلة من هذه الرحلات الأسطورية المثقلة بالغرائب والغنائم .. وهل من عجب ؟.. أليست كتب الظاهرية التي كنا ننفق فيها بياض النهار تثقّفنا ، وشيئاً من سواد الليل تُمتعنا ، هي من صنع مثل هؤلاء الكملة الفضلة الذين يدخلون إليه في ماتع الضحى ويخرجون وقد زال النهار ؟

أيها السيد الرئيس

هذه الصورة الأسطورية في عقولنا الغضة ونحن في طراوة العمر ليست من الخيال في شيء .. إن بينها وبين الحقيقة هذا النسب الموصول .. ولكننا نحن الذين كنا نخلّل في طفولتنا هذه الحقيقة هذا التمثل .. إن مجمعكم الكريم ليس بناءً من البناء ، ولا ندوة من الندوة .. وإنما هو هذه المثابة التي صاغتها أحلام العربية وتطلعها ، وأقامت أحجارَها — طبقة بعد طبقة — آمالُها العراض في أن يكون لها ، لا مثلُ حياتها التي كانت لها ، وانما مثل سيادتها وغلبتها كذلك .. إن أبوابها لا تقود إلى مثل ما تقود إليه الأبواب من غرف

ومكاتب ، وانما تقود إلى مثل ما تقود إليه المساجد من عبادة وتبتُّل وانقطاع الى الله ، في قرآنه المبين وفي لغة هذا القرآن المبين ، في عربيته التي دعا إليها وفي الإرث الذي خلّفته هذه العربية .. إن الانسان حين يتقدم إليكم ، إلى هذه المحاريب التي يتناثر فيها الحرف العربي ، يغلبه على وجوده العاديّ الكثيف وجودٌ مقدس شفاف ، وانه ليلقي هـذا في قلبه صفاء ، وفي عقله نقيًا ، وفي عينيه ألوانًا غير الألوان .. إنكم — أيها الخالدون — لستم ناسًا من الناس وانما أنتم الصفوة من الناس الذين أراد الله لهم أن يحملوا طرفًا من دعوته ، وألقى عليهم هذا العبء في مثل هذه السنّ التي يحسّون فيها الحاجة إلى أن يستريحوا من عناء ، وأن يخلدوا إلى راحة ، وأن يباعدوا ما بينهم وبين الإرهاق فاذا هم مقبلون على العناء الأشدّ ، مصروفون عن الراحة الى العمل ، واذا هذا الإرهاق النقيّ يعاودهم فيكون له في نفوسهم أطيب مذاق ، واذا هم يألفون ، في رضى وسماحة وايمان ، هذه الحياة الجادّة التي لا تعرف إلاّ العمل تقبل عليه حين تكون فيه ، وتفكر فيه حين تُصرَف عنه ، وتحيا به مع كل ساعة من ساعات اليقظة والنوم في الليل والنهار .

* * *

قلتُ إنّ أمسية السابع من نيسان من عام أربعة وأربعين وتسعمائة وألف لم تكن أول صلتي بالمجمع .. واسمحوا لي كذلك أن أقول إن الحديث الطيب الذي سمعته في أعقاب المحاضرة من الرئيس الراحل لم يكن أول حديث .. فقد لقيته قبل ذلك بأعوام .. لا أطمع أن يعرفني ، ولا أتطاول الى معرفته .. لقيته في طائفة من الكتب والدراسات التي كان يصدرها عن بعض أعلام الشعر والنثر ، وفي طائفة من المجلات والجرائد .. وكان أولَ ذلك كتابٌ أهدته إليّ مدرسة التجهيز — سقيًا لأيامها وأساتيذها — عن الجاحظ يحمل اسم الخليل ،

ولا يزال في أوراقي عدد جريدة القبس في ٢٧ أيار من سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وألف الذي يحمل في صفحته الأدبية — أيام كانت الصحافة تعيش في حضن الأدب — قصيدته الرائعة : البحر .. وفي مكتبة خالي محدث الشام وعالمها الاستاذ الشيخ محمود ياسين ، طيب الله ثراه ، قرأتُ خليل مردم في مجلة الميزان والرابطة الأدبية ، وفي مجالسه التي لا أعرف أن مثلها كان في دمشق كلها بحثاً ومدارسة ، طرافة وعمقاً ، مشاركةً في ألوان الثقافة الاسلامية والأدبية ومتابعة للانتاج المطبوع على اختلافه — في هذه المجالس عرفت الخليل في مجلة الثقافة ، عرفت مقطوعته عن الجمال ، وقصيدته المنثورة عن الشاعر ، وصفحات من الشعر كان ينشرها بين الحين والحين .

* * *

أيها السادة

أترون أني إنما حدثتكم عن الخليل من لدن أن عرفته .. أتعتبون عليّ أني لم أمض في هذا الحديث على نحو من التأريخ المتصل والترجمة المتلاحقة .. لكم ذلك .. وإني لأعترف به واعتذر — إن شئتم — عنه .. فاسمحوا لي أن أبدأ هذه السيرة النيرة من مطالعها الأولى .

بين التاسع من المحرم من عام ١٣١٣ هـ وبين الخامس عشر من المحرم من عام ١٣٧٩ كانت حياة الأستاذ الرئيس خليل مردم بين الناس .. أما حياته قبل ذلك فقد كانت موصولة في أصلاب أسرتين من أكرم أسر دمشق وأغلاها هما أسرتا مردم بك والحزاوي .. وأما حياته بعد ذلك فستظل قائمة في ضمير كلّ هذه الأجيال التي تتعاقب في هذا الوطن الطيب ، تترنم بالذي أهدى إلى غوطتها من نشيد ، وأضفى على بردها من غناء ، وسجل لبطولاتها من

روائع ، ووقف حياته على أدبها ولغتها وتراثها، حفاظاً عليه ، وإغناء له ، وكشفاً عن خبيئه .

وما أريد أن أملأ الوقت - وزميلي الاستاذ المبارك يرقبني - بدراستي لحياته وشعره .. سأخلّي بيني وبين الذي كتبت .. وسأروي لكم حياته على النحو الذي كتبه بيده ، في أسلوب يملؤه التواضع الجمّ والحياء العفّ ، وسأقف بكم عند مواقف من شخصيته وشعره .

حياته :

ولدتُ بدمشق ليلة أول تموز من عام ١٨٩٥ ، وقبل أن أبلغ السابعة من عمري جعلت أذهب إلى الكتّاب في سنّ مبكرة جداً مع ابناء عمّي ، ولما تجاوزتُ العاشرة من عمري دخلت مدرسة الملك الظاهر الابتدائية الرسمية وانتقلت منها بعد ثلاث سنوات الى المدرسة الإعدادية ، ولم أمكث بها الا سنة وبعض السنة فتركتها لأن مدارس الحكومة وقتئذ لم تكن تعنى بالعربية ، وشرعت أتلقى دروساً خاصة في العربية وآلاتها ، كما أخذت طرفاً من الفقه عن الشيخ الجليل عطا الكسم وطرفاً من الحديث عن الشيخ الجليل بدر الدين الحسني .

وكنت مع بعض رفاقٍ لي في الطلب نجتمع في أوقات معينة لمراجعة الدروس ومطالعة بعض كتب الأدب، وكان أكثر اعتمادي على دراستي الخاصة .

وكنت منذ عقلت على نفسي أجدني ميالاً للشعر وقراءته وحفظه ، وقد بدأت أقول الشعر قبل أن أبلغ خمس عشرة سنة من عمري . واتفق أن والدي اطلع على شيء من شعري فنهاني عن قوله حتى أدرس العربية .

ولما جلا الأتراك عن دمشق أواخر عام ١٩١٨ وقامت الحكومة العربية

سميت مميّزاً لديوان الرسائل العامة ، وفي سنة ١٩١٩ عينت مدرساً للانشاء في مدرسة الكتاب والمنشئين التي جملتها الحكومة لأموريها خاصة ، ولما أعلن استقلال سورية الأول وبويع الملك فيصل ملكاً عليها وتألفت أول وزارة سورية سنة ١٩٢٠ نقلت من ديوان الرسائل وسُميت معاونا لمدير ديوان الوزراء . وبعد ان دخل الجيش الافرنسي دمشق وبرحها الملك فيصل صُرفت من عمل الحكومة .

وفي ١٩٢١ أسس الادباء في دمشق جمعية الرابطة الأدبية فانتخبت رئيساً لها ، وكان من أعمال هذه الجمعية أن أصدرتْ مجلة الرابطة الأدبية ، ونشرتْ كتاب معاني الشعر الاشناندانى ، ولي فيهما عمل .

وفي ١٩٢٥ انتخبت عضواً في المجمع العلمي العربي وكانت أطروحتي كتيب شعراء الشام في القرن الثالث .

ودرست بدمشق اللغة الانجليزية مدة يسيرة ثم ذهبت في أيلول ١٩٢٦ الى لندن لأدرسها بين أهلها فمكثت في لندن ثلاث سنوات حضرت في أثنائها محاضرات في اللغة الانجليزية وأدبها بجامعة لندن فضلاً عن الدروس الخاصة التي كنت أتلقاها هناك وعدت الى دمشق في تموز ١٩٢٩ .

وفي أواخر هذه السنة شرعت أدرّس الادب العربي في الكلية العلمية الوطنية واستمر عملي بها تسع سنوات ألفت أثناءها سلسلة أئمة الأدب العربي ظهر منها خمسة أجزاء وهي الجاحظ ، وابن المقفع ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد والفرزدق .

وفي سنة ١٩٣٢ أصدرت مع الدكاترة جميل صليبا وكامل عياد وكاظم الداغستاني مجلة الثقافة ، فعاشت سنة واحدة .

وفي سنة ١٩٤١ انتخبت أمين سر عام للمجمع العلمي العربي .

وفي ١ تموز من سنة ١٩٤٢ عُهد إليّ بوزارة المعارف .

وأعيد انتخابي لأمانة سر المجمع سنة ١٩٤٨ .

وفي سنة ١٩٤٩ انتخبت عضواً مراسلاً لمجمع فؤاد الاول في القاهرة .

وفي السنة ذاتها انتخبت عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العراقي .

وكذلك عهد إليّ في سنة ١٩٤٩ بوزارة المعارف والصحة .

وقد حققت ديوان ابن عنين «من مطبوعات المجمع» سنة ١٩٤٦ .

كما حققت ديوان علي بن الجهم وجمعت تكملة له «من مطبوعات المجمع» سنة ١٩٤٩ .

وحققت ديوان ابن حيوس في جزئين صدرا في مطبوعات المجمع سنة ١٩٥١ .

ثم حققت بعد ذلك ديوان ابن الخياط ، وقد صدر في مطبوعات المجمع سنة ١٩٥٨ .

ولي ديوان شعر لم يطبع بعد ولكنّ أكثر قصائده منشورة في الجرائد والمجلات العربية ، كما ترجم بعضها الى اللغتين الانكليزية والفرنسية (*) .

وفي سنة ١٩٥١ عينت وزيراً مفوضاً لسورية في بغداد .

وفي السنة نفسها انتخبت زميل شرف في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ، كما انتخبت عضواً مساعداً في تحرير دائرة المعارف الاسلامية .

وفي سنة ١٩٥٢ انتخبت عضواً في مجمع البحر المتوسط في بالرمو .

وفي سنة ١٩٥٣ انتخبت رئيساً للمجمع العلمي العربي بعد وفاة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي .

وفي السنة نفسها عينت وزيراً للخارجية ولما سقطت الوزارة انصرفت الى العمل في المجمع .

وفي سنة ١٩٥٦ انتخبت زميل شرف في جمعية البحوث الاسلامية في بومباي .

وفي أواخر السنة نفسها انتخبت عضواً مراسلاً للجنة الدولية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي في باريز .

(*) طبع الديوان بعد وفاة الفقيد باشراف ولده الصديق الكريم الأستاذ عدنان مردم بك ، وصدر في مطبوعات المجمع سنة ١٩٦١ .

شخصيته :

تلك — أيها السادة — حياته ، فماذا عن شخصيته ؟

الحق أن شخصية خليل مردم موكب رائع من مكارم الخلق ، يستعلي فيه : تعففه ، ونبله ، واتزانه .

أما تعففه فكان يلف حياته العامة والخاصة .. كان لا يتطلع إلى شيء وانما كانت الأشياء تجري إليه بمقدار .. وكان لا ينظر إلى ما عند غيره فقد كان غنياً بالذي عنده ، مطمئناً الى جدواه ، راضياً عن نهجه .. وكان يرى أن مكانه من العلم فوق مكانه من السياسة ومن ناسها ورجالها واحداثها ولذلك كانت هذه السياسة تسعى إليه ، وتذل لهذه الهالة المقدسة التي تحوطه .. وكان في معتصمه من ثروته وعمله فيها لا يصدر عن رغبة في الاستزادة منها ولا طمع في تنميتها ، وانما عن استجابة لهذا التعفف حتى يظل له — والناس هم الناس — تمنعه وإباؤه .

وأما نبله فقد بدا في صلاته بذوي السلطان فكان ترفعاً عنهم ، وفي صلاته باخوانه فكان وفاء لهم وبراً بهم من حيث لا يدرون .. لم يكن يسمع الكلمة النابية بله أن يقولها .. وكان أقرب إلى الصمت فاذا تحدث لم يقل إلا خيرا .. وما عرف الذين خالطوه والذين عملوا معه أنه تعمد النيل من إنسان أو الإساءة إليه ، وربما سمع الاساءة ممن هم دونه فأغضى عنها .. وكذلك يفعل الذين تكون أصالتهم هي التي تقودهم ، ولا تكون المناصب الموقوتة أو الأحقاد الخبيثة أو الأهواء الجامحة أو غفلات الزمن — ولكن الزمان يغفو ليصحو — هي التي تملي عليهم سلوكهم ، وتشق أمامهم طريقهم .

وأما اتزانه وأناته فقد كان يصدر دائماً عن رأي ويمضي دائماً إلى غاية .. لم يكن يتيسر الأشياء ولا يقتضبها .. ولم يكن يتكلم حيث يقتضي الصمت ،

ولا يحكم حيث يقتضي التوقف ، ولا يبدي الرأي حيث لم يبدُ له الرأي .. كانت كرامتُه ، كرامةُ المعرفة والفكرة ، وشرفُه شرفُ الكلمة والقصيدة ـ أسمى من أن تُسخَّر لشهرة زائفة أو غرض زائل .. ولذلك كان اتزانه وكانت أناته بعضَ هذه الشخصية الوادعة التي تؤثر على الصخب الهدوء ، وعلى الوثب التدرج ، وعلى الثورة التطور ، وتفضل الوقوف والتريث أو الانطلاق من المبدأ إلى الغاية على الانطلاق الذي لا بداية له ولا غاية .

وجملة ما يقال في هذه الشخصية أنها شخصية مثلث الحكمة فوهبتها الحكمة وداعتها ودماثتها والجانب الليّن منها ؛ وتمثلت بها فاذا الحكمة ماؤها الذي به ترتوي ورُواؤها الذي به تتألق ، واذا الحكمة طابع الحياة ، تصدر الحياة عنها وتغتذي بها وتنتسب إليها .

ومعما يكن مصدر هذه الحكمة أكان الحذرُ بعضَ ينابيعها ، أو كانت الترويةُ والتفكير بعض ينابيعها ، فانها تظلّ ، على اختلاف مصادرها ، تتوّج سيرته ، وتحكم سريرته ، وتضفي على سلوكه هذه المهابة وهذا الإكبار .

وحول هذه الحكمة كان يطوف هذا الموكب الرائع من أخلاق خليل مردم ، وفي محاورها يدور .. إن حكمته هي التي جعلت نبله تواضعاً ، وصيّرت تعففه وترفّعه إباءً ، ومنحت اتزانه واناته هـذا التقدير .. إنها لم تكن تلقيناً ولا مُدارسة ، وانما كانت أصالة وطابعاً .. لم تكن قطّ أبياتاً من قصائد ، أو قصائد من ديوان ، وإنما كانت سلوكاً في حياته ، ونهجاً في تصرفاته ، وخطة في معاملاته .. انها هي التي منحته هذا الاعتدال الذي نملك ، مطمئنين ، أن نقول عنه إنه كان أبعاد حياته كلها طولاً وعرضاً وعمقاً .. حتى ليبدو ، في مثل حكم النادر ، أن نجد إنساناً له مثل اعتدال خليل مردم الذي تظهر شواهده في كل سلوك ، وتتبدى أدلته في كل تصرف .

بل إن حكمته في سلوكه هي التي استطاعت أن تقصر حيث كان يجب عليها أن تقصر ، لتوائم ما بينها وبين الشعر .. إنها لم تطغ على شعره لأن بين الشعر وبين الانفعال هذا النسبَ المتشابك المتلاحم .. وقد تكون ألقت على هذا الانفعال بعض الظلّ ؛ وقد تكون جعلت منه ، في بعض مناحيه ، الانفعال الحكيم ، إن صحّ التعبير .. ولكنها ظلت بعيدة أن تسيطر عليه سيطرة قاتمة داكنة .. إنها تركت له لحظات الإلهام والاشراق ، وساعات التوتر والقلق ، وليالي الطيف والأرق ؛ وان كانت كفكفت من حدتها .. واستطاعت هذه الحكمة ذاتها أن تجمع فيه بين سلاسة البحتري وقوة أبي تمام ، وان تؤلف عنده بين المتنبي الشاعر والمتنبي الحكيم ، وأن تجمع عليه بين المعرّي الشاعر الثائر والمعرّي الكاتب الثائر .. بل إنها هي التي ألفت بينه وبين ذاته شاعراً ودارساً في آن واحد .. والانسان الحكيم في الرئيس الراحل استطاع أن يقف حيث أراد له الانسان الشاعر ، وأن يلتقي به حيث أراد أن يلتقي ، وأن يتزاوج معه أو يتعاقب حيث استطاب هذا التزاوج والتعاقب .

أليست الحكمة والشعر ـ أيها السادة ـ هبتين من هبات السماء ؟ .. ألم يكن الخليل في ذلك واحداً من هؤلاء الذين ربتهم السماء ؟! .

شعره :

بقي أيها السادة أن أتحدث إليكم عن شعره . والحديث عن شعر الخليل تأريخ ونقد ومناقشة لكل شعرنا المعاصر .. وما يتسع لذلك وقت . وأحسب أنه يرضيكم أن اجتزئ بنقطتين : نظرته الى الشعر ومذهبه الشعري ..

١ ـ نظرته الى الشعر :

قد تكون نظرة خليل مردم الى الشعر متعددة الجوانب .. ولكن قوامها يتركز

في أن الشعر عنده لم يكن للمناسبات الطارئة وانما كان للأحداث الخالدة أو الأحداث التي تترك آثارها الخالدة في نطاق الفرد أو الجماعة على السواء .. ولذلك كان هذا الشعر لا يُصاغ ليُنشد ، وانما يُصاغ — أغلب الظن — ليقرأ .. وأنه على حدّ تعابير نقادنا القدماء إنما يقال تأدبا أو تطربا ولا يقال تكسبا .. قد يزيد التكسب الشعر حماساً أو ضجيجاً ، وقد يحكم موسيقاه الخارجية ، ولكن موسيقاه الداخلية تظلّ وفيها بعض الخلل من أثر هذا التناقض بين الاداة الرفيعة الخالدة وبين الغرض التافه العارض .

والفرق كبير في العمل الشعري بين أن اتمثل الجمهور يستمع إلى إلقاء القصيدة ويتذوقها وأن أصوغ القصيدة بوحي من هذا التمثل ، وبين أن أفكر في اللحظة الهادئة يخلو فيها انسان مثقف يقرأ هذه القصيدة مكتوبة ليستمتع بها ويتذوقها .

والفرق كبير بين التفكير في صدى القصيدة وعائدة هذا الصدى ، وبين التفكير في الذي يكون لها من رنين في ضمير المستقبل .

والفرق كبير كذلك بين العبودية للشهرة في العمل الفني ، وبين التعبد في محاريب هذا العمل الفني .

وخليل مردم كان من أولئك الذين حدّدوا نظرتهم الى الشعر على أنه فنّ ، وصناعة رفيعة ، وجمهور قد لا يكون كبير العدد ولا قريبَ التأثر دانيَ الانفعال ، ولكنه يملك قلبه ، في مكانه من عالمه الداخلي ، دون أن ينتزعه ليجعله على أطراف أذنيه .. وقد يكون هذا الجمهور أفراداً من كل طبقة ولكنه ليس وقفاً على طبقة بعينها .

هذه النظرة إلى الشعر هي التي قادت خليل مردم إلى مذهبه الشعري فما هي معالم المذهب ؟

ب — مذهبه الشعري :

في الوسع أن نقول إن ركيزة هذا المذهب ، عموده الفقري ، التثقيف بكل مظاهر التثقيف ، وبكل الذي يقود اليه من مسالك العمل الدائب الواعي .. بالأناة التي يفرضها ، وبالروية التي يلتزمها ، وبالايجاز الذي يقود إليه وينطوي فيه .. بالإثارة الحكيمة — إن صحّ هذا الجمع بين الاثارة والحكمة — التي يأخذ بها ، بالنظرة التي تزاوج بين العقل والقلب ، فتخرج بالسخرية عن الثورة ، وبالتهكم عن الصخب ، وبالمقارنة والمشاكلة عن الغيظ المستشيط .. بكل هذه المظاهر وأمثالها من التثقيف الذي لا يناهض الطبع ولكنها يسانده ، ولا يخاصمه وانما يعاضده ، ولا يقف منه موقف النقيض وانما يتكامل معه حتى تكون منهما هذه اللحظات البارقة في أفق الشاعر ، فيها النار والماء في آن .

وقد يخيّل إلينا أحياناً أن بين الطبع والتثقيف شيئاً من عداوة ، وقد تتمثل هذه العداوة في أذهاننا في صورة الشاعر الذي يُبدي ويعيد ، ويُثبت ويمحو ، ويكتب ويشطب .. ومثل هذه الصورة الظالمة هي التي تخرج بالتثقيف عن معناه ، وتضع له هذه الظلال الكابية ، وتربط بينه وبين العبودية في الحديث عن عبيد الشعر ومحككيه .. على حين ان التثقيف ، في حقيقته ، ليس إلاّ هذا التخمير المادئ لكلّ هـذه الأجواء النفسية التي تأتي من لقاء ما بين عالمنا الداخلي والعالم الخارجي .. إنه ليس إلاّ هـذا الإعداد البطيء للخروج بالذي نهمس به في أعماقنا من منطقة النجوى الداخلية إلى منطقة البث حيث ترتسم الكلمة على الشفة ، ومن نبض الجنان الى نبض اللسان .. ومثل هذا التثقيف لا يمكن أن يكون موضع عداوة للطبع وانما هو صداقة له وتعميق ، حتى يكون فوق أيّ طبع آخر .. إن التثقيف ليس عبودية بحال

وإنما هو تعبد .. انه ليس انغلاباً ، وإنما هو غلبة تتيح للعمل الفني أبعد آماده من الإحكام .

* * *

مثل هذا التثقيف ، وقد رأينا أنه كان بداية الشاعر ومنطلقه ، هو الذي حقق لخليل مردم انتصاراته الثلاثة : في الوصف وفي وحدة القصيدة وفي سلامة اللغة والتراكيب .

أ — فأما في الوصف فنحن ، نقادا ومتذوقين ، مجمعون على أن خليل مردم كان واحداً في مقدمة الوصافين عندنا ، في ماضي أدبنا العربي وفي حاضره ، استطاع أن يقود الشعر خطىً فساحاً في هذه الطريق الوعرة التي لا يقوى عليها إلاّ الأقلّون .. لقد كان الوصف ذروة يصل إليها الشعراء ثم ينحدرون عنها ، يبلغونها ثم لا يتمكنون منها ، فيقْصرون .. يحتالون عليها بهذا الحشد من الانفعال الذي يقوّون على سرده ، ولكنهم لا يقوون على وصفه .. وتسعفهم فيه التعابير المتبعة ، ولكن لا تسعفهم فيه الصورة المبتدعة .. فلما كانت هذه المدرسة الشعرية الحديثة التي كان الاستاذ الرئيس علماً من أعلامها ، استطاع الوصفُ ، من حيث هو غاية وأداة في آن واحد ، بكل الذي يدفع اليه من دقة وعمق ونفاذ — استطاع الوصف أن يكون مظهراً من مظاهر تطوّر الشعر العربي نحو آفاقه الأرحب .

والحق أننا نسيء إلى الوصف حين نفهم منه أنه الصورة بمعناها القريب أو أنه الصورة في مظاهرها المختلفة من التقاط هذا الشبه ، أو اقامة هذه الاستعارة .. ذلك أن الوصف أرحب أفقاً وأبعد مدى .. لأنه قدرة على إحكام النظرة وبراعة الالتقاط وروعة العرض وكمال المشهد .. إنه بهذا المعنى ليس خصماً للانفعال ولكنه قدرة على تبطين هذا الانفعال في مطاوي العملية الوصفية .

وما أشد ما أتمنى لو أتيح لي أن أقرأ معكم قصيدة من هذه القصائد التي قالها خليل مردم في الطيف ، أو في البحر ، أو اغنية سكران وسكرى ، أو البرق .. ولكني أميء الأمنية ، وأنتم أقدر مني على استحضارها وتذكرها .

ب — وأما في وحدة القصيدة فقد استطاع خليل مردم أن يؤكد هذه الوجهة الجديدة للقصيدة العربية وأن يضع يده على حقيقة كبرى من حقائق العمل الشعري الحديث حين خرج بالقصيدة من أغراضها الكثيرة الى الغرض الواحد ، وحين جاز بها أن تكون تعبيراً عن كل ما يجيش في نفس الشاعر إلى أن تكون تعبيراً عن موضوع واحد يَجْتَمِع عليه ذاته كلها من كلّ أقطارها .

إن القصيدة العربية في صورتها التقليدية مزيج متشابك من الأغراض ، يختلط فيها العارض بالأصيل ، والكليّ بالجزئي ، ويضيع فيها جانب التوحد في جوانب الكثرة ، وتظهر فيها النفس من جوانبها كلها .. فاذا هذا المزيج يوحي كامل يجمع بين الأهواء والرغائب ، والحب والحرب ، والاطلال والوصال ، والمديح والافتخار ، ويضع الحدث اليومي إلى جانب الحقائق الخالدة الكبرى التي تقع عليها في طريق الحياة .

واذا كانت قلة من شعرائنا على مدى تاريخنا الأدبي الطويل استطاعت أن تخلص من ذلك حين قصرت قصيدتها على الغرض الواحد ، واذا كانت هذه القلة استطاعت أن تضع وحدة القصيدة الى جانب تكثرها ـ فان عمل هذه القلة لم ينته إلى أن يكون « أصلاً » أو « تقليداً » من أصول الشعر العربي ، وانما ظلّ التقليد السائد أن يجمع الشاعر بين الغرض والغرض وان يرى في القصيدة

الواحـدة متنسماً لكل همسة أو نبض .. وظلت « الوحدة النفسية » — مفتعلة كانت أو عفوية ، مقلدة كانت أو أصيلة — هي الأصل .. فلما جاء العصر الحديث ، بهذه القيم التي تناهت إلينا فيما تناهى من الغرب ، كانت وحدةُ القصيدة العضويةُ ، وحدةُ موضوعها ووحدة تكوينها ، من بعض هذه القيم .. أخذ بها المحدثون من النقاد ، والمحدثون من الشعراء ، وألحّ عليها العقاد والمازني وشكري ، واستجاب لها كثرة من شعراء المهجر ، وامتلأت بها أجواؤنا العربية ، وكان الشاعر الخليل في بلاد الشام في مقدمة الذين تنبهوا إليها وصدروا عنها .. كان حسّه المرهف هو الذي ساقه إليها ، وكانت نظرته المحكمة هي التي قربت بينه وبينها .. فاذا قصائده — في كثرتها الكاثرة — من هذا النمط الذي يربط فيه الشاعر بين نفسه كلها وبين موضوعه كله .. واذا هو لا يعتبر القصيدة ميداناً للقول في كل موضوع ، وانما هي ميدان للاستغراق في موضوع واحد .. تدور معه أحاسيسه ومشاعره ، ويجتمع عليه عقله وقلبه ، وتتجاوب كل جزئية منه مع كلّ جزئية من نفسه ، في تناسق وتعادل واستواء .

وليس سهلاً ولا يسيراً ، أيها السادة ، أن يستطيع الشاعر هذه النقلة من أجواء القصيدة العربية وأن يفلت من ظلالها .. وليس بالهين ولا القريب أن يملك الشاعر الذي ألِف التراث العربي وفقهه وعاناه هذه المعاناة الكاملة ، وبدأ منه انطلاقه ، وتابع في دروبه خطاه ، وتمثل شوارده وأوابده ، وعاشر جاهليه وإسلاميه ، وربط ما بينه وبينه بالاسباب القوية التي لا تنفصم ولا تبلى ، واستبدت به مفاهيمه وأساليبه ونظرته — ليس بالهين ولا القريب أن يكون مثلُ هذا الشاعر قادراً على أن يولّيَ وجهه قِبَل هذه الوجهة الجديدة ، وأن يغادر مفهوماً إلى مفهوم ، وأن يخرج من أسلوب إلى أسلوب ، وأن يستبدل

بالنظرة النظرة المخالفة ... فاذا استطاع ذلك على هـذا النحو من الهدوء والاتزان، بعيداً عن صخب الثورة، بعيداً عن جفاء الزبد، بعيداً عن مسالك التشكيك والإثارة التي يلجأ إليها أولئك الذين لا يعرفون ما يعنون .. إذا استطاع ذلك في مثل هذا الحفاظ الرائع على روح اللغة العربية ومقدساتها ؛ فإن أقل ما يوصف به عمله أن الخليل كان في هذا النحو رائداً من الرواد الذين يشقون الطريق الجديدة من ضلع الطريق القديمة، ويزاوجون بينها وبينها في مؤالفة رائعة، ويفتحون سبيل الشعر بما عليه منطق التجديد الذي لا يعرف التنكر، والحفاظ الذي لا يعرف الجمود .

ج — وأما في سلامة اللغة والتراكيب وفي الحفاظ على أقدارنا اللغوية فقد كان خليل مردم حريصاً على هذه السلامة مندفعاً وراء هذا الحفاظ .. كان يعتقد أن اللغة ليست ملكاً لواحد بعينه من هـذا الجيل أو من جيل آخر يتصرف بها كيف يشاء .. يشتتها ويفتتها ويطيح بنظمها ويعرضها إلى الفناء .. ليست ملكاً لهؤلاء الذين يثورون بها على حين يدعون الغيرة عليها، ويفصمون وحدتها على حين كل قوتها في وحدتها .. وانما هي ملك لكل هذه الأجيال العربية المتلاحقة منذ كان أول صوت عربي حتى يرث الله الأرض ومن عليها .. وأنها لذلك يجب أن تبقى متصلة متماسكة ينقل بها الجيل عن الجيل تجربته ومعرفته، وينضاف عن طريقها جديد إلى قديم، حتى تظل ولها في نفوسنا مكانتها المزدوجة : مكانتها أنها لغتنا، ومكانتها أنها لغة كتابنا ، ديننا وتراثنا .. إنها بهذا صلة ما بيننا وبين اخواننا، والطريق الآمنة المطمئنة إلى مستقبلنا في أكرم صوره وأمثلها .

وواضح اننا لا نجد للأستاذ الرئيس أبحاثاً مقصورة على النواحي اللغوية، ولكننا نجد في طائفة من المقالات النقدية التي كان يكتبها أنه كان يولي

هذه السلامة اللغوية حقها من العناية والتقديم .. كان يعقّب ويعتب ، ويصحح ويفضّل ، ويرى في هذه السلامة الأصل الذي يجب أن لا ينخرم بحال .

ولعلّه من هنا كانت كراهة الخليل للضرورات .. والضرورات من حق الشاعر ، ولكن الشاعر غنيّ عنها حين تستوي له قدرته على قوة الأداء وتمكين الصياغة .

تلك الثلاثة : الوصف ووحدة القصيدة والحرص على سلامة اللغة كانت أثراً من آثار التثقيف الذي أخذ به الشاعر نفسه .. ولكن شعر الخليل لا يقف عند ذلك .. ان له مميزاته الكثيرة الأخرى .. وانا لنطمع أن نلقى فرصة الحديث عنها ، وفاء بحقه وأداء لحقها .

* * *

سيدي العلامة الرئيس ، سادتي

تلك ملامح كبرى مقتضبة من دراستي لحياة المرحوم خليل مردم وشخصيته وأدبه ، حرصتُ على أن أذكر فيها بالخطوط الأساسية التي تنتظمها ، وأن أضع اليد على المميزات التي تتفرّد بها .!

وواضح أني لم أشأ أن أتحدث عن عمله في المجمع منذ انقطع اليه سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف ، فأنفق فيه خلاصة تجربته ، وزبدة حكمته ، وصفوة معرفته .. ذلك أنكم وزملاءكم من السادة الأعضاء تعرفون من أمره في ذلك فوق ما أعرف أو يمكن أن أعرف .. لقد زاملتموه وزاملكم ، ولازمتموه ولازمكم ، وأحببتموه وأحبكم ، ووثقتم به فوكلتم إليه أمر رئاسة المجمع بعد سلفه العلامة المرحوم الأستاذ كرد علي ، ولقد كان بينكم ودّ مقيم وتعاون مثمر ، واستطعتم بفضل هذه الروابط من الودّ وهذه الصلات من التعاون أن تتابعوا رسالة المجمع وأن تمضوا قدُماً في تحقيق دعوته .. وتجاوزتم في ذلك حدود هـذا الاقليم من بلاد العرب إلى الأقاليم الأخرى التي تتكامل معه

وحرصتم على أن يكون ما بينكم وبين زملائكم الخالدين في القاهرة هذا اللقاء المثمر المونق وبذلتم فوق ما أبقت لكم الأيام ، من جهد وقدرة .. وكأنما لم يَعُدْ لكم في الدنيا كلها من أمل إلا هذه اللغة ، رعايتها وخدمتها .. لأن الدنيا كلها ، عندكم ، ركزت في هذه اللغة .. ولذلك لم يكن يلقاكم من يلقاكم إلا وفي يدكم كتاب تنظرون فيه ، أو بحث تعدونه ، أو كلمة تنقّرون عنها على حدّ تعبيرك أيها السيد الرئيس ، في خطاب استقبالك عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجمهورية العربية المتحدة .. أتذكر قولتك : « فأنا لست سوى نقّار بسيط ينقر في دمشق منذ ثلاثين سنة عن المصطلحات العلمية .. » ، قد تنسى ما قلت ، ولكن الزمن لن ينسى ما نقرت عنه وما كشفت .

ومعنى هذا أن طبيعة العمل الصادق المخلص في مثل هذه المجامع إنما هو نوع من الرهبنة المتبتلة ، أو هو نوع من التصوف الذي يبلغ حدّ الاستغراق في العمل والفناء فيه .. إنه في جوهره تعشّق يجاوز حدود الوله ، فاذا أنتم لا يطيب لكم شيء مما يطيب للناس ، ولا يحبب إليكم من دنياكم شيء مما حُبب إليهم ، وانما تتفردون بحب العربية وحبّ من يحبّها .. وإذا العمل في رحابكم نوع من الاستقطاب لكل قوى النفس ومواهبها .. وما دخلتُ المجمع مرة إلاّ وأعداني هذا الشعور وتملكني .. إن المرء يحسّ وهو يخلو إلى نفسه ، في هذه المحاريب ، أنه منقطع عن العالم من أجل خير هذا العالم نفسه .. إنه ليس مقطوعاً عنه ولكنه منقطع .. رغبة أن يتصفّى من هذه العوائق التي تشدّه ، والعلائق التي تجتذبه ، لكي يخلص له هذا الانقطاع ، ولكي يحقق هذا الانقطاع أطيب الغايات وأغلى الثمرات ، وليحمل إليه جديداً من إكسير الحياة الذي تجدده اللغة ، في صقلها أو ضبطها أو تنسيقها . إن عملكم رحلة بعيدة في عوالم نفسية واجتماعية زاخرة .. البسطاء يظنونها رحلة قريبة تقف عند الكلمة أو الحرف ، ولكن الذين

يدركون مكانة اللغة يؤمنون أنها رحلة مثقلة بالخير ، بعيدة الرؤى ، منفتحة الحدس ، وأن مدى ما يكون من ربح وخير فيها متساوق مع مدى ما يكون من جهد ومشقة .

* * *

وإذا كانت هذه طبيعة العمل في المجامع بوجه عام فانها ـ واعذرني أيها السيد الرئيس وأيها السادة الأعضاء إذا تحدثت إليكم عن بيتكم الذي تدعونني إليه وتفتحون لي بابه ـ فانها بالقياس إلى مجامعنا العربية وإلى لغتنا العربية يجب أن تكون الطبيعة الأولى التي لا تشركها معها طبيعة أخرى .. ذلك أننا أمام عمل متشعب شديد التشعب ، معقد شديد التعقيد .. أمام تركة مثقلة هي ـ من نحو ـ نتيجة لكل هذا التخلف الطويل منذ أخذ الخيط اللغوي ينسل من نسيج الحياة العربية ، يبدو حيناً بالياً ويبدو حيناً متقطعاً ويبدو في أقل الأحايين على صفائه ... ثم هي نتيجة — من نحو آخر — لهذه الحياة الجديدة .. عفوكم فقد أخطأت الكلمة .. فكل ما في الحياة أضحى جديداً أو قل متجدداً لا يني فيه النسخ ، ولا يكاد يستقر الناسخ حتى يؤول إلى منسوخ .. ومع ذلك فلا بدّ لنا ، سواء اتجه التفكير وجهة قومية أو وجهة انسانية أو وجهة اجتماعية ، من أن نجهد لنلحق بالركب ، ولنوا كب ما بين اللغة وبين الحياة قبل أن ينفصم الذي بينهما .. فنحن لا نواجه تحدياً في حياتنا السياسية فحسب ولكننا نواجه تحدياً كذلك في أخص خصائص وجودنا ، في لغتنا ، وما لم يكن عملنا ، بتنظيمه ودقته وتشعبه ، قادراً على أن يغالب هذا التحدي وأن يغلبه فان الميادين الأخرى — أيّاً كانت — إلى شيء من عقم مخيف .

إنكم قد تظنون ، أيها السادة ، في هذا أني أتحدث عن السياسة في بيئة تجهد في أن تبتعد عنها .. ولكن ما إلى معنى السياسة اليوم أردت ، وانما أردت من السياسة سياسة هذه الحياة التي تواجهها أمتنا العربية ، ومن ورائها

كل مجتمعاتنا الاسلامية والشرقية ، والتي تؤلف معركة واحدة : ساحاتها القريبة الدانية هي هذه المساحات المتصلة بالحكم والسياسة ، ولكن ساحاتها العميقة التي توجه مصائرها والتي تتعلق بها هذه المصائر إنما هي في هذه الساحات الأخرى ، ساحات اللغة والأدب والعلم والمعرفة والثقافة والفن والقدرة على مرافقة الركب الانساني المتقدم ·

فاذا اختار المجمعيون الجبهة العريضة أو الجبهة الخفية ·· وإذا وقفوا على الثغور يحمون هذه الأمة من أن تؤتى من حيث تشعر وتفكر وتنطق ، فانهم انما يؤثرون نوعاً من الجهاد الأكبر على الجهاد الأصغر ·· لأنهم حين يحفظون الألسنة والأقلام من أن تتبلبل أو تضطرب فانما هم يحمون شيئاً أصيلاً في صلب مقدساتنا وجوهر كياننا ·· وليس هنالك ويل بعد الويل الذي يكون من اضطراب الألسنة والأقلام ·

قلت إنها جبهة عريضة خفية ·· وكنت أريد أن أقول إنها الجبهة القاسية ، ذلك لأننا في حياتنا اللغوية نقاسي في الواقع أشد المواقف وأحفلها بالهول ·· إننا نسحب إلى حياة جديدة أو متجددة ، كما أحب أن أقول ، محتفظين — عن قناعة واعتزاز وتفكير — بالذي خلفت لنا الحياة القديمة ·· ان هذه الحياة القديمة تشمل حياة الجاهلية وحياتنا في الإسلام ·· وان هذه الحياة المتجددة لتشمل كل الذي نرى ونسمع وما لم نر أو نسمع ·· ومهمتنا أن نجوز عنق الزجاجة الضيق هذا بين « متسمين » كي نستطيع أن ننطلق — بالذي نحمل من تراثنا القديم — إلى دنيا هؤلاء الذي يحسّون بآدميتهم وانسانيتهم التي تنهاهم عن القعود والتخلف ·

أليست براعة الخطة في ذلك وضمان النصر انما هو واجب المجمعيين ؟

* * *

لقد قابلنا مثل هذه المآزق الحرجة من قبل .. كان في حياتنا العربية مثل هذه المنعطفات الخطيرة حين واجهنا التحدي اليوناني والروماني أواخر أيام الأمويين وأيام العباسيين .. فاستطعنا أن نجوز ذلك حين انقطعت منا طائفتان إلى عمل مختلف في ظاهره ولكنه متكامل متشابك :

احدى الطائفتين هي طائفة اللغويين والرواة الذين انطلقوا يفتشون عن كل لفظة ، ويسألون عن كل خبر ، ويستنطقون كل حجر وبشر ، حتى لم يبق في الجزيرة أعرابي لم يسألوه ولاموطئ قدم إلا وطئوه ...

والاخرى هي طائفة التراجمة ورجال المعرفة الذين ألفوا – أو حاولوا – بين الفكر الوافد واللغة المنطلقة .. وما أقول إن التاريخ يعيد نفسه .. ولكن التجربة الانسانية على مدى التاريخ تحمل كثيراً من العناصر المتشابهة التي يحسن بالناس أن يستفيدوا منها .

فأما المتفائلون الذين يغلب عليهم القعود فينصرفون إلى الاعتصام بما خُصّتْ به العربية من غنى ، ويتحدثون عن تاريخها ويذكرون ما كان من أمرها : كيف دخلت على اللغات فنسختها ولم تَقوَ لغة على نسخها ، وكيف دخلت على غيرها ولم يدخل غيرها عليها .

وأما المتفائلون الذين تتأجج في قلوبهم أنوار من حب العربية والغيْرة عليها فيلحظون فرق ما بين التحدّي الذي نواجهه اليوم والذي كنا واجهنا من قبل .. ذاك ، في الماضي ، لم يكن تحدياً فعالاً ، لم يكن متجدداً ، وانما كان هنالك ثقافة يونانية ورومانية دون أن يكون وراء هذه الثقافة سلطان ضخم يريد أن يغرق الناس بطوفانه .. أعني بثقافته ولغته ومسالكه في التعبير والتفكير والعمل ، كما هو شأن هذه الثقافات الغربية التي تواجهنا بسلطانها الضخم .. ولم تكن هذه الثقافة اليونانية والرومانية متجددةً ، وانما كانت استوفت حظها من النشاط ، وبلغت قدرها من العطاء ، ثم انتهت إلى تجمّد .. فلم يبق فيها إلاّ ما يختزن

الفكرُ بوجه عام من طاقات وقوى .. على حين نجد أن الثقافات الجديدة التي تطالعنا اليوم ثقافات لا تكاد تعرف التوقف أو التجمد .. إنها تقفز من الأرض إلى السماء ، وتجاوز السماء إلى الفضاء ، وتروح في هذا الفضاء تغزو أو تحاول كوكباً بعد كوكب .. ثم هي في الأرض تطلع كل يوم بجديد وتقص كل ساعة من يوم خبراً عن مستحدث .

مثل هذا التحدي المحدث ، بالسلطان الذي وراءه وبالحيوية المتجددة فيه ، يشكل خطراً أضخم على اللغة العربية ، وهو يستدعي بالتالي قدراً لا حدّ له من الجهد والنشاط والبذل ، وانه كذلك ليقتضي قدراً لا حدّ له من التكافل بين مجامعنا العربية كلها .. وقد كان مجمعنا كما يكون الأب تقدماً وحكمة ، وهو جدير أن يظل شعورُ المسؤولية عنده مؤججاً فيه مستبداً به - على ما كان من شأنه طيلة حياته - حتى لا يغلبه شعورُ الاطمئنان والرضا الذي يستبد بالآباء .

* * *

قلت إننا أمام عمل متشعب دقيق ، كثير التشعب كثير الدقة .. فاسمحوا لي ، يا سيدي الرئيس ، أن أشير إلى تشعبه وأن أقف عند دقته .

أ - أما تشعبه فذلك أنه يتناول الماضي كما يتناول الحاضر ، وانه كذلك يلقي بظلاله وآثاره على المستقبل حتى لأوشك أن أقول - ولمَ أتردد ! - إنه يصوغه .. إننا أمام عشرات من الشعب بعضها يتصل بالعلوم ، وبعضها يتصل بألفاظ الحياة ، بعضها بتاريخ اللغة ومعاجمها ، وبعضها بأدبها : أدبها الذي أنشأته وأدبها الذي تنشئه .. ولعلّ من هذا التشعب أننا أمام صيانة اللغة وردّ هذه الموجات العاتية التي تقذفنا بها وسائل الإعلام .. حتى هنا في دمشق يا سيدي الرئيس - أضحت العامية ، حتى هنا ، مقدمة على الفصحى ، والخطأ أكثر من الصواب وما تبنيه المدرسة تهدمه لغة الإذاعة والصحافة والساحة ، وما يغرسه المعلمّ تقتلعه مجلات الأطفال ، بل لعلّ من هذا التشعب أننا نجد أنفسنا أمام تنشئة هذا

الجيل الجديد ، أعني أمام برامجه ومناهجه ودراساته .. بل نحن أحياناً أمام معارك مصطنعة أو حقيقية حول الحرف العربي والخط العربي .. وهل أدل على التشعب من كل هذه الأشياء ؟

ب — وأما عن دقة هذا العمل ومداه البعيد ، فذلك أن أثره يجاوز أن يكون حلاً لأزمتنا اللغوية إلى أن يكون عاملاً أساسياً في حل أزمتنا الفكرية ، بحكم هذا الترابط العنيف والتشابك المتكاثف بين اللغة والفكر .. وهل هنالك من يخالف في أن قسماً كبيراً من أزمتنا الفكرية إنما يرتد إلى أننا نقرأ بلغة ، ونتحدث بلغة ، ونحاضر بلغة ، ونفكر — وبخاصة أولئك الذين يتصلون منّا بالثقافات الأجنبية اتصالاً مباشراً — بلغة .. ؟

وهل من سبيل إلى نكران اننا نتحدث حين تتحدث ألسنتنا ، ونتحدث كذلك حين تتحدث أفئدتنا وقلوبنا .. إن لتفكيرنا هجاءه ولغته ، كما أن لألسنتنا هجاءه ولغته .. وإن الذين يُؤْتَوْن أكبر الحظوظ من التوفيق والذين يحفظون أنفسهم من تبديد الجهد ، إنما هم أولئك الذين يفكرون ويحاضرون باللغة الواحدة فلا يضطرون إلى شيء من هذا التعارض ، وإلى شيء من هذه الترجمة الداخلية التي نقوم بها .

إننا في كثير من المرات نتحدث عن الأزمة الفكرية وننسى هذا الارتباط بينها وبين اللغة ، وذلك قد يكون عن تبسيط وقد يكون عن بساطة ووهم ، وقد يكون اهتماماً منا بالأولى وانصرافاً عن الأخرى ، وهذا مبدأ الوهن .. إن في حياتنا الفكرية أزمة لا شك ، ولكنها ليست في رأيي — واسمحوا لي بقدر من الادعاء — أزمة أصيلة ، فنحن نشق طرقنا الفكرية ، ونحن نعاني كثيراً من الصعوبات ، والأشواك دائماً ملء الطريق ، لأنه ليس في الدنيا هذا السبيل الممهد حتى بين الانسان ونفسه ... ولكن الأزمة الأصيلة هي في أننا ننسى أن

المحاولات الفكرية يجب أن تكون مسبوقة أو متواكبة مع المحاولات اللغوية .. وإلا فكيف نفكر، ثم كيف نعمل ؟.. وهل يكون التفكير والعمل إلا بلغة ؟ وهل يتأتى للمرء أن يفكر الا بلغته ؟.. ودع عنك القلة التي تستطيع أن تستعير لغة أخرى ، فالكثرة المطلقة من الناس في حاجة إلى أن تجمع بين تفكيرها ولغتها في طبيعة واحدة وان تتلازم بينهما في قرن .. بحيث يبدو أن أحدهما مشتق من الآخر .. وإلا ، إلا يكن ذلك ، فان هذه الكثرة من الناس لا تصيب حظاً من فكر ولا حظاً من لغة .

وكذلك يبدو واضحاً أننا في النطاق الفكري الصرف في حاجة ـ ونحن على أول مراحل الطريق ـ إلى أن تكون اللغة أداتنا الأولى .. ثم تكون بعد ذلك المراحل الأخرى ، كأن ننسج ما بين اللغة وبين أصحابها هذه الخيوط من التعاطف والتجاوب والحب ، فلا تكون اللغة خصماً يثير في نفوسنا النفرة ، ولا نقبل عليها والخوف يتملكنا ، وانما نوفرها ونيسرها دون خروج أو انحراف حتى نستطيع أن نضمن للفكر العربي كله أن يعمل في طلاقة وحرية ، أن يستخدم أداته اللغوية التي بها يتحقق ابداعه ، وتتجسد طاقاته ، دون أن ينصرف عنها أو يخشاها .

والذي نريده للفكر نريده كذلك للغة .. وإذا كنا نخشى على الكثرة المثقفة أن تخسر الفكر واللغة ، فنحن ـ أريد المجمعيين ـ نخشى ذلك أيضاً على أنفسنا حين لا نستطيع أن نقدم للفكر هذه الأداة الطيعة المبينة ، محتفظة بكل دقتها وروعتها ، موصولة بجذورها ، متلائمة مع ماضيها .. إننا كذلك معرضون لا إلى أن نضحي بالفكر باسم سلامة اللغة ، بل إلى أن نقتل اللغة حين نفتقد أولئك الذين يفكرون بها فلا نجدهم .

إن عملنا في هذا إنما ينبجس من إيماننا بلغتنا ، لغة قرآننا وتراثنا ، وترجمان أرواحنا ومواجدنا ، وتجسيد أفكارنا وعقولنا .. والإيمان بها هو الذي يقتضي الحفاظ عليها والتحبيب بها .. أما التنفير منها والتكريه بها فجهالة إن صدر من جهلاء وحماقة ان صدر عن علماء ، وكلاهما شر .

ما أصعب ما ينتظر مجامعنا اللغوية وما أشق مهماتها إذن ... ما أكثر ما ينتظرها من عمل طويل وليال قاسية بطيئة .. ما أكرم إيمان أصحابها برسالتهم حين يجدون أنهم لا يعيشون في منطقة الضوء من الحياة .. وما أطهرهم حين ينأون عن كل الأنوار المصطنعة الملونة ليقنعوا بهذه الأنوار الخفية التي يشعها الحرف ، وتنبض بها الكلمة ، وليكتفوا بالذي يلتمع في حياتهم الداخلية من ألق وبريق ..

* * *

سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي الزملاء

لقد استأذنتكم في أن أتحدث إليكم عن بيئتكم قبل أن أجوز إليها .. وكنت واثقاً أنكم ستأذنون ، لأنكم مطمئنون إلى أني لن أتحدث في هذا كله إليكم ، وإنما أتحدث به إلى ذاتي .. لم أتحدث عما تفعلون فما أكثر ما تفعلون وانما تحدثت عن الذي يُنتظر من مثلي أن يفعل .. كان ذلك تقرّباً مني للمسؤولية الضخمة التي أحستها .. وأصدقكم أني أيها الإخوة الزملاء - وليبارك الله تعالى مُقامي بينكم - ما وجدت على كتفي عبئاً كالذي وجدته ساعة تمثلت وَقفتي هذه أمامكم .. لقد أضحى اذن هذا الدرب الطويل الذي لا تلتمع النجوم على جانبيه وانما تلتمع من أعماقه - دربي .. وما أشك - وقد ارتضيتم أن أقاسمكم أعباء الطريق - إلا أنكم جميعاً آخذون بيدي كما يأخذ أخ راد الطريق يد أخ كان يتمثل هذا الطريق ويتخيله ويودّ لو يكونُ له مع هذه القافلة الرائدة التي لا تكذب أهلها - مكان .

ما أدري أكان هذا حديثي إلى نفسي أم عهداً مني إليكم .. ومهما يكن فانما يقدر الخطو ويخبُر الطريق أولئك الذين يصممون على إنفاذ الأمور على أذلالها .

سيدي الأستاذ الأمير أمين السر

ما كان أكرم خالقك وأغنى نفسك .. لقد تفضلت فأضفيت عليَّ في تقديمك ثناء لا أدري أين أنا منه .. ولعلّ عين الرضا ، ولسان الحبّ ، والقلب الطهور تعاونت ثلاثتها على أن تدفعك إلى ما قلتَ ، وقد جاوز الذي قلتَ قدري .. وانه لشرف لي عظيم إن استطعتُ أن أخلع منه جانب الزهوّ وأن أرتدي جانب العمل .

ولن يعوّض ذلك شيئاً من خسارتنا بالخليل الراحل وان يؤهل أحداً لِتَبَوُّء مكانه .. وانما هو العزاء حتى نرضى ويرضى .

أيها السيد الرئيس أيها الإخوة الزملاء

لقد طوّقتم عنقي ، واني لأرجو أن أكون قادراً على النهوض بهذه الأمانة وعلى السير بها إلى أبعد آمادها ، والله من وراء القصد .

الدكتور شكري فيصل

كلمة الأستاذ عز الدين التنوخي (١)

سيدي الرئيس ، إخواني الأفاضل

إنكم لتعلمونَ أن غاية مجمعنا العلميّ العربيّ منذُ نشأته الأولى هي المحافظة على سلامة اللغة العربية وصيانة مادتها ؛ ولذا كان مما يحقق أمنيته السامية هذه حسنُ اختيار أعضائه المتمكنين من لغتهم القومية ، والواقفين على أسرارها ، المفتونين بمزاياها ، والعاملين على نشر تراثها ، وإحيائها بالمصطلحات العلمية ، أو بألفاظ الحضارة من لغة الحياة العامة . وممن لا يترخصون في تراكيبها وأساليبها ، ولا يلجأون إلى التوليد والتعريب إلاّ بعد مراجعة كتب السلف اللغوية والعلمية .

إنّ حياة المجمع هي بحياة أعضائه العاملين وبحسن اختيارهم ممن لا يشغلهم عن مجمعهم ولا عن لغتهم شاغلٌ ينسيهم ما اختيروا لأجله ، وممن يرى المجمع فيهم العونَ على النهوض بأعبائه ، والقيام بثقال أعماله ، الأستاذ الفاضل محمد المبارك الذي نستقبله ونرحب به في هذه الساعة خلفاً لسلفه وأستاذه اللغويّ العلامة الأستاذ محمد سليم الجندي رحمه الله .

وما اختارني المجمع العلميّ اليوم لأقول كلمتي في استقبالك أيها الصديق الفاضل المبارك إلاّ لما عهدناه فيك ، ومن قبلُ في جدّك وأبيك من حبّ العربية الفصحى والسعي في نشرها بالتدريس والتأليف ، وعسى أن تكون كلمتي هذه كما أعتقد خلواً من المبالغة لأني بصداقتي لأبيك في مرحلةٍ من العمر طويلة قد عرفتك حقّ المعرفة صغيراً وكبيراً ، فشهدتُ توجيه والدك لك لمقاصد

(١) ألقاها يوم الخميس في ١ شباط ١٩٦٢ في حفلة استقبال العضو العامل الجديد الأستاذ محمد المبارك .

الدين وأصول العربية ، وكأنما كان يرى بنور فراسته من مخايلك أنك ستحلّ يوماً محله من المجمع العلميّ العربيّ ، وأنك بصدق دراستك للعربية وآدابها ستنضمّ إلى إخوانك المجمعيين الذين جمعتهم كلمةُ العلم ونظمتهم لُحمة الأدب ، وبانضمامك إلينا اليوم نرى أننا لم نفقد أخانا الراحل الفاضل والدك الشيخ عبد القادر المبارك جاد الغيثُ ثراه !

إن المُسَمَّيْن بالمبارك من علمائنا في الأمة كثير : منهم الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك الذي جمع بين العربية والحديث والفقه ، ومنهم المبارك بن أحمد بن المبارك اللّخميّ الذي اشتهر بالرّسوخ في العربية والأدب والتاريخ ، والمبارك بن محمد الشيبانيّ ، المعروف بابن الأثير ، وهو صاحب النّهاية في غريب الحديث ، وشقيق صاحب المثل السائر الذي أفاد كل كاتب وشاعر ، والاستاذ محمد المبارك سَميُّ هؤلاء هو من دَوحةٍ باركَ الله لدمشق برجالها ، أوّلهم جَدُّه الشيخ محمد المبارك الكبير الجزائريّ الحسنيّ الذي نشأ في عَصر كان فيه علماؤها لا يُعنَون إلا بالنحو والصرف والفقه والتفسير والحديث والتصوّف فامتاز عليهم مع ما عرفوا من العلم باهتمامه باللغة العربية وآدابها ، فكان أوّل مَن أحيا قراءة المقامات الحريرية بدمشق ، وكتبَ لطلابه شرح عشر مقامات منها فانتفعوا بها ، وحبّبهم بلغتهم العربية في دولة كان موظفوها يفاخرون بالتراطن بالتركية ، ولفت أنظار شيوخ الدين إلى كتب اللغة العربية التي لا يُفهم كتابُ الله وسنة رسوله إلا بدراستها والوقوف على أسرارها .

وكان من وَلَع الشيخ المبارك الكبير بلغته واهتمامه بنشرها بين أبنائه أنه بعد طبع لسان العرب دخل منه دمشق نسختان ، فاشترى إحداهما وأهداها لابنه وخليفته في اللغة والأدب زميلنا الشيخ عبد القادر في السنة الهجرية ١٣٢٢ ، وأهدى اليه معها تاج العروس ، وهما أكبر كتب اللغة العربية المطبوعة ، وله

من الآثار الأدبية : نَضْرة البهار في محاورة الليل والنهار ، وبهجة الرائح والغادي في محاسن الوادي ، وتَرَكَ لورثتِه علمه وأدبه خزانة كتب مباركة في اللغة والنحو والفقه والتصوف ، ومنها كتاب الحِسْبة للإمام العظيم ابن تيمية الذي كان لا يحاربه إلا الحشويون المقلّدون .

وبفضل هذه الرعاية من الوالد لولده ، بما كان يُهدي اليه من كتب اللغة ، وبما كان يقبسه إياه من دوس العلم والأدب ، نشأ الشيخ عبد القادر المبارك مفتوناً باللغة وآدابها ، وما زال يستضيء بمشكاة والده حتى أصبح في اللغة ممن يُرمى بالأبصار ، واهتمّ بتدريسها والتأليف فيها فشرح المقصورة الدُّرَيدية وأعانَ في تحقيق المخطوطات النفيسة كسيرة ابن سيّد الناس التي قرأناها في منزل صديقنا رحمه الله أبي جعفر الأمير طاهر الحسني ، وعارضناها على مخطوطة جدّه الأمير البطل المجاهد عبد القادر ، وشاركنا في تحقيقها الشيخ عبد القادر المغربيّ ، ثم طبعت هذه السيرة الجليلة في ثلاث مجلدات بالقاهرة ، وكان صديقنا العلاّمة المبارك سِيَرِيّاً : حسب تسمية السلف أي من علماء السيرة ، ولقلّما كان يجاريه فيها أحدٌ من شيوخ هذا البلد ، كذلك تأثّر بالوراثة اللغوية زميلنا الجديدَ بوالده وبجده الكبير ، كما قال في مقدمة كتابه (فقه اللغة) ما نصّه : « وأنفتُ الإقبالَ على الأبحاث اللغوية إحياءً لميلٍ قديم موروث ، فطالما قضيتُ الساعات الطوال مع والدي في شرح المعلقات أو لامية العرب للشنفرى أو المقصورة الدريدية أو مقامات الحريري وأمثالها من آثار لغتنا ، وكانت المراسلات بيني وبينه حين سافرت إلى باريز ١٩٣٠ للتخصص في الآداب تدور حول القضايا العلمية ولا سيما اللغوية منها .

دراسته العالية : إنّ ما ذكرناه الآن يدلنا على سر ولع زميلنا المحتفل به باللغة العربية . وعلى سبر قسمٍ من دراسته العلمية التي تتلخص بنوعين مستقلين :

الأول منهما : مدرسيّ نظاميّ في المدارس الثانوية ، ثمّ في العالية بمعهدي الحقوق والآداب ، وثانيهما : غير مدرسيّ ولا نظاميّ بما تلقّاه على والده من اللغة والادب ، أو بما سمعه في دار الحديث من الشيخ بدر الدين محدّث الشام الكبير .

ومن يشابهْ أبهُ فما ظلم ، فقد أصبح كوالده وجدّه مُربّياً ومُعلّماً ، فعلّم العربية في المدرسة التجهيزية ، وفي كليتي الآداب والشريعة التي هو اليوم عميدها ، ثم عمل في تفتيش العربية بالمدارس الثانوية ، وآزر لجنة التربية والتعليم .

أما عمله السياسيّ ما بين ١٩٤٧ و ١٩٥٨ ، فقد عمل نائباً في المجلس النيابي ، ووزيراً للأشغال ثم وزيراً للزراعة ، فكان في النيابة والوزارة مثال العامل القويّ الأمين ، وله مشاركة في مؤتمر العالم الاسلامي بلاهور ، وفي بعثة وزارة الخارجية الى البلدان الأسيوية .

أما آثاره القلمية الدالة على مبلغه من الفضل ، فمنها ما هو إصلاحيّ واجتماعيّ وقوميّ ، ومنها ما هو لغويّ وأدبيّ ، أعرف من القسم الأول :

١ — رسالته (من مَنهل الأدب الخالد) التي تكلّم فيها عن عناصر الفن وأسرار البيان في القرآن .

٢ — رسالة (نظرة الاسلام العامة الى الوجود) وأثرها في الحضارة .

٣ — (موسوعة الفقه الاسلاميّ) وفيها بيان لفكرة هذه الموسوعة التي تضع أمام الأنظار العالمية أعظم ثروة فقهية عرفها تاريخ الأمم ، معروضة بالطرق الحديثة خدمة للتشريع ، وتنميةً للثروة القانونية ، وتغذية للنهضة العربية الحديثة .

٤ — (نحو وعي اسلامي جديد) وهذه الرسالة هي محاضرته التي ألقاها

في قاعة المحاضرات الازهرية ودعا فيها إلى إصلاح التدريس ، وإلى ان تكون رسالة الازهر باعثة للإيمان الصحيح في العقول والقلوب .

٥ — (الدولة عند ابن تيمية) وهو بحث قدّمه الى اسبوع الفقه الاسلامي الذي انعقد في العام المنصرم بدمشق ، وفي هذه الرسالة بحث عن آراء الإمام العظيم ابن تيمية في الدولة والولاية والخلافة ، ومَن هم أولو الأمر ، ورياسة الدولة وتعيين الامام ، وأنه منفِّذ لا مشرِّع ، وأن طاعته مقيَّدة ، وفصَّل شرائطَ انتخاب الإمام ، ووظائف الدولة وتنظيم الحياة الاقتصادية والخلقية ، إلى غير ذلك مما لا يستغني عنه باحث في السياسة والاجتماع .

ومن أبحاثه القومية كتابه (الأمة العربية في معركة تحقيق الذات) وقد جعل القسم الأول منه يشتمل على بحث نظري في القوميّات ، واستعرض فيه تطوّر الأمة العربية وظهور الوعي القوميّ فيها ؛ وأمّا القسم الثاني فقد حدّدَ فيه اتجاهات الأمة العربية الأصيلة وعناصر رسالتها الخالدة .

أمّا مباحثُه الأدبية واللغوية فأعرف منها :

١ — (فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ) ، وفي هذه الرسالة دراسة تحليليّة مبنيّة على نصوص مختارة اتخذها أساساً لبحثه حسب الطريقة الحديثة المبنية على علم النفس والاجتماع ، وانتقد مَن يتخذون الأخبار التاريخية والأحكام النقدية أساساً لأبحاثهم العلمية .

٢ — (خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد) وهي مجموعة محاضرات ألقاها بمعهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية بحث فيها عن خصائص اللغة الصوتية ، وخصائص الكلمات العربية ، وعن التعريب وطريقة العرب في نقل الالفاظ الاجنبية وعن خصائص معاني الألفاظ العربية وقيمة التخصيص والدقة والتعميم في اللغة وعن آفة الترادف والعموم والغموض ، وعن تحرير اللغة من

الجمود والفوضى ، وعن أسباب الخطأ في اللغة ، وصنف أنواع الأخطاء فيها .

٣ — وفي كتابه (فقه اللغة) دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية في تركيب حروفها واشتقاقها ووزنها ، وفي حركتها المتطورة ، وبذلك تصل هذه الدراسة بين تراثنا القومي والنظرات الحديثة في فقه اللغة ، إذ لم يكتف أخونا الجديد الفاضل بما جاء من فقه اللغة مبعثراً في كتبنا القديمة ، بل اطلع على ما ألفه الباحثون من المعاصرين ، ولم يغفل كذلك الانتفاع بكتب الغرب اللغوية ، فقد اتسعت أبحاث فقه اللغة في ديار الغرب وآتت أكلها بعلم اللغة المقارن وبالنظرات الحديثة في علم النفس والاجتماع .

هذا بعض ما أذكر من مزايا الصديق الفاضل والزميل المحتفى به وهنالك جوانب أخرى حرية بالبحث لم يتسع الوقت لتفصيلها ومقتضى الحال يقضي بالإيجاز والإجمال .

عز الدين التنوخي

كلمة الأستاذ محمد المبارك (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ان هـذا الشرف الذي اوليته بضمي الى اسرة أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ليس معناه الا المشاركة في هذه الامانة التي يضطلع المجمع بحملها في هذه المرحلة من حياتنا والمساهمة في عمله الضخم في بناء الكيان العربي ولا سيما حفظ اللغة وتجديدها المستمر .

ويقضي علي الوفاء في هذا المقام ان اذكر للمجمع العلمي بدمشق أوليته وبلاءه ومكانته من تاريخ نهضتنا ولا سيا اللغوية .

فقد استقل العرب في بلاد الشام وانفصلوا عن الاتراك اثر الحرب العالمية الاولى بعد أن قضوا عصوراً طويلة بعيدين عن القيادة الفكرية والسياسية التي كانوا يتبوؤونها في عهود الفتوح الأولى فانصرفت هممهم بعد الاستقلال الى انشاء الدولة العربية بجهازها وادارتها وتعليمها ولغتها بعد ضعف شامل طويل الأمد ، ولم يكن في بلاد الشام يومئذ إذا استثنينا المدارس القديمة والحلقات معهد ينشر العلم ويحيي تراث السلف ويعرب المصطلحات وينقل نتاج الحضارة الحديثة ، فانشىء المجمع لسد هذه الحاجات والقيام بأمرها قبل أن ينتشر التعليم وتعم الثقافة وتكثر النوادي الادبية والمجلات . فقد كان المجمع في تلك الفترة من حياتنا معهداً عالياً للأبحاث اللغوية والأدبية والعلمية في مجلته ومنشوراته ومنتدى للخاصة من العلماء في جلساته ومدرسة لتثقيف الشعب في محاضراته الاسبوعية الدائمة التي كان يخصص بعضها للنساء .

---

(١) ألقاها الأستاذ محمد المبارك العضو العامل الجديد يوم حفلة استقباله .

لقد أتيح لي أن أعيش في حداثتي من نحو ثلاثين سنة في ذلك الجو المجمعي فقد كان والدي رحمه الله عضواً عاملاً في المجمع منذ أوائل سني انشائه فكنت اصحبه في بعض تلك الندوات الخاصة بالأعضاء واسمع منه حكاية ما كان يدور بينهم من مناقشات وأبحاث ، وأتلقى مغتبطاً اعداد المجلة قارئاً أو متصفحاً واشهد الكثير من محاضرات المجمع ومهرجاناته الكبرى احتفاء بأديب كبير أو احياء لذكرى عظيم من رجالات السلف أو الخلف .

لقد كانت تلك المرحلة من حياة المجمع بعث التراث العربي ولا سيما اللغوي ليكون أداة أساسية في بناء الحياة الجديدة وكانت مهمته حفظ اللغة وجمعها والكشف عنها والتعريف بها وتجديد عرضها على الناس ليأخذوا بأحسنها والذود عنها أمام خصومها وإخراج الناس من إسفاف العامية وتحرير أهل الأدب من أغلال الصنعة ومحاولة التجديد في اللغة لسد ما جد من الحاجات وتسمية ما نشأ من المستحدثات على طريقة العرب وسليقتهم .

وقد قيض الله للمجمع يومئذ طائفة مختارة من حفاظ اللغة ورواتها وحماتها والذائدين عنها ممن يندر أن يجتمع مثلهم في هذا العصر ولا تزال منهم بقية صالحة من أعضاء المجمع ممن شاركوا في ذلك العهد ، وكان في المجمع كذلك نفر كريم ممن ضربوا بسهم في شتى أبواب الثقافة وشاركوا في فنون المعرفة فمنهم المتبحر في علوم الشريعة أو التاريخ والتراجم ، ومنهم المتخصص في الأدب والنقد ، ومنهم من جمع بين اللغة والعلوم الطبيعية أو الطب أو الحقوق والاجتماع .

وان استعراض أعضاء المجمع في مرحلته الأولى وتصفح مجلدات مجلته وما تضمنته من تالد العلم وطارفه والاطلاع على ما نشر من كتب وأذاع من محاضرات ليعطينا فكرة واضحة عن عمل المجمع وجهده وعن اتجاهه وطريقته ومجالاته وآفاقه مما كان له أثر محمود وثمار طيبة .

فقد كان المجمع في تلك الحقبة من تاريخ العرب عامة وبلاد الشام خاصة حصنا للعربية ومعقلا من معاقلها وان ما نشر لاعضائه وغيرهم من موضوعات أو محاضرات في الذود عن العربية والدفاع عن تراث العرب وحضارة الاسلام امام مطاعن الشعوبيين والمستشرقين ودعاة الاقليمية وأنصار العامية من أعداء العربية ليؤلف بناء شامخاً متين الأسس .

وقد كان لاستاذنا الكبير سليم الجندي رحمه الله في تلك المرحلة من تاريخ المجمع وبين طائفة اللغويين الكبار من أعضائه منزلة مرموقة وموقع خاص وفضل ظاهر . فقد أتيح له في النشأة والبيئة والتربية والدراسة أن يجمع بين علوم اللغة والدين ولا بد لكل من أراد التعمق فيهما من أن يستظهر بهما معاً وينهل من منهليهما .

وقد قيض الله له أن يعيش في ملتقى عهدين قديم وجديد ولكل منهما ثقافته وأفكاره ومناهجه وطريقته ولئن كانت وشائجه بالقديم أوصل وحظه من ثقافته وأسلوبه أوفى فانه أشرف كذلك على الجديد اشرافا مكنه أن يأخذ منه بنصيب صالح فجمع بين مزايا الثقافتين وخصائص الأسلوبين .

وقد امتاز الأستاذ الجندي رحمه الله من أقرانه وزملائه من علماء اللغة والأدب بكثرة آثاره ومشاركته في ميادين الكتابة العلمية مشاركة تمكننا من معرفة خصائصه وتقدير مزاياه وتحديد مكانته .

وكان الميدان الذي ترك فيه آثاراً نافعة وبرز فيه تبريزاً عظيما هو ميدان اللغة وتاريخ الأدب فله في اللغة ما طبع مجموعا في كتاب أو مفرقا في مجلة المجمع رسالة في الكرم وأخرى في الطرق وتحقيق رسالة الملائكة للمعري . وظهر مذهبه اللغوي واتجاهه فيها في كتاب اصلاح الفاسد من لغة الجرائد وله في الدراسات التاريخية الأدبية عدد من المؤلفات ولكن الأثر الذي بلغ فيه الذروة في الدراسة التاريخية الأدبية هو كتابه عن

أبي العلاء المعري الذي يتولى الجمع طبعه الآن وطبع منه ما يزيد على ثلاثمائة صفحة ، وقد دل فيه المؤلف على مقدرة عظيمة وصبر طويل على التحقيق التاريخي والمقابلة بين المراجع والأقوال والجرأة على النقد القويم للمتقدمين والمتأخرين من المؤلفين في الموضوع حتى بدت حياة المعري ذات الألوان والصور الملتبسة الغامضة صورة مفصلة واضحة لقارىء كتابه هذا .

لقد عرف للأستاذ الجندي رحمه الله قبل هذا الكتاب دراسات في تاريخ الأدب العربي عن امرىء القيس والنابغة وعلي بن أبي طالب وابن المقفع وكان في دراساته هذه قديماً يحاول التجديد ويستعين بما عرف به الراسخون من أهل الثقافة القديمة من تدقيق في الجزئيات وتثبت في النقل وقدرة على الإحاطة والجمع وقوة في الحفظ واعتماد على المنطق حين تعوز الحوادث التاريخية . فقد استعان بهـذا كله ليفرغها في القوالب الحديثة للدراسة الأدبية من دراسة البيئة والعصر وتحليل خصائص الأديب والربط بين حياته وآثاره ، وان كانت المقاييس الأدبية والتاريخية التي اتخذها هي في مضمونها قديمة أو إلى القديمة أقرب ، ولكن من يطلع على آثار الأستاذ الجندي الأدبية يتبين له كثير من عيوب بعض المؤلفات الأدبية في هذا العصر من سرعة استنتاج وبعد عن التثبت في النقل وقلة صبر على تحقيق المراجع وسرعة مجاراة المستشرقين الذين تعوزهم ملكة العربية ولا يكتمل لديهم تذوق الأدب العربي وقـد يغلبهم الهوى أو الغرض أو تـوقهم فكرة خاطئة .

اننا حين نواجه آثار الجندي نواجه القديم بجوهره الأصيل وقوته الراسخة ومزاياه العظيمة ونشهد التقاء القديم بالحديث ولكنه القديم الواثق بنفسه المعتز بثروته الواعي في اقدامه على الحديث المتريث المتأني في أخذه واقتباسه .

ولكن تفوق الجندي في كتابه عن أبي العلاء هو من باب آخر وفي منزلة فوق هذه المنزلة ذلك انه اجتمعت له من أسباب الاجادة فيه ما لم يجتمع لغيره وما لم يجتمع له هو في كتاب آخر فقد أولع هو وأبوه من قبله بشعر أبي العلاء وكان بينه وبين أبي العلاء أواصر صلات عديدة منها نشوؤهما في بيت من بيوتات العلم في المعرة وانتماء كل منهما إلى قبيلة عربية واتفاقهما اتفاقاً كبيراً في المزاج والطبع وقد أشار الجندي إلى ذلك بقوله : « اذ يجمع بيننا وحدة الدين والوطن والجنس وقد نتحد في الهوى والنزعات كثيراً وقد تخرجت به في الشعر » .

أما مكانة الأستاذ الجندي في اللغة فلم تظهر في كتاب بعينه بقدر ما ظهرت في مواقفه في الدفاع عن اللغة وفي تأصيله روح المحافظة عليها في أجيال متلاحقة من تلاميذه وفي مساهمته في أعمال المجمع اللغوية في إيجاد الألفاظ واشتقاقها للدلالة على الجديد من المسميات والمعاني وفي تصحيح لغة الدواوين وفي الوقوف موقف الذود أمام هجمات المهاجمين أو موقف الشدة أمام المتساهلين المفرطين من بعض المشتغلين باللغة والأدب . ويبدو الأستاذ الجندي رحمه الله في كتابه اصلاح الفاسد من لغة الجرائد الذي رد فيه على الشيخ ابراهيم اليازجي وقسطاكي الحمصي على صغر حجمه صاحب ملكة راسخة في النحو واللغة واطلاع واسع على نصوصها وفهم دقيق لقواعدها مع قوة في الحفظ وجلد على مقارعة الخصم كما يبدو محافظاً في مذهبه اللغوي شديد المحافظة . وروح المحافظة بالنسبة إلى جيله وإلى المرحلة التي كانت تمر بها الثقافة العربية يومئذ ضرورة حيوية وحاجة تقتضيها سنة البقاء . فقد طغت في القرن الماضي موجة عارمة من الشك في جميع قيمنا الاعتقادية الفكرية والخلقية واللغوية والأدبية وحمل لواء هــذا الاتجاه في التفكير كتاب من أدباء العربية فكان الأستاذ الجندي ممن يمثلون بقوة موقف المحافظة والدفاع عن التراث والسلف أمام هذه الموجة فيناقش في كتابه

الذي ألفه عن امرىء القيس رأي الدكتور طه حسين الذي شك في وجود الشاعر مناقشة عنيفة ويرد بقوة على الشعوبيين الذين يعزون نبوغ ابن المقفع إلى الدم الفارسي والأصل الآرى ويصفون العرب بضعف الاستعداد وذلك في الفصل الذي كتبه عن أثر الدم في الثقافة والعبقرية في كتابه عن ابن المقفع .

وكان موقفه في اللغة أشد محافظة على القديم وأكثر تمسكا بالمنقول فما كان يستسيغ لنفسه أن يستعمل كلمة (التطور) مثلا أو (الفنان) أو (الانتاج) الأدبي أو (التحليل) العلمي لأن مثل هذه الألفاظ في رأيه غير مروية عن العرب وفي غيرها غنية عنها ولعل هذا التزمت والتشدد جواب لتساهل المتساهلين ومقابلة لتفريط المفرطين على مذهب من يرى أن التفريط في القليل يؤدي إلى التفريط في الكثير وفي ذلك انتهاك لحرمة اللغة وخرق لقواعدها وافساد لاصولها .

مع أن في بعض ذلك مندوحة لو رجعنا إلى الملكة العربية نحكمها في الأمر فقد استعمل العرب صيغة فعّال للنسب كالعطار والزيات نسبة إلى العطر والزيت وكذلك الفنان تجري على هذا النسق والتطور من الطور من باب الاشتقاق من الأسماء وهو باب واسع في كلام العرب .

ذلك هو استاذي الكبير سليم الجندي الذي شاءت إرادة الله أن أكون خلفاً له في المجمع العلمي ولي في ذلك شرف عظيم وله موقع جميل من نفسي ذلك أن روابط وشيجة كانت تربطني به فقد كان أحد ثلاثة كان لهم في تكويني اللغوي والأدبي أثر كبير ، وثانيهم والدي رحمه الله وكان زميله في المجمع وصديقه في الحياة ، وثالثهم استاذهما الشيخ محمد بدر الدين محدث الشام الشهير في العصر الماضي .

عرفت الأستاذ الجندي منذ كنت يافعاً أرافق والدي رحمه الله إلى المجالس الأدبية التي كانت تضمها والتي كانت تعقد في قاعة المجمع حينا ثم عرفته استاذاً لي في دروس اللغة العربية وآدابها في مدرسة التجهيز وزميلا لوالدي رحمهما الله في ذلك المعهد الذي تخرج منه على أيديهما طبقة هم اليوم في طليعة الأدباء والشعراء والأساتذة في بلاد الشام . ثم تابعت الأستاذ رحمه الله في دروسه في مدرسة الأدب العليا التي كانت نواة لكلية الآداب حيث كان يلقي علينا دروساً في النحو على مستوى عال من التعمق والتوسع . ومن جميل المصادفات اني حللت بعد ذلك محله في تدريس الأدب العربي في تجهيز دمشق حين أحيل على التقاعد ورجعت من باريز بعد انتهاء دراستي فيهـــا ، وهاانذا اليوم اختار لأخلفه في عضوية المجمع العلمي بدمشق ولكنها مهمة صعبة وأنّى لي أن أخلف الجندي في رسوخ قدمه في العربية وقوة ملكته وسعة روايته انها لمسؤولية أشعر بعبئها وأرجو الله أن يعينني على الاضطلاع بها . زد على ذلك أن المرحلة التي مثلها سليم الجندي وعبد القادر المبارك رحمهما الله واقرانهما مرحلة احياء التراث الأصيل والدفاع عنه قد أعقبتها مرحلة أخرى هي مرحلة التجديد والتوليد ولا بد لنا بعد أن انتصرنا في معركة الدفاع الأولى من أن نتابع السير ونكمل الطريق ونستمر في النجاح .

ولئن كانت المرحلة الأولى من مراحل نهضتنا اللغوية تقتضي رسوخ الملكة وسعة الرواية ومعرفة القواعد والأصول فان المرحلة الثانية تقتضي إلى جانب الملكة العربية في اللغة النظر إلى ذلك السيل الطامي من المسميات والمعاني التي رمتنا بها الحضارة الحديثة وثقافتها في شتى الميادين من علم النفس إلى الفيزياء الذرية ومن الفنون الجميلة إلى الفنون العسكرية سواء في الحياة العلمية النظرية أو في الحياة العملية اليومية .

ولبس الدفاع والمحافظة أبرز صفات هذه المرحلة الجديدة بل الملكة المولدة والقدرة على التجديد والإدراك الواعي لمشكلات اللغة والفكر والاحتفاظ بالأصالة وسلوك طريق عربية لا استعجام فيها ولا تشويه للفطرة العربية ، تلك هي الصفات البارزة في هذه المرحلة لا في ميدان اللغة فحسب بل في سائر ميادين نهضتنا .

ولا بد لنا ونحن ننهل في ميدان العلوم المادية والحياة العملية من الحضارات الأجنبية المعاصرة من أن نستفيد من تجربة اللغات الأجنبية ما يعيننا في تجربتنا على أن نعرف لكل لغة خصائصها وطرائقها في الاشتقاق والتوليد . وكان من حسن حظي أن أتاح الله لي فرصة الاطلاع على هذه التجربة في لغة غير العربية وفي ثقافة غير الثقافة العربية خلال دراستي في جامعة باريز في مجالات الأدب واللغة والاجتماع وأتيحت لي فرصة نادرة في التلمذة على عدد من فحول الأساتذة الذين قضى أكثرهم أمثال بول هازار ودانيل مورنه في الأدب الفرنسي وبرونو في اللغة الفرنسية وقواعدها ووليم مارسه وماسينيون من كبار المستشرقين ، وفوكونه وهالفاكس من كبار علماء الاجتماع . فكان ذلك مما مهد لي الطريق إلى تجربة شخصية في قضايا الفكر واللغة وفتح لي بابا جديداً في معالجة مسائل اللغة العربية والكشف عن خصائصها بطريق الموازنة والمقارنة وأوقع في نفسي مع ذلك الحذر من التقليد الحرفي والنقل الآلي والخلط بين خصائص اللغات أو فنون آدابها والانسياق في تيار نظريات المستشرقين وأصحاب المذاهب الاجتماعية .

وقد أودعت خلاصة تجربتي في اللغة في كتابين أخرجتهما حاولت في ثانيهما أن أقدم نظرية عامة مقارنة في خصائص العربية (١) .

---

(١) وهما : كتاب فقه اللغة وقد طبع في مطبعة جامعة دمشق ، وخصائص العربية وقد طبعه معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

ولكنني آثرت ولا سيما بعد اشتغالي بالتدريس الجامعي أن أحافظ على خطوط فكرية ثلاثة كنت دوماً انتقل بينها وان اتابع الدراسة والبحث في آفاقها وهي اللغة والفكر الاسلامي وخصائص الأمة العربية .

بهذه التجربة الشخصية المتواضعة التي أقدمها في جو المرحلة التي وصفتها أدعى للمساهمة في عمل المجمع العلمي وقد سبقني في السير فيها اساتذة كبار منهم اليوم عدد من اعضاء المجمع الحاليين ممن ساهموا بقوة في هذه المرحلة الثانية بناءً وتجديداً وهم إذ اقترحوا ضمي إليهم وإلحاقي بركبهم حملوني فضلاً كبيراً وزادوني شعوراً بعبء هذه المسؤولية الادبية الكبرى واولوني ثقة ارجو الله ان يعينني على ان اضع نفسي منها حيث وضعوني او ان أربي على ذلك إذا أمدني الله بعون منه حفاظاً على لغة القرآن التي هي أداة تفكيرنا وفن تعبيرنا ووسيلة أدائنا لرسالتنا ؛ بها توارثنا مكارم امتنا وبها نزل كتاب الله علينا وفيها يكمن الكثير من قوتنا والثمين من تراثنا وشكراً للمجمع رئيسه وأعضائه على هذه التكرمة وشكراً لكم والسلام عليكم .

محمد المبارك

تصويب

وقع في الجزء الأول من المجلد (٣٧) بعض الأخطاء المطبعية وهي :

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
١٠٤	١٦	ووصف	وحف
١٠٤	١٦	من الصوت	من الصون
١٠٥	٢٠	الود صل	الوصل
١٠٦	٧	ماضيت	ما خبت
١٠٦	١٦	برياق من أمية	بريا من أمية
١٠٩	١١	ألم تسأل الذي	ألم تسأل الربع الذي
١٠٩	١١	العرجان	الدجان
١١١	١٠	غير بنيته	غير عن بنيته
١١٢	١١	صدر	ذنب
١١٢	١١	بن كنانة	من كنانة
١٣١	٢١	ونصت	ونعت

ووقع في هذا الجزء الأخطاء التالية :

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
٢٢٥	١١	برقانها	برقاناتها
٢٦٥	٤ من الحاشية	Eructa Sativa	Eruca sativa
٢٧٢	٤ من الحاشية	من رتبة غشائيات الجناح Vespidés	من رتبة غشائيات الأجنحة وفصيلة الزنبوريات Vespidés
٢٨٢	٣ و ٤ و ٥	تأبه	تأليه

Bibliotheca Alexandrina
0652729